تاريخ الحروب الصليبية

التنظيمات الدينية الحربية
في مملكة بيت المقدس اللاتينية
(القرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م)

تأليف
د.محمد مؤنس عوض

تقديم
د.سعيد عبد الله البيشاوي



تاريخ الحروب الصليبية

التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية

(القرنين ٦ ، ٧ هـ/١٢ ، ١٣م)

تأليف

د. محمد مؤنس عوض
كلية الآداب-جامعة عين شمس

تقديم

سعيد عبدالله البيشاوي
كلية العلوم التربوية - رام الله

٢٠٠٤م

تاريخ الحروب الصليبية
التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية
تأليف: د. محمد مؤنس عوض
الطبعة الأولى : الاصدار الأول ٢٠٠٤



دار الشروق للنشر والتوزيع
رام الله ـ المنارة ـ شارع المنارة ـ مركز عقل التجاري ـ تلفون ٢٩٦١٦١٤/ ٢/ ٩٧٢+

التوزيع الحصري في الأردن
دار الشروق للنشر والتوزيع
تلفون ٤٦١٨١٩٠/ ٤٦٢٤٣٢١ فاكس ٤٦١٠٠٦٥

Email:shorok jo@nd.com.jo

المحتويات

الاهداء ٥
تقديم بقلم الدكتور سعيد عبدالله البيشاوي ٧
المقدمة ١١
المدخل: التعريف بالمصادر التاريخية ....

الفصل الاول:
تأسيس التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية ٢٥

الفصل الثاني:
قلاع التنظيمات الدينية الحربية في بلاد الشام. ٧٥

الفصل الثالث:
الدور الحربي للتنظيمات الدينية الحربية في بلاد الشام ومصر. ١٠٩

الخاتمة: ١٤٧
الملاحق: ١٤٩
قائمة المصادر والمراجع ١٦٥
الخرائط ١٩٦

الإهداء

إلى زوجتي، واحة الروح الخضراء، والى ابنيَّ هاني وداليا،
عصفورتي الحب، والأمل.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

شهدت المنطقة العربية هجمة شرسة قادها قادة الغرب الأوروبي في العصر الوسيط ضد المسلمين في المنطقة العربية متخذين من الدين شعارا، يخفي أغراضهم الحقيقية المتمثلة بالاستعمار والاستيطان والسيطرة الاقتصادية ، ولعل استخدام الدين كستار يعد ظاهرة استخدمها القادة القدماء وقادة العصر الوسيط في أوروبا وما تزال تستخدم حتى وقتنا الحاضر . وكانت الحروب الصليبية هي الظاهرة الأكثر شيوعا في العصر الوسيط، إذ استخدم الدين كستار لتبرير الحرب والعدوان على شعوب آمنة على أرضها، وذلك من أجل الهيمنة على مقدراتها واقتصادها .

وقد اهتم المؤرخون في الشرق والغرب على حد سواء بدراسة هذه الظاهرة , وقد تعددت الدراسات والأبحاث والمؤلفات التي تناولت تاريخ الحروب الصليبية وناقشت أسبابها وأهدافها كما تطرقت لحركة الجيوش الصليبية , وعلاقات الصليبيين مع المسلمين , فضلا عن تخصيص أبحاث خاصة بتاريخ المدن والفرسان مما أثرى المكتبة العربية والأجنبية بالأبحاث والمؤلفات الجادة , وعلى الرغم من كثرة ما كتب إلا أن تاريخ الحروب الصليبية ما يزال مجالا خصبا للباحثين ينهلون منه ما يريدون من معلومات .

والكتاب الذي أتشرف بتقديمه لقراء العربية في كافة الأقطار يتناول موضوعا هاما نحن في أمسّ الحاجة إليه، فهو يعالج موضوع (التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية)، وقد تطرق فيه الدكتور محمد مؤنس عوض لجماعات الفرسان الرهبان الذين ظهروا في المشرق الإسلامي كهيئات دينية محاربة، هدفها محاربة المسلمين ، هذا إذا عرفنا أن هؤلاء الفرسان كانوا أشداء في قتالهم ضد المسلمين، كما أنهم حازوا على أراض وممتلكات كبيرة في فلسطين وغيرها من المناطق العربية التي خضعت للسيطرة الصليبية، وإلى جانب ذلك فقد قام فريق منهم بالسيطرة على المسجد الأقصى المبارك وتحويل قسم منه إلى كنيسة، وقسم آخر استخدموه كإسطبل للخيل، وقسم آخر استخدم كمخزن للأسلحة ، وقسم اخر للمعيشة، وقد أطلقوا عليه اسم معبد سليمان Templum Solimani وقد عرف هؤلاء بفرسان المعبد (أو الهيكل أو الداوية).وإلى جانب هؤلاء ظهر آخرون مثل فرسان الاسبتارية (المستشفى) الذين تمتد جذورهم في الأراضي المقدسة إلى ما قبل قيام الحملة الصليبية الاولى اذ قام جماعة من اهالي أمالفي بتاسيس مستشفى في بيت المقدس من أجل ايواء الحجاج اللاتين الفقراء أو الذين فقدوا نقودهم و أموالهم اثناء الانتقال من اوروبا إلى الشرق . وقد تطورت المستشفى

مع مضي الزمن الى مقر هيئة فرسان القديس يوحنا أو الاسبتارية . أما فرسان التيوتون الألمان فقد ظهروا بشكل رسمي بعد معركة حطين وقد حازوا على كثير من الممتلكات في فلسطين . وقد ارتدوا زيا خاصا بهم، وهوعبارة عن عباءة بيضاء ذات صليب اسود يوضع على الكتف الايسر، وقد زودهم الامبراطور فردريك الثاني بالنسر الامبراطوري الاسود ليكون رمزا لهم . وإلى جانب هذه التنظيمات الثلاثة الرئيسة ظهر في الأرض المقدسة مجموعات اخرى من التنظيمات كانت نشاطاتها محدودة مثل تنظيم الفرسان الكرمليين الذين ظهروا في جبل الكرمل، وفرسان القديس جورج الذين ظهروا في منطقة اللد التي كانت تعرف ايضا باسم القديس جورج، وفرسان القديس لعازر الذين تمتعوا بمكانة متميزة في مملكة بيت المقدس اللاتينية، لا سيما وان مهمتهم الرئيسة تركزت على رعاية مرضى الجذام .وكان لهؤلاء الفرسان شعارهم الخاص بهم، وهو عبارة عن صليب اخضر مثمن مرسوم عليه صورة بيت القديس لعازر، وكذلك هيئة فرسان القديس توما من كانتربري التي لم يعرف عنها الباحثون الا القليل، كما ان عددهم كان قليلا ، وكانوا فقراء، وفرسان القديس لورنس والفرسان الدومنيكان والفرنسيسكان وقد حازت هذه المجموعات الصغيرة على بعض المنح والهبات من ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية .

ولقد استهل المؤلف كتابه بمقدمة تحليلية نقدية لاهم مصادر البحث العربية والاجنبية، فضلا عن تحليل بعض الوثائق والسجلات والمراسلات وقوانين مملكة بيت المقدس الصليبية، فضلا عن قيامه بتحليل بعض المراجع العربية والأجنبية التي اعتمد عليها في دراسته خاصة تلك التي اهتمت بتوضيح دور الفرسان الرهبان .

وفي الفصل الأول من هذه الدراسة تناول المؤلف تاسيس التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، وقد اشار فيه إلى تطور الحرب المقدسة على يد مجموعة من رجال الدين المسيحي والبابوات لا سيما البابا الاسكندر الثاني، الذي منح المحاربين المسيحيين الذين قاموا بقتال مسلمي الاندلس غفرانا من ذنوبهم، كما أشار إلى البابا اربان الثاني الذي اعلن قيام الحروب الصليبية في مجمع كليرمون عام ٤٨٩هـ / ١٠٩٥م.

وعالج المؤلف في الفصل الثاني من دراسته قلاع التنظيمات الحربية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، وتحدث عن الأسباب والدوافع التي دفعت بالصليبيين إلى إنشاء قلاعهم ، كما أشار إلى السمات العامة للعمارة الصليبية، والمؤثرات البيزنطية والاسلامية عليها، وفضلا عن ذلك تحدث المؤلف عن نماذج من القلاع الصليبية في بلاد الشام مثل قلعة المرقب، وعرقة، وكوكب الهواء، وهونين، وارسوف، وبغراس، والفولة، وعتليت، وغزة، والدوارم وغيرها، كما أشار إلى الهيئات الدينية التي تولت إدارة هذه القلاع والدفاع عنها .

وتحدث المؤلف في الفصل الثالث عن الدور الحربي للتنظيمات الدينية الحربية الصليبية في بلاد الشام ومصر . وقد أشار فيه إلى جهود الهيئات الدينية في الدفاع عن بعض المناطق والمدن الخاضعة

المسيطرة الصليبية، وفضلا عن ذلك أشار الباحث إلى ادراك المؤرخين المسلمين لما تمتعت به تلك التنظيمات الدينية من قوة وتاثير و خاصة في مواجهتها للقوات الاسلامية ، وقد قدم الباحث نماذج كثيرة تشير معظمها إلى شراسة تلك التنظيمات في القتال ولعل ذلك يشير إلى أن القادة المسلمين كانوا يعرفون قدرة هؤلاء الفرسان اثناء المعارك ولذلك كانوا يتخذون الحيطة والحذر عند الالتقاء بهم في المعارك الحربية .

وقد جعل المؤلف للبحث خاتمة ضمنها أهم النتائج التي توصل إليها ، كما انه قدم مجموعة من الملاحق التي تخدم دراسته , فقد افرد قوائم بأسماء مقدمي تنظيم الاسبتارية (المستشفى) و مقدمي هيئة فرسان الهيكل (الداوية) ومقدمي هيئة فرسان التيوتون، كما وضع ملحقا يوضح نص الاتفاقية المعقودة بين السلطان المملوكي الظاهر بيبرس وتنظيم الاسبتارية، وإلى جانب ذلك فإنه وثق النقش الذي نقشه السلطان الظاهر بيبرس البندقداري والذي يّخلد فيه ذكرى انتصاره على فرسان الداوية (المعبد او الهيكل) في صفد عام ٦٦٤هـ/١٢٦٦م. وفي ملحق اخر يوضح اشتراك فرسان الاسبتارية والداوية في الدفاع عن مدينة عكا عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م من خلال ما اورده المؤلف العيني في كتابه عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان كما وضع قائمة لأهم المصادر والمراجع العربية والاجنبية التي اعتمد عليها خلال دراسته .

وفي هذا المجال لا بد لي من الإشارة إلى أهمية الموضوعات التي تطرق لها المؤلف والتي يحتاج إليها الباحثون والمتخصصون في تاريخ الحروب الصليبية . وإنني اعتبر الجهد الذي بذله المؤلف يستحق كل التقدير والاحترام، وانصح قراء العربية في عالمنا العربي الكبير بقراءة هذا السفر القيم .

دكتور سعيد عبدالله البيشاوي
أستاذ مشارك في كلية العلوم
التربوية – رام الله
٢٠٠٣/١٢/١٥

المقدمة

يتناول هذا الكتاب بالدراسة، التنظيمات الدينية الحربية الصليبية في صورة جماعة فرسان الاسبتارية وفرسان الداوية، وفرسان التيوتون، وفرسان القديس توما، والقديس لعازر وغيرها، وهو بالتالي يعالج موضوعاً على جانب كبير من الأهمية حيث يهتم بدراسة مؤسسات الكيان الصليبي من الداخل لكي ينطلق لدراستها في صورة علاقاتها مع القوى الإسلامية المجاورة في بلاد الشام ومصر.

والفصول المذكورة في الأصل جزء من رسالة ماجستير تقدمت بها لكلية الآداب-جامعة عين شمس عام ١٩٨٤م وأفدت في سبيل اعدادها من ثلاثة أساتذة أفاضل اثنان منهم تحت الثرى هما.. أ.د. عبد المنعم ماجد أستاذ التاريخ الفاطمي بالكلية المذكورة طيب الله تعالى ثراه، وقد أفدت من ملاحظاته القيمة. ثم أ.د. رأفت عبدالحميد استاذ التاريخ البيزنطي المبكر رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وقد أفدت أيضاً من ملاحظاته خاصة بالنسبة للفصل الخاص بالقلاع الصليبية، اما الشرف الثالث فهو أ.د. احمد عبد الرازق استاذ الآثار الإسلامية الذي أفدت من توجيهاته القيمة عندما طالع الفصول المذكورة افاء الله تعالى من علمه وخلقه وجزاه عني خير الجزاء، ولا أغفل فضل استاذي أ.د. احمد رمضان استاذ تاريخ الصليبيات بآداب عين شمس الذي افدت من توجيهاته فائدة كبرى.

وقد قمت بإجراء بعض التعديلات على الفصول المذكورة بما يتناسب مع الدراسات التاريخية الحديثة عن موضوعات تعرضت لها الفصول التي بين يدي القارىء الآن.

وقد اعتمدت في اعداد هذه الدراسة على العديد من المصادر العربية واللاتينية فضلاً عن المراجع الحديثة الانجليزية والفرنسية والألمانية وذلك قدر الجهد المتواضع حيث أن تاريخ الحروب الصليبية يحتوي على العديد من الموضوعات الشاقة التي تجهد كل من يرتادها بالبحث والدراسة.

وفي هذا المجال اتوجه بالشكر والتقدير والتقدير للصديق المستشرق الأمريكي د. كريستوفر

ملتشرت الذي عمل في جامعة بنسلڤانيا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث زودني بالعديد من الدراسات سواءً في صورة كتب أو مقالات أفادت الدراسة بصورة جلية فله مني خالص التقدير والعرفان.

كما لا يفوتني التوجه بالشكر للأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بكلية الآداب-جامعة الزقازيق الذي عرفني على العديد من المصادر الأساسية لدراسة موضوع التنظيمات الدينية الحربية الصليبية خاصة مجموعة نصوص حجاج فلسطين وذلك منذ قرابة العشرين عاماً، ومازلت أنهل من علمه وخلقه فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأود أن ألفت نظر القارىء العربي إلى أن هناك دراسات سابقة على دراستي أفدت منها ولها فائدة كبيرة مثل دراسة الزميلة الفاضلة د. نبيلة مقامي عن الرهبان الفرسان ورسالة د. سالي سلطان سعد عن الاسبتارية في رودس، وبعد مناقشة رسالتي عام ١٩٨٤م ظهرت دراسات لها شأنها مثل دراسة د. حسين عبدالوهاب-الباحث والمؤرخ المتألق بآداب جامعة الاسكندرية حيث اعد دراسة ممتازة عن هيئة فرسان التيوتون وأود أن أحيل القارىء إليها فهي أوفى وأشمل بحكم تخصصها أولاً وبحكم نوعية معدها وهو زميل فاضل بذل قصارى جهده في سبيل اعدادها.

وبعد؛ فهذا جهد المُقِل ويرى المؤلف أنه مجرد تلميذ في عصر صاخب الأحداث، متلاطم الأمواج، وقد حرص الحرص اجمعه على تنفيذ الملاحظات التي قدمها له أساتذته الأفاضل عندما ناقش اطروحته عام ١٩٨٤م، واختتم هذه المقدمة بتزويد قوله جل شانه.

﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾

د. محمد مؤنس عوض
مصر الجديدة- مساكن شيراتون
٢٠٠٣م

المدخل

التعريف بالمصادر التاريخية

تعددت المصادر التاريخية التي يجد فيها الباحث اشارات مفيدة عن التنظيمات الدينية الحربية الصليبية، وهي تتراوح بين الوثائق وكتب الحوليات، ثم كتب السير، والمنظومات الشعرية ثم مؤلفات الرحالة والجغرافيين الأوروبيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس اللاتينية وأوردوا إشارات عن تلك التنظيمات.

أما الوثائق، فتأتي في مقدمتها تلك التي قام بنشرها المؤرخ دولاڤيل لورو[1] Delaville le Roulxوقام بترجمة عمله المؤرخ كنج King ضمن كتابه الذي خصصه عن قوانين وقواعد هيئة فرسان الإسبتارية.[2]

وأهم الوثائق التي أفادت في البحث:

أولاً: الهبة البابوية الخاصة بتأسيس نظام القديس يوحنا "الإسبتارية"، وهي التي صدرت عام ٥٠٧هـ/١١١٣م.[3]

ثانياً: القوانين التي صدرت في عهد المقدم الثاني للنظام،[4] وهو رايموند دي بوي Raymond du Puy، الذي تولى حكم النظام خلال المدة الواقعة من عام ٥١٤-٥٥٦هـ/١١٢٠-١١٦٠، ويلاحظ أنه حدث في عهده تطور هام في حياة النظام حيث تحول إلى الناحية الحربية فضلاً عن الدور الخيري العلاجي الذي قام به منذ تأسيسه.

ثالثاً: القوانين التي صدرت في عهد المقدم جوبرت Jobert [5] وهو الذي تولى حكم النظام في خلال المدة من عام ٥٦٨-٥٧٣هـ/١١٧٢-١١٧٧م.

رابعاً: القوانين التي صدرت في عهد المقدم روجر دي مولين Roger des Moulines،[6] والذي تولى رئاسة النظام في خلال المدة من عام ٥٧٣-٥٨٣هـ/١١٧٧-١١٨٧م.

خامساً: القوانين التي صدرت في عهد المقدم الفونسو البرتغالي Alfonso of Portogal[7] الذي تولى حكم النظام في خلال المدة من عام ٦٠٠-٦٠٣هـ/١٢٠٣-١٢٠٦م، وعرفت تلك القوانين باسم قوانين المرقب Markab نسبة إلى قلعة المرقب الشهيرة. وتحوي تلك القوانين اثني عشر قانوناً داخلياً منظماً لشئون النظام الاسبتاري تشمل تنظيم الفرسان، وابنائهم، والمقدمين، والمجالس العامة وانعقادها وكافة دقائق النظام الأخرى.

سادساً: القوانين التي صدرت في عهد المقدم هيو ريڤل Hugh Revel[8] الذي تولى قيادة النظام في خلال المدة من عام ٦٥٦-٦٧٦هـ/١٢٥٨-١٢٧٧م.

سابعاً: القوانين التي صدرت في عهد المقدم نيقولاس لولوران Nicholas le Lorgne[٩] وقد تولى حكم النظام خلال المدة من عام ٦٧٦-٦٨٤هـ/١٢٧٧-١٢٨٥م.

ثامناً: القوانين التي صدرت في عهد المقدم جون دي ڤلبير John de Villiers[١٠] الذي حكم النظام خلال المدة من عام ٦٨٤-٦٩٢هـ/ ١٢٨٥-١٢٩٢م ويلاحظ أنه في خلال عهده شهدت الأرض المقدسة طرد التنظيمات الدينية المسيحية كلية من المنطقة على أيدي المماليك.

ويلاحظ أن الأهمية الكبيرة التي يمكن أن نعلقها على تلك القوانين أنها مثلت حقائق هامة عن تطور التكوينات الداخلية والوظائف التي وجدت لدى تنظيم فرسان القديس يوحنا وواجبات الفرسان في ميادين القتال وكذلك واجبات أعضاء التنظيم مثل عناصر المقدمين، ومندوبيهم، والأخوة الخدام، والأطباء، والمسئولين عن ملابس أعضاء التنظيم وبصفة عامة وظائف كبار الموظفين وصغارهم.

ومن الوثائق الهامة ذلك الخطاب الذي أرسله جان دي ڤلبير إلى صديق له في اوروبا واصفاً له أحداث حصار المماليك لمدينة عكا عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، وإسقاطها فيما بعد وقد ضمنها المؤرخ كنج ضمن ملاحق كتابه عن فرسان الاسبتارية في الأرض المقدسة.[١١] وقد أفادت الوثيقة في إلقاء الضوء على توزيعات فرسان التنظيمات الدينية المسيحية مثل تنظيم القديس يوحنا، وتنظيم المعبد، والتيوتون، وتنظيم القديس لعازر، والقديس توما، ودورهم في حماية المدينة ضد الغزو المملوكي، وكذلك فضلاً عن انها تلقي الضوء على مصير مقدمي الهيئتين الكبيرتين الإسبتارية (المستشفى) والداوية (المعبد).

ومن ناحية أخرى، توجد عدة وثائق هامة تتعلق بتنظيم القديس يوحنا في مجلة أرشيف الشرق اللاتيني Arshives de L'Orient Latin خاصة في الجزء الأول منها والذي صدر في باريس عام ١٨٨١م تحت إشراف الكونت بول ريان Comte Riant.

ومنها ما نشره دولاڤيل لورو عن خمسة مواثيق تتعلق بتنظيم القديس يوحنا في بيت المقدس وهي ترجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي.[١٢]

ثم أيضاً الوثائق التي نشرها الكونت بول ريان عن هبات وعطايا مخصصة لتنظيم التيوتون،[١٣] وهي تشمل بعض تلك العطايا التي قدمها ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية لتلك الهيئة، الأمر الذي أفاد في تتبع دور الهيئة الحربي وموقف ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية منها.

وبالاضافة إلى ذلك، هناك ما قام بنشره دي زان De Zahn عن أربعة فقرات متصلة بتنظيم التيوتون في الشرق[١٤] وتشمل تلك الوثائق بعض الاشارات المتصلة بالتنظيم خلال القرن السابع الهجري/القرن الثالث عشر الميلادي، وما يتصل بدور الفرسان التيوتون خلال أحداث الحملة الصليبية الخامسة.

ولا مراء، في أن تلك الوثائق وغيرها تعد أساسية لكل باحث يتعرض بالدراسة لتلك التنظيمات الدينية الحربية الصليبية، نظراً لكونها تقدم لنا مادة مصدرية أصلية رفيعة المستوى.

أما كتب الحوليات، فهناك مؤلفات عديدة كتبها المؤرخون الصليبيون الذين وردت إشارات في مؤلفاتهم عن تلك التنظيمات ودورها الحربي، ومن أمثلة تلك الحوليات نذكر ما ألفه فوشيه الشارتري[١٥] Fulcher of Chartres تحت عنوان: Gesta Francorum Iherusalem Pergrinantium[١٦] "أي أعمال الفرنجة الحاجين إلى بيت المقدس" وقد أفاد في إشاراته بشأن الدور الحربي لحامية عسقلان المصرية في مهاجمة مملكة بيت المقدس اللاتينية وخاصة الحدود الجنوبية لها، الأمر الذي ساعد في توضيح أهمية اسناد المملكة لبعض قلاعها للهيئات الدينية الحربية كما أفاد في تحديداته لبعض القلاع الصليبية.

ثم هناك ما ألفه البرت دكس[١٧] Albert d'Aix تحت عنوان تاريخ بيت المقدس Historia Hierosolymitana[١٨] وقد أفاد الكتاب فيما يتصل بموقف مملكة بيت المقدس اللاتينية من الهيئات الدينية الحربية وقد أشار إلى بعض الغنائم التي قررها الملوك الصليبيون لتلك الهيئات، ويعتبر البرت دكس من المؤرخين الصليبيين القلائل الذين كتبوا تاريخ الحملة الصليبية بلغة لاتينية سهلة، على الرغم من أنه كان يلجأ إلى الافاضة في ذكر بعض الاحداث دون الاخرى. ويبدو من اسلوبه انه لم ينل حظا كبيراً من التعليم[١٩].

كذلك ما ألفه المؤرخ وليم الصوري[١٩] William of Tyre في كتابه: Historia rerum inpartibus Transmarinis Gestarum أو ما ترجمته بالانجليزية History of the deeds done beyond the sea أي تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر.

ونظراً لأن وليم الصوري كان بحق مؤرخ المملكة اللاتينية خلال القرن السادس هجري/القرن الثاني عشر الميلادي، فقد كان طبيعياً أن يهتم بتأسيس الهيئات الدينية الحربية الصليبية وظروف تطورها، وقد أفدت منه في ذلك الجانب بالذات، وخاصة بالنسبة لهيئتي الاسبتارية والداوية، وقد تناول موقف القيادة السياسية الصليبية، ودعمها لتلك الهيئات، وأشار إلى الصعاب التي كان يلقاها الحجاج اللاتين في طريقهم إلى المحارم المسيحية المقدسة، ويلاحظ أن تلك الظروف لعبت دورها في تأسيس تلك الهيئات، ومن ناحية أخرى، ألقى الضوء على الأدوار الحربية التي خاضت غمارها تلك الهيئات في عسقلان عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م وخلال حملات الملك عموري الأول على مصر ومشروعه الصليبي ضدها، ثم أنه تناول الظروف السياسية والعسكرية التي أحاطت بانشاء العديد من القلاع وكذلك تطورها التاريخي مثل حصن الأكراد Crac des chevaliers، وصفد Safad، وعثليث Athlith المعروفة في المصادر الصليبية باسم Pelerin، وتبنين Toron، وغزة Gaza، والداروم (دير البلح) Darum، وكانت تلك القلاع قد ارتبطت ارتباطاً وثيق الصلة بتاريخ الهيئات الدينية الحربية لدى الصليبيين.

ويلاحظ أن ذلك المؤرخ الصليبي البارز كان قد انتقد تلك التنظيمات الدينية الحربية الصليبية وأدرك منذ وقت مبكر قبل معاصريه-الدور السلبي الذي قامت به في سبيل مراعاة مصالحها السياسية العليا على حساب مصالح الصليبيين فكانت -وبحق- دولة في داخل الدولة الصليبية.

وهناك أيضاً ما ألفه جود فري فينروف أو السكير[٢٠] Geoffrey deVinsauf، وهو صاحب تاريخ حملة ريتشارد قلب الأسد إلى الأرض المقدسة. History of the expodition of Richord coeur de Lion to the Holy Land.[٢١] وقد أفاد فيما يتصل بموقف السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد موقعة حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م من تلك التنظيمات، كما قدم بعض الإشارات عن المدن التي ارتبطت بتاريخ التنظيمات الدينية الجربية خاصة مدينة عكا وغيرها.

ومن المصادر اللاتينية الهامة ما ألفه جاك أو يعقوب الڤيتري[٢٢] ,Jacobus de Vitriaco Jacques de Vitry في تاريخه Histoire Orientalis Sou hierosolymitana الذي ترجم إلى الانجليزية بعنوان[٢٣] History of Jerusalem وترجم إلى العربية بعنوان تاريخ بيت المقدس، وقد أفاد تاريخه في ما احتواه من إشارات هامة بشأن تأسيس التنظيمات الدينية المسيحية، خاصة تنظيم الإسبتارية وتنظيم الداوية، كذلك عرض لبعض المعارك التي اشتركت فيها مثل معركة عين كريسون عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م وموقف السلطان صلاح الدين الأيوبي منهم عقب موقعة حطين الحاسمة في العام نفسه، ومن ناحية أخرى أشار إلى العديد من القلاع التي سيطرت عليها تلك التنظيمات.

كذلك هناك ما ألفه أحد المؤرخين الأرمن، هو ميشيل السرياني[٢٤] Michael the Syrian في حوليته الهامة[٢٥] وقد أشار إلى دور مبكر للتنظيمات الدينية الحربية خاصة الداوية (هيئة فرسان المعبد) في خلال محاولة جوسلين الثاني استرداد الرها Edessa بعد سقوطها في يد عماد الدين زنكي عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م.

أما النوع الثاني من الكتابات التاريخية التي ألفها المؤرخون اللاتين فهو السير، وقد وصلتنا سيرة الملك الفرنسي لويس التاسع Louis IX التي دونها جان دي جوانفيل[٢٦] Jean de Joinville في كتابه المعروف باسم "حياة القديس لويس"[٢٧] وقد أفاد في تناوله بالاشارة إلى الدور الحربي للتنظيمات الدينية المسيحية خاصة الاسبتارية والداوية وتنظيم القديس لعازر، وكان التنظيم الأخير يعد من أكثر التنظيمات التي تقل المصادر اللاتينية في الإشارة اليها بالمقارنة مع غيره من التنظيمات الدينية الحربية الصليبية.

تلك كانت الحوليات الصليبية التي أفادت في دراسة التنظيمات الدينية الحربية الصليبية، ومن الواضح أهميتها للدراسة خاصة من خلال ملاحظة أن مؤلفيها من المؤرخين المعاصرين لتلك الأحداث.

أما المنظومات الشعرية، فهناك مثال لها يتمثل في تلك القصيدة التي كتبها الشاعر أمبروز Ambriose[٢٨] تحت عنوان "تاريخ الأرض المقدسة" Estoire de La Terre Sainte[٢٩] وهي عبارة عن منظومة شعرية يصف فيها حملة الملك ريتشارد قلب الأسد Richard Heart of Lion خلال الحملة الصليبية الثالثة، ومن خلال ذلك أشار إلى الدور الحربي الذي قامت به هيئة فرسان الاسبتارية خاصة خلال معركة أرسوف عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م.

وتأتي بعد ذلك مؤلفات الرحالة والجغرافيين اللاتين ويلاحظ هنا أن رحلة الحج المسيحي إلى

المحارم المسيحية المقدسة قد تركت تراثاً على جانب كبير من الأهمية، وعبرت تلك الرحلات عن العاطفة الدينية، وأيضاً عن الطابع الديني لثقافة معظم الرحالة ونجد من خلالها العديد من الإشارات التي ارتبطت بها أحداث المسيحية في عهدها الباكر.

ونظراً لتوافر العديد من الرحلات على امتداد الحركة الصليبية لذا فقد أمكن تتبع تطور تاريخ التنظيمات الدينية المسيحية على نحو خاص، فألقت الضوء على ظروف تأسيس التنظيمات، وتطورها، والمساندة الرسمية التي لقيتها من القيادات السياسية الصليبية، ثم الدور الحربي الذي لعبته على امتداد عهد الوجود اللاتيني في الشرق.

وقد ارتبط بنشاط الرحالة إلى الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين ظهور نوع من المؤلفات اللاتينية اهتم بإيراد وصف للأراضي المقدسة، وذلك لكي يكون بمثابة دليل جغرافي في أيدي الحجاج القادمين لأول مرة إلى تلك البقاع ولايعرفون عنها إلا النذر اليسير.

ومن أمثلة ما وصلنا من الرحلات، رحلة سايولف الذي قام برحلته عام ٤٩٧هـ/١١٠٢م-١١٠٣م، ورحلة الأب الروسي دانيال الذي قام برحلته ما بين عامي ٥٠٠-٥٠١هـ/١١٠٦-١١٠٧م، ثم الرحالة بنيامين التطيلي الذي قام برحلته في خلال المدة من ٥٥٦-٥٦٩هـ/ ١١٦٠-١١٧٣م وكذلك الرحالة الألماني يوحنا ڤورزبورغ وقام بترحاله خلال المدة من عام ٥٥٦-٥٦٦هـ/ ١١٦٠-١١٧٠م، ورحلة الحاج الالماني ثيودريش عام ٥٦٨هـ/١١٧٢م، ثم أخيراً رحلتي يوحنا ماندفيل٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م.

أما رحلة سايولف Saewulf[٣٠] فقد أفادت فيما يتعلق ببعض التحديدات الجغرافية في فلسطين في عصر الصليبيات، وفضلاً عن اشارة الرحلة إلى الطريق الجبلي الذي كان يصل بين يافا وبيت المقدس حيث اعتاد المسلمون على نصب الكمائن والمصائد للصليبيين في الاماكن الجوفاء من الجبال والكهوف الصخرية، ثم هناك رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب Abbot Daniel[٣١]، وقد قدم في رحلته[٣٢] إشارات هامة عن بعض التحديدات الجغرافية لعدد من المدن، والقلاع الصليبية التي ارتبطت بتاريخ التنظيمات الدينية المسيحية وقدم وصفاً هاماً للطريق الواقع بين يافا والقدس، وهو الطريق الذي تولت هيئة فرسان الداوية (المعبد) حمايته.

كذلك أفدت من رحلة الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي[٣٣] Benjamin of Tudela وقد احتوت رحلته على إشارات هامة عن هيئتي الاسبتارية والداوية خاصة ما اتصل بالجانب العلاجي للأولى ومقر الثانية.

ومن الرحلات الهامة رحلة الحاج الألماني يوحنا ڤورزبورغ[٣٤] John of Wurzbeg وقد أفادت رحلته [٣٥] على نحو خاص في تناول تنظيم التيوتون، كما تناول بالإشارة هيئتي الإسبتارية والداوية.

يضاف إلى ذلك ما ألفه الحاج ثيودريش[٣٦] في رحلته[٣٧]، فيما يتصل بأملاك التنظيمات الدينية المسيحية خاصة هيئة فرسان الاسبتارية واتساع تلك الأملاك في الأرض المقدسة.

كذلك أفدت أيضاً من ما ألفه يوحنا ماندفيل John Maundeville[٣٨]، ووصفه لمستشفى

الإسبتارية والخدمات الطبية التي كانت تقوم بتقديمها.

ويضاف إلى ذلك، مجموعة من رحلات قام بها رحالة مجهولون[39] وقد اشاروا بصورة أو بأخرى لمستشفيات التنظيمات الدينية الحربية وخدماتها التي قدمتها للصليبيين، بصورة دعمت ما عرفناه عن تلك التنظيمات من جانب الرحالة الذين وصلت الينا اسماؤهم.

ثم هناك رحلة برتراندون دي لابروكييه[40] Bertand de la Broquiers الذي قام برحلته إلى بلاد الشام خلال القرن التاسع الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي، وقد أفادت رحلته[41] في بعض التحديدات الجغرافية وقلاع التنظيمات في غزة وعكا ومنطقة جسر نبات يعقوب.

ثم يأتي بعد ذلك النوع الثاني من الكتابات اللاتينية في هذا المجال ويتمثل في مؤلفات الجغرافيين كدليل، ومرشد جغرافي للحجاج من ذلك ما ألفه فيتلوس Fetllus[42] عام ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م، وكذلك يوحنا فوكاس Joannes Phocas[43] عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م. وقد أفدت من تحديداتهم الجغرافية.

وهكذا، التقت كتب التاريخ وكتب الرحلة وهي عين الجغرافيا المبصرة من اجل إلقاء الأضواء الكاشفة عن تاريخ تلك التنظيمات الصليبية. ذلك عرض وتعريف لمصادر دراسة البحث.

هوامش

(١) أنظر كتاب دولاڤيل لورو:

Delaville Le Roulx, Cartulaire Generale des Hospitaliers, Paris 1894.

(٢) أنظر الترجمة الانجليزية التي قام بها كنج:

King, The Rule Statutes and Customs of the Hospitallers (1099-1310), London 1934.

(٣) Papal Bull Confirming the foundation of the Order. King, Ibid. pp16-18.

(٤) The Rule of the Blessed Raymond du Puy. King, Ibid., pp20-28.

(٥) Statutes of Fr. Jobert. King, Ibid., pp29-33

(٦) Statutes of Fr. Roger des Moulines. King, The Rule Statutes, pp.41-52

(٧) Statutes of Fr. Alfonso of Portogal (1203-1206). Commonly known as the Statutes of Margub. King, Ibid., pp41-52

(٨) Statutes of Fr. Hug Revel (1258-12777)

عنها أنظر: King, op.cit., pp53-78

(٩) Statutes of Fr. Nicholas le Lorgne (1277-1285)

عنها أنظر:

.King, op.cit., pp75-87

(١٠) Statutes of Fr. John de Villiers (1285-1294)

عنها أنظر:

King, The Rule Statutes, pp.88-95

(١١) "A letter of John de Villiers, Master of Hospital describing the Fall of Acre 1291"

منشورة في كتاب كنج، انظر:

King, The Knights Hospitallers in The Holy land, London 1930, pp.301-302.

(١٢) Delaville Le Roulx, "Trois Chartres de XII Siecle concernant L'Ordre de S. Jean de Jerusalem" AOL,I, PP.409-415.

وهي باللغة اللاتينية الوسيطة وقد أوردت الترجمة العربية لإحدى تلك المواثيق وضمنتها ملاحق البحث.

(١٣) Comte Riant, "Privilleges Octroyes aux Teutoniques" AOL, I,PP.416-422.

(١٤) De Zahn, "Quatre pieces relative de L'Ordre Teutonique en Orient" AOL, I, pp.164-169.

(١٥) عن فوشيه الشارتري انظر: التقديم الممتاز للترجمة الانجليزية التي قام بها ريتا ريان، عادل زيتون، العلاقات بين القوى الايطالية وبيزنطة في القرن الثاني عشر، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة ١٩٧٥م، ص١، العريني، مؤرخوالحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٢م، ص٣٧-٤٤، انور حاتم، شهود العيان على فتح الصليبيين لانطاكية، ص١٨٤-١٨٥، نور الدين خاطوم، المدخل إلى التاريخ، ط. دمشق ١٩٦٥م، ص٤١١.

(١٦) النص اللاتيني والترجمة الفرنسية في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية- المؤرخون الغربيون، الجزء الثالث R.H.C., Hist. Occ. T.III

وقد استعنت بالترجمة الانجليزية التي قام بها ريتا ريان:

Fulcuer of Chartres, Hist. of the expedition to Jerusalem, University of Tennesse U.S.A. 1969.

(١٧) عن البرت دكس انظر: العريني، مؤرخو الحروب الصليبية، ص٦٦-٩٨، عادل زيتون، العلاقات، ص١٢.

(١٨) النص اللاتيني والترجمة الفرنسية في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية المؤرخون الغربيون، الجزء الرابع R.H.C. Hist. Occ. T.IV

(١٩)سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٠م، ص٣٦.

(٢٠) عن وليم الصوري انظر: عمر كمال توفيق، "المؤرخ وليم الصوري"، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية، م(٢١)، لعام ١٩٦٧م، ص١٨١-٢٠٠، سر الختم عثمان، مدينة صور في القرنين الثاني عشر والثالث عشر م، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٧١م، ص٣٣٩-٣٤٠، بيريل سمالي، المؤرخون في العصور الوسطى، ص١٨٦-١٨٧، سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص٣٦-٤٢

(٢١) النص اللاتيني والترجمة الفرنسية في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية، المؤرخون الغربيون، الجزء الاول R.H.C. Hist. Occ. T.I

وقد استعنت بالترجمة الانجليزية التي قام بها كل من ببكوك وكراي، أنظر:

William of Tyre, History of the deeds done beyond the sea, Trans. by Bebcock and Kery, New York 1948.

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب وليم الصوري ترجم إلى اللغة العربية من قبل الدكتور سهيل زكار بعنوان: تاريخ الحروب الصليبية، "الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ٢ج، دار الفكر، دمشق ط١، ١٩٩٠م، وترجمة الاستاذ الدكتور حسن حبشي بعنوان: الحروب الصليبية، ٤ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١-١٩٩٥م.

(٢٢) عن جود فري فينزوف انظر: حسن عبدالوهاب، قيسارية تحت حكم اللاتين، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة الاسكندرية، ١٩٨٢م، ص٢١، حاشية (٢). تم نشر هذا الكتاب بعنوان: تاريخ قيسارية الشام في العصر الاسلامي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٠م.

(٢٣) Geoffrey de Vinsauf; History of the expedition of Richard Coeur de Lion to the Holy Land, in Chronicles of the Crusades, London 1908.

(٢٤) عن جاك دي فترى أنظر:

Jacques de Vitry, History of Jerusalem, Trans. By Aubrey Stewart, PPTS, Vol XI,

ترجم كتاب يعقوب الفيتري إلى اللغة العربية بعنوان تاريخ بيت المقدس، ترجمة سعيد البيشاوي، ط١، "دار الشروق" عمان ١٩٩٨م.

Atiya, The Crusade, Historiography and Bibliography, London 1962, p.50

(٢٥) الترجمة الانجليزية قام بها ستيوارت في مجموعة حجاج فلسطين المجلد الحادي عشر، انظر:

Jacques de Vitry, History of Jerusalem, Trans. by Aubrey Stewart, pp. TS, Vol.XI, London 1896.

(٢٦) عن ميشيل السرياني انظر:

Cahen, La Syrie du nord, p.96.

حسين عطية، إمارة انطاكية الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية ١٩٨٣م، ص٣٠.

(٢٧) توجد حوليته في الوثائق الارمينية، الجزء الاول Michael the Syrian, Chronique., R.H.C. Doc. Arm. T.I.

(٢٨) عن جوانفيل انظر مقدمة الترجمة العربية لحسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٨م، عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط. القاهرة ١٩٦٢م، ص١٥٢.

(٢٩) استعنت بالترجمة الانجليزية التي قام بها شو انظر:

Joinville & Villehardouin, Chronoicles of The Crusades, London 1963.

(٣٠) امبروز Ambroise هو شاعر غنائي من النورمان، توجه مع الملك الانجليزي ريتشارد الأول إلى الأرض المقدسة وقد كتب قصيدته باللغة الفرنسية. عنه وعن قصيدته انظر: Pernoud, The Grusades, p.287 باركر، الحروب الصليبية، ت السيد العريني، ص٢٥٣. احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ١٩٧٧م، ص٨، حسن عبدالوهاب، قيسارية تحت حكم اللاتين. ص٢٢.

(٣١) استعنت في البحث بالترجمة الانجليزية التي قام بها هوبرت Hubert انظر: Ambroise, The Crusade of Richard, Trans. by Hubert, New York 1941.

(٣٢) عنها انظر: محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي-الصليبي، معركة أرسوف ١١٩١م/٥٨٧هـ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

(٣٣) الرحلة وترجمتها الانجليزية، انظر: The pilgrimage of Saewulf, Trans. by Bishop of Clifton, P.P.T.S., Vol. Iv, London 1896

ترجمت هذه الرحلة إلى العربية بعنوان "رحلة الحاج سايولف في بيت المقدس والأراضي المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، ط١، "دار الشروق"، عمان ١٩٩٧م، ص٢٣.

(٣٤) يلاحظ هنا أن الروس كانوا قد تنصروا في عهد ملكهم فلاديمير عام ٣٧٨هـ/٩٨٨م، ونجد أنهم اتجهوا منذ ذلك الحين إلى زيارة الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين منذ القرن الرابع هجري/القرن العاشر الميلادي، ومع الاحتلال الصليبي لبيت المقدس تزايد حجمهم وكان الأب دانيال أحد رهبان الكنيسة الأرثوذكسية ويبدو أنه كان على علاقة طيبة مع الملك الصليبي بلدوين الأول Baldwin I، عنه وعن رحلته انظر:

يوغوليوسكي، "رحلة السائح الروسي دانيال إلى الأرض المقدسة في أول عهد الصليبيين"، مجلة المشرق، العدد (٩)، السنة ٢٤، لعام ١٩٢٦م، ص٦٤١-٦٤٤،ايضاً: نقولا زيادة، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٦م، ص٨٢-٨٣، حسن عبدالوهاب، قيسارية تحت حكم اللاتين، ص٤٧.

(٣٥) انظر الترجمة الانجليزية في مجموعة حجاج فلسطين الجزء الرابع

The Pilgrimage of The Russian Abbot Daniel in The Holy land; PPTS, Vol. IV.

ترجمت هذه الرحلة إلى اللغة العربية بعنوان "رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الأراضي المقدسة، ط٢، "دار الشروق" عمان، ٢٠٠٣م.

انظر ايضاً: Atiya, The Crusade, Historiography, p.49.

(٣٦) رحالة اسباني يهودي من مملكة نافار Navare، قام برحلته في مناطق عدة مثل ايطاليا، واليونان، والقسطنطينية، وكذلك انطاكية، وفلسطين، ودمشق، وبغداد، وغيرها عنه انظر:

Wright, Early Travels in Palestine, London 1848, p.83, Hume, Medieval Work of the Knights Hospitallers of Saint John of Jerusalem, Baltimore 1940, p.15.

انظر أيضاً، نقولا زيادة، المرجع السابق، ص٨٥، المنجد، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، ط. بيروت ١٩٦٣م، ص٢٨. محمد مؤنس عوض، الرحالة الاوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧م، ط. القاهرة ١٩٩١م، ص١٥٩-١٧٨.

(٣٧) كان يوحنا ڤورزبورغ من أصل الماني وعمل في احدى الوظائف الدينية في كنيسة ڤورزبورغ بالمانيا، انظر عنه

Hume, Medieval Work, pp.14-15.

(٣٨) الترجمة الانجليزية في مجموعة حجاج فلسطين الجزء الخامس:

Description of The Holy land, by John of Wurzberg, PPTS, Vol.V, Trans. By A. Stewart, London 1896.

ترجمت هذه الرحلة إلى اللغة العربية بعنوان: "وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد البيشاوي، "دار الشروق"، عمانن ١٩٩٧م.

(٣٩) من المحتمل ان ثيودرش هذا هو ثيودريكوس Theodericus الذي أصبح اسقفا لفورزبورغ Wurzberg في عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م عنه انظر: Hume, Op. Cit., p.15

(٤٠) الترجمة الانجليزية في مجموعة حجاج فلسطين الجزء الخامس،

Description of The Holy Places, by Theoderich, PPTS, Vol. V, Trans. by Aubrey Stewart, London 1896.

(٤١) الترجمة الانجليزية انظر:

Wright, Early Travels of Palestine, London 1848.

(٤٢) الترجمة الانجليزية انظر:

Anonymous Pilgrims, I-VII, Trans. by A. Stewart, PPTS, Vol. VI, London 1887.

(٤٣) برتراندون دي لابروكييه مواطن من دوقية جيين Guienne، وكان يعمل مستشاراً للملك فيليب الطيب دوق برجنديا ويظهر لأول مرة في سجلات اسرة الدوق عام ٨٢٥هـ/١٤٢١م، مرتبطاً بلقب خوان سلار، عنه انظر: تقديم محمود زايد لترجمة رحلته إلى العربية.

(٤٤) يلاحظ وجود عدة ترجمات لرحلته مثلاً: Schefer, La Voyage de Bertrand dela Broquies, Paris 1892,
Wright, Early Travels of Palestine, London 1848.

وقد استعنت بترجمة محمود زايد، انظر: رحلة برتداندون دي لابروكييه إلى فلسطين ولبنان وسوريا (١٤٣٢م) مجلة الابحاث، الجزء الثالث، السنة (١٥) لعام ١٩٦٢م.

(٤٥) كان فيتلوس يعمل في منصب رئيس شمامسة أنطاكية، عنه انظر:

Atiya, Crusade, Historiography, p.49.

انظر الترجمة الانجليزية لمؤلفه

Fetellus, Description of The Holy land, Trans. by Macpherson, PPTS, Vol.V, London 1896.

(٤٦) أنظر الترجمة الانجليزية لمؤلفه

The Pilgrimage of Joannes Phocas Trans. by Aubrey Stewart, PPTS, Vol. V, London 1896.

الفصل الأول

تأسيس التنظيمات الدينية الحربية
في مملكة بيت المقدس الصليبية

يعد تأسيس التنظيمات الدينية الحربية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، حدثاً تاريخياً كانت له آثاره في تاريخ الملكة اللاتينية وفي مجريات الصراع الاسلامي–الصليبي، وقد حملت تلك التنظيمات لواء الدفاع عن الوجود الصليبي قرابة قرنين من الزمان (هما السادس والسابع الهجريين/ الثاني والثالث عشر الميلاديين) واستمرت في تأدية ذلك الدور حتى الساعات الأخيرة التي انتهت بطرد الصليبيين من الشام بأكملها على أيدي المماليك في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، وقد قامت تلك التنظيمات بتأدية دورها في ذلك المجال لتفي باحتياجات ماسة تطلبها الوجود الصليبي وسط المحيط الاسلامي المعادي وذلك على المستويين الحربي، والسياسي.

ويلاحظ أن التنظيمات الدينية المسيحية قد ارتبطت منذ تأسيسها ببعد ديني كان له أثره الهام في تأسيسها، وليس من السهل إغفال العوامل الدينية التي صاحبت عملية تكوينها لتشارك من بعد في وصلنا هنا خدمة الوجود الصليبي في بلاد الشام.

ومن الأمور المقررة أن تأسيس تلك التنظيمات الدينية المسيحية قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الحرب المقدسة The just war وتطورها في الفكر الديني المسيحي حتى وصولها إلى ذروة تطبيقها خلال عصر الحروب الصليبية في بلاد الشام ومن ثم كان من الأهمية بمكان تناول ذلك الجانب الايديولوجي الذي انطلقت من خلاله ظروف التأسيس والتكوين لمثل تلك التنظيمات.

ومن المعروف أن الديانة المسيحية نفسها تدعو إلى السلام ونبذ الحرب، ويرد في الكتاب المقدس خاصة العهد الجديد إشارات واضحة عن ذلك[1]، غير أن تطور الأحداث السياسية التي واجهت المجتمع الأوروبي الغربي في العصر الوسيط جعلت فكرة المسالمة في المسيحية تتطور إلى نقيضها تماماً وعملت الكنيسة قصارى جهدها من أجل تطوير فكرة الحرب حتي صارت عقيدة وشريعة لديها.

وعلى الرغم من أهمية الدور الذي لعبه البابوات في الغرب الأوربي في هذا المجال، إلا أننا ينبغي ألا نغفل بعض الأصول التي وجدت وساعدت فكرة الحرب المقدسة على الظهور، وفي هذا المجال، فإن من الباحثين من يؤيد الاتجاه الذي ذهب إليه الباحث اردمان Erdmann، عندما اتجه إلى القول بفكرة المؤثرات الجرمانية الحربية ودورها في فكره الحرب وتطويرها في كيان المسيحية،[2] ويلاحظ أن الجرمان –كما هو معروف– كانت تسودهم صفات حربية غالبة وواضحة وكانت الحرب عندهم تمثل مظهراً من النشاط الإنساني، ولذا فإن تاكيتوس Tacitus قد حدثنا عن مثل تلك الجوانب الهامة في الشخصية الجرمانية،[3] ويقرر البعض ان الشعوب الجرمانية نفسها لم تكن لتقبل أن تتجه نحو المسالمة

في مواجهة أعدائها، وذلك أن تراثها في غرب أوروبا كان يمجد الصفات العسكرية في داخل المجتمع،[٤] لذا كان ذلك المجتمع عندما اعتنق المسيحية ديناً له وحولته البابوية من بعد ليقوم بتحقيق أهدافها قام بذلك على أكمل وجه مستنفراً تراثه العريض من الصفات الحربية.

وقد تطورت فكرة الحرب المقدسة تطوراً هاماً وفعالاً على يد القديس أوغسطين St. Augustin الذي يعد أكبر آباء الكنيسة في الغرب الأوروبي في عصره الوسيط، وصاحب تأثير كبير على الفكر الديني هناك.

وقد كان أهم ما احتواه فكر القديس أوغسطين تناوله لمسألة الحرب العادلة، واشترط أن تكون من أجل تأمين السلام ومن الضروري أن تحوي العديد من الشروط الرئيسة لكي توصف بحق أنها عادلة منها أن ترتبط بإعلان عن شنها وتكون ضرورية لخوضها، ولامناص منها وأن ترتبط بها مُثل وأخلاقيات معينة،[٥] ومن الملاحظ هنا أن أوغسطين كان قد تأثر في بعض أفكاره بشأن الحرب العادلة بأفكار المشرعين الرومان القدماء مثل شيشيرون Cicero وتصوراتهم بشأنها.[٦]

ويضاف إلى الفكرة السابقة أنه أشار إلى أن الحرب التي تشن من أجل أمر مقدس هي بالتأكيد حرب عادلة، وفي تصوره أن الحرب في هذه الحالة يكون الرب قد أمر بشنها وحيث أن حروب الرب عادلة فان الحكام لذلك يحق لهم شنها من أجل أن يدافعوا عن الحق[٧] في تصوره الشخصي بطبيعة الحال.

وقد تدعمت فكرة الحرب المقدسة على أيدي عدد من بابوات الغرب الأوروبي ذوي الصفات القوية الذين وطدوا أقدامهم في مقعد القديس بطرس، وتطلعوا إلى تقوية نفوذ البابوية ويبدو أنهم وجدوا في تطوير فكرة الحرب المقدسة فرصة سانحة لتطوير وضعهم وسيطرتهم على الحياة الدينية، والسياسية، والحربية للمجتمع الغربي الأوروبي بأسره.

كذلك فقد ازداد تطور ونمو تلك الفكرة خلال عهد البابا ليو التاسع Leo LX (١٠٤١-١٠٥٤م)، وقد شارك بنفسه في بعض العمليات الحربية ضد عناصر العصاة من التسكانيين في كامبانيا Campania، وشارك ليو التاسع في محاربتهم على رأس قوة من الفرسان الألمان عام ٤٤٥هـ/١٠٥٣م، غير أن حملته عليهم باءت بالفشل المبين.[٨]

أما البابا اسكندر الثاني Alexander II (١٠٦١-١٠٧٣م)، فقد تطورت فكرة الحرب المقدسة على عهده تطوراً هاماً ذلك أنه منح المحاربين المسيحيين الذين قاموا بقتال مسلمي الأندلس غفراناً من ذنوبهم، وأعلن أن ذلك القتال الذي يقومون به ماهو إلا تكفير من جانبهم عن خطاياهم وقد استباح البابا نفسه دماء المسلمين، من أجل دعم ومساندة حرب الاسترداد الاسبانية أو ماعرف باسم الريكونكوستا Reconquesta[٩] من وجهة نظر الاسبان بالطبع.

وتولى أمر البابوية من بعده البابا جريجوري السابع Gregory VII (١٠٧٣-١٠٨٥م) الذي يعد بحق واحداً من أكبر وأقوى بابوات العصور الوسطى، وأحد واضعي نظرية السيادة البابوية موضع

التنفيذ العملي،[١٠] وعلى الرغم من أن فكرة الحرب المقدسة وجدت من قبل وتطورت على أيدي البابوات السابقين مثل الباب ليو الرابع Leo IV عام ٨٥٣م، والبابا يوحنا الثامن Hohn VIII عام ٨٧٨م، والبابا ليو التاسع Leo IX عام ٤٤٥هـ/١٠٥٣م، والبابا اسكندر الثاني عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م[١١]- على الرغم من ذلك إلا أن المؤرخين يقررون أهمية جريجوري السابع بالذات في تطوير تلك الفكرة، ذلك أنه في تقدير بعضهم "يقف ليمثل نقطة تحول في تاريخ المسيحية الكاثوليكية، ذلك أنه عمل على أن يكون العالم المسيحي متحد، وقد سعى إلى تحقيق قيام ذلك عن طريق القوة المسلحة[١٢] وقد اعتقد ذلك البابا أن أولئك الذين يقتلون في المعارك دفاعاً عن الكنيسة ضد أعدائها فإنهم يتخلصون من ذنوبهم وآثامهم.[١٣]

ويلاحظ أن جريجوري السابع كان غالباً يستعمل تعبير Militia Christi أو جند المسيح في مخاطباته ورسائله، وذلك من أجل التأكيد على أن هذا التعبير قد صار جملة تقليدية وكان يتجه إلى الاستشهاد بأقوال القديس بولس St. Paul من أجل التأكيد على أن الحرب المقدسة لم تكن ضد اراقة دماء أعداء الكنيسة.[١٤] ومن ناحية أخرى فإنه اتخذ الخطوة الهامة لإعلان ان الحرب الدنيوية أو الأرضية يمكن أن تكون دوراً أصيلاً وحقيقياً في الحرب المسيحية،[١٥] وكان ذلك كله له أكبر الأثر في أن صار جريجوري السابع بمثابة واحد من كبار مؤسسي فكرة الصليبيات، والذين وضعوا فكرة الحرب المقدسة في شكلها الأوروبي الوسيط الأكثر تميزاً.[١٦]

كذلك فإن البابا أربان الثاني Urbanus II (١٠٨٨-١٠١١م) قد دعم آراء البابوات السابقين بشأن الحرب المقدسة على نحو واضح في مجمع كليرمون عام ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م لتقع بعد ذلك أحداث الحروب الصليبية.

والواقع إذا كان البابوات في الغرب الأوروبي قد اسهموا في تطوير فكرة الحرب المقدسة فإن بعض الأحداث التاريخية هناك اسهمت هي الأخرى في ذلك، ويقرر المؤرخون أن الحروب التي قام بها شارلمان الكبير Carolus Magnus قد صاحبتها روح دينية خاصة في صراعه مع العناصر الوثنية من السكسون والسلاف والآفار في بوهيميا وبالونيا،[١٧] وكذلك خلال حملاته ضد مسلمي الأندلس وقد نتج عن تلك المعارك والحملات أن تمكن في النهاية من تكوين إمبراطورية مسيحية[١٨] ضم إليها عناصر كانت وثنية وبالتالي فانه وسع حدود الأمة المسيحية وزاد من معتنقي الدين المسيحي من خلال عمليات التعميد الإجبارية التي أجراها وانغمس فيها، وقد عكست طابعاً مناصراً ومناضلاً من أجل المسيحية كما يتصور ساوندرز[١٩]، وفي تقديري انه اثبت بذلك ان المسيحية في بعض مراحل تاريخها انتشرت بحد السيف.

وقد وجد رافد هام من الروافد التي شاركت في دفع وتطوير فكرة الحرب المقدسة وخاصة على مستوى الوجدان الشعبي وتمثل ذالك فيما عرف بشعر الملاحم أو المآثر، وقد شهدت المرحلة الزمنية من عام ١٠٥٠-١١٥٠م ظهور عدد وافر منها وقد عرفت تلك الأشعار باسم Chansons des

Gestes[٢٠]، وكانت أهمها تلك التي نتجت عن حملة شارلمان على الأندلس متحالفاً مع بعض القوى السياسية المسلمة المناوئة لعبدالرحمن الداخل والتي لم يقدر لها النجاح[٢١] وتمثلت فيما عرف بأنشودة رولان[٢٢] La Chanson de Roland، وهي التي يظهر فيها الفارس الفرنسي رولان وزملاؤه على أنهم أبطال يقاتلون المسلمين " الكفار "،[٢٣] وتبدو من خلال أشعارها أن ذلك الفارس كان مثالاً " صليبياً " معيناً ظل يراود الغرب الأوروبي في العصر الوسيط لأجيال عدة.

وإذا كان المظهر الكبير للحرب المقدسة وجد في وسط أوروبا في صورة حروب شارلمان، إلا أن المثل الثاني وجد في اسبانيا من خلال حرب الاسترداد الاسبانية –والتي هكذا يسميها المؤرخون الغربيون– التي شاركت البابوية في تقويتها، ودعمها على كافة المستويات.

ويلاحظ أن البابوية قد وعدت المحاربين في اسبانيا ضد المسلمين بالغفران من ذنوبهم وآثامهم، وكان لذلك أثره في اندفاع اعداد كبيرة من الفرسان والمغامرين الفرنسيين عبر جبال البرانس Pyrennes، وفي خلال تلك الأحداث لعب دير كلوني Cluny دوراً هاماً في دفع فكرة الحرب المقدسة.[٢٤]

وعلى حين كان هذا هو وضع وتطور فكرة الحرب المقدسة في الغرب الأوروبي، فإن الامبراطورية الرومانية الشرقية[٢٥] كانت لها وجهة نظر خاصة بها فلم تحبذ الحرب، ورأت فيها مذابح بشرية تستهلك طاقات البشر وممتلكاتهم ودعم مثل ذلك التصور آباء الكنيسة الشرقية، فنجد أن القديس باسيل الكابادوكي St. Besil of Cappadocia، كان يوصي الجندي الذي يقوم بقتل خصمه في الحرب بأن يمتنع عن العشاء الرباني المقدس مدة ثلاثة أعوام.[٢٦]

وهكذا فإن الاتجاه الحربي للإمبراطورية لم يكن مرغوباً فيه ولم تكن وظيفة الجندي، وظيفة مرغوباً فيها على نحو غيرها من الوظائف. ويرى بعض المؤرخين أن الاتجاه الحربي للإمبراطورية الرومانية الشرقية لم يكن يمثل حروباً هجومية بل أن الحروب التي خاضتها كانت حروباً دفاعية،[٢٧] وهو ما يبدو لبعض الباحثين الذين تستهويهم الروح العسكرية ضرباً من ضروب الجبن والتخاذل، بينما في الحقيقة كانت تعبر عن تلك الأيديولوجية التي رأت في الحرب شراً لا يليق بالمسيحي الحق،[٢٨] ونجد مثلاً لذلك في صورة الأميرة البيزنطية انا كومنينا Anna Comnena التي ألفت كتابها الشهير الكسياد Alexiad، من أجل أن تعظم الأعمال الحربية التي قام بها والدها الامبراطور الكسيوس كومنينوس Alexius Comnenus،[٢٩] إلا أنها مع ذلك ازدرت فكرة الحرب وخوض غمارها ورأت أن الحاكم عليه أن يسعى ما وسعه السعي من أجل تجنب ويلاتها قدر إمكانه.

ومهما يكن من أمر فقد تطورت فكرة الحرب المقدسة في الغرب الأوروبي، وكان من مظاهرها العملية قيام فرق خاصة من الرهبان الفرسان في الوقت نفسه حيث تمثلت من خلالهم فكرة الرهبنة والفروسية، ويلاحظ هنا أن في اسبانيا ظهرت عدة تنظيمات دينية حربية Ordenes Militares وذلك على امتداد القرنين السادس والسابع الهجري/ الثاني والثالث عشر الميلادي. ومن أمثلتها تنظيم

قلعة رياح وسنتياجو والقنطرة وغيرها،[٣٠] والجدير بالإشارة أن من بين تلك التنظيمات ما ظهر قبل التنظيمات الدينية الصليبية في الشام مثل تنظيم القديس سافيوز St. Saviour الذي أسسه الملك الفونسو الرابع Alfonso IV عام ٥١٢هـ/١١١٨م أي قبل تنظيم الداوية في بلاد الشام،[٣١] وقد تولى التنظيم الاسباني حرب المسلمين في اسبانيا بل أن التنظيمات الصليبية عندما ظهرت وجدت انعكاساتها في اسبانيا حيث وجدت بعض التنظيمات التي تأثرت بها.[٣٢]

وبالنسبة للتنظيمات الدينية المسيحية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، فإن من المؤرخين من يستعمل حيالها تعبير التنظيمات أو الهيئات الحربية The Military Orders[٣٣]، ومنهم من يستعمل تعبير التنظيمات الدينية The Religious Order، ومع ذلك فهناك من يفضل تعبير التنظيمات الدينية الحربية The Religious Military Orders.[٣٤]

وكذلك يلاحظ أن الصفتين معاً ترتبطان بتلك التنظيمات ولا يمكن أن نلغي عنها صفتها الدينية فهي أصلاً مؤسسات دينية بمعنى أن كانت الأقسام الديرانية مثل اقسام الفقر والطاعة والعفة تقسم لها وكان افرادها يخضعون للقواعد الديرانية فضلاً عن خضوعهم للقانون الكنسي.[٣٥]

وتعتبر هيئة الاسبتارية بحق أقدم الهيئات الدينية الحربية التي شهد الوجود الصليبي في الشام قيامها، وكانت النموذج الأول الذي تأثرت به كافة التنظيمات الدينية الحربية الأخرى ولذا فقد كان أمراً ضرورياً تناولها قبل غيرها من الهيئات والتنظيمات.

وكلمة "الاسبتارية"، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك المستشفى التي أقامها الأمالفيون في مدينة بيت المقدس لرعاية الجرحى والمرضى من الحجاج، وكلمة مستشفى Hospital مشتقة من الكلمة اللاتينية Hospitium وهناك اشتقاقاتها المتعددة مثل Hostil, Hotel, Hospital, Hospice.[٣٦]

ويبدو أنه لم تكن تلك المستشفى التي أقامها الأمالفيون هي الوحيدة التي أقيمت لتحقق ذلك الهدف وهو المتعلق بالمرضى والجرحى من الحجاج القادمين من أجل زيارة المحارم المسيحية المقدسة، ذلك أن فكرة إنشاء المستشفيات فكرة قديمة سبقت عهد الحروب الصليبية ونشاط الأمالفيين بزمن طويل، فقد أقيمت في إيطاليا، وكذلك في أوستريا العديد من المستشفيات[٣٧] ومن ناحية أخرى، حرص الأباطرة البيزنطيون على تشييد العديد من المنازل من أجل رعاية المرضى من الحجاج في القسطنطينية وغيرها.[٣٨] ومن أمثلة ذلك تلك الإشارة الهامة التي وردت لدى رحلة الشهيد انطونينوس، وهو الذي قام برحلته خلال الفترة الواقعة بين عامي ٥٦٠-٥٧٠م حيث أشار إلى تواجد نزل يسمى نزل القديس جورج Hospice of St. George وقد وقع هذا النزل على بعد عشرين ميلاً من مدينة ايله،[٣٩] ولقد كان اهتمام اباطرة الامبراطورية الرومانية الشرقية كبيراً وبارزاً في ذلك المجال، ومن الأمثلة التي نذكر هنا أيضاً تلك المستشفيات، وأماكن الضيافة التي منحها الامبراطور البيزنطي يوحنا كومنينوس[٤٠] John Comnenus في القرن السادس هـ/الثاني عشر (م)، فقد قدم لأحد الأديرة داراً للاستشفاء خاصة بالرجال، والنساء على حد سواء وقد قدمت هذه الدار خدماتها للفقراء والمرضى، والمسافرين،

وكذلك الحجاج.[41]

وقد بادر الأمالفيون أبناء مدينة أمالفي[42] الإيطالية الشهيرة بنشاطها التجاري إلى اختيار مدينة بيت المقدس مكاناً هاماً مرتبطاً بذكريات المسيحية الأولى، ومحط الحجاج القادمين من شتى أنحاء العالم المسيحي لكي يقيموا فيه مستشفياتهم فقد أدركوا ما كان يتحمله الحجاج من مشاق بالغة في سبيل الوصول إلى أماكن الحج ولذا فقد سعوا إلى الاتفاق مع الحاكم الفاطمي للمدينة من أجل إقامة هذه المستشفى وسمح لقنصل أمالفي باختيار المكان المناسب من أجل انشائها.[43]

ولكن تقف هنا مسألة تعتبر موضع خلاف بين الباحثين الذين تصدوا للكتابة عن التنظيمات الدينية الحربية الصليبية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، وهي تحديد تاريخ اقامة الأمالفيين لتلك المستشفى في بيت المقدس، فيذهب البعض إلى أن ذلك قد حدث عام ٤١٤هـ/١٠٢٣م[44] وكان من أنصار هذا الاتجاه ارتشر بينما رأى فريق آخر أن ذلك قد وقع عام ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م[6] أي منتصف القرن الخامس هـ/الحادي عشر (م)، وهناك من حدد ذلك بعام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م[45] أو عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م،[46] مثلما تصور رنسيمان، ومابر، وباربر، وريتشار أوحتى عام ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م،[47] ومعنى ذلك أن الخلاف بين المؤرخين يقع بين تحديد بناء المستشفى من العشرينات من القرن الحادي عشر (م) والثمانينات من القرن نفسه.

ومن الغريب أن المؤرخين الذين أوردوا مثل تلك التواريخ لم يوردوا مصدراً أصلياً لاتينياً واحداً يدعمون به وجهة نظرهم في تحديد تاريخ بعينه لانشاء التجار الأمالفيين لمشفاهم، وربما كان السبب في ذلك أن وليم الصوري وهو الذي أورد لنا إشارات هامة عن هيئتي الاستبارية والداوية لم يحدد تاريخياً بعينه لتأسيس المستشفى، الأمر الذي جعل الباحثين يدلون بدلوهم في هذا الشأن ويقدمون تواريخ لا تعدو أن تكون فروضاً من جانبهم.

وعلى الرغم من تعدد التواريخ السابقة إلا أنه من الممكن أن نرجح احتمال تأسيس المستشفى في العقد الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، ويدعم هذا الاتجاه ان تلك الفترة شهدت تحسناً واضحاً فيما يتعلق بمعاملة الفاطميين للحجاج المسيحيين، فبعد موقف الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله منهم، تولى من بعده ابنه الظاهر لاعزاز دين الله الذي اتبع سياسة متسامحة مع المسيحيين، ومن الممكن أن نتصور أن ارتباط الأمالفيين بطلب إقامة مستشفاهم في بيت المقدس في عهد الظاهر كان من ناحية أخرى جزء من تنافس بيزنطي–لاتيني، ذلك ان الامبراطور باسيل الثاني Basil II قد اتجه في سياسته الخارجية[48] إلى أن يكون للامبراطورية البيزنطية نوع من النفوذ الروحي على المحارم المسيحية المقدسة، وفي عام ٤١٨هـ/١٠٢٧م عقدت معاهدة هامة بين خليفة باسل الثاني وهو الامبراطور قسطنطين الثامن Costantine VIII والخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله (٤١٢-٤٢٧هـ/١٠٢١-١٠٣٥م) والتي بمقتضاها وافق الامبراطور على أن يسمح باستعادة مسجد القسطنطينية، وذلك في حالة إذا كان مجيزاً لاسترداد كنيسة القيامة في بيت المقدس،[49] ويكون له نوع من السيادة عليها وبدأ

العمل على يد رومانوس الثالث RomanusIII، وبعد وفاة الخليفة كانت الاتفاقية قد جددت عن طريق الامبراطور ميخائيل الرابع Michael IV في عام ٤٢٩هـ/١٠٣٧م مع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله.(٥٠)

وقد عكست مثل تلك الاتفاقيات التسامح الذي اتجهت إليه السياسة الفاطمية تجاه الامبراطورية البيزنطية بعد وفاة الخليفة الحاكم بأمر الله،(٥١) وفي خلال تلك الجهود التي بذلها البيزنطيون لم يكن الغرب اللاتيني أقل تحمساً لكي يسترد بعض الحقوق في المدينة المقدسة، ونتصور أن الخليفة الفاطمي الظاهر قد أظهر ميلاً لذلك فرحب بعرض الأمالفيين بأن يقيموا مستشفاهم في بيت المقدس.

وهكذا فإن تحديد تاريخ انشاء تلك المستشفى من الممكن أن نرجح احتماله خلال ذلك الحين، ويذهب أحد المؤرخين الحديثين إلى تأييد هذا الاتجاه الذي ذكرته فيرى "أنه من العسير أن نحدد تاريخاً لتلك البيوت الدينية المرتبطة بالأرض المقدسة، ولابد أن مثل هذه المستشفيات قد حدث بعد عام ٤٠٥هـ/١٠١٤م عندما توقف الاضطهاد المتصل بالمسيحيين في بيت المقدس،(٥٢) وقد وجد من المؤرخين الحديثين من اتجه إلى تأييد القول بأن ذلك الحدث الهام قد وقع في خلال العقد الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، فأيد ذلك عدد منم المؤرخين مثل كنج،(٥٣) ودينسلي،(٥٤) وباركر.(٥٥)

وهكذا فقد أقام الأمالفيون مستشفاهم واتجهوا إلى العناية بالمرضى من الحجاج والمحتاجين منهم،(٥٦) وقد قُدِّر لتلك المستشفى أن تلعب دوراً هاماً في حياة المملكة اللاتينية خاصة في الفترة الباكرة.(٥٧)

وقد عرفت الهيئة بهيئة الاسبتارية Hospitallers،(٥٨) وعرفت في المصادر اللاتينية باسم: "Ordo Equitum Hospitaliorum Sancti Lohannis Hierosolymitani".(٥٩)

وبعد خروج الصليبيين من الأرض المقدسة صار اسمهم فرسان رودس حيث انتقلوا إلى تلك الجزيرة The Knights of Rhodes،(٦٠) وأخيراً تحولوا إلى جزيرة مالطة عام ٩٣٧هـ/١٥٣٠م فعرفوا باسم فرسان مالطة The Knights of Malta.(٦١)

أما المصادر العربية، فقد عرفت الهيئة باسم الاسبتارية،(٦٢) كذلك وجد لهم تعبير آخر دل عليهم وهو "الاسبتار"(٦٣) وهو بطبيعة الحال تحريف لكلمة Hospitallers واستمرت الصيغتان السابقتان تترددان على هذا النحو في المصادر العربية المعاصرة لمرحلة الحروب الصليبية وتناقلتها المصادر اللاحقة والمتأخرة.

وقد استمرت هيئة الاسبتارية تقوم بعملها الخيري من أجل رعاية المرضى والفقراء والجرحى من الحجاج المسيحيين إلى الشرق حيث كان يتولى قيادة ورئاسة المستشفى شخص ما يدعى جيرارد Gerard،(٦٤) ومع ذلك يخلط أحد الباحثين بين جيرارد، والمقدم بالتالي للهيئة وهو رايموند دي بوي Raymond du Puy فيورد اسمه على أنه جيرارد لي بوي Gerard le Puy،(٦٥) وفي هذا خلط واضح لايجد من المصادر الأصلية ما يبرره.

ويبدو أن شيئاً من الغموض يحيط حياة جيرارد وأصله على وجه الدقة،[٦٦] ومن المؤرخين من يرى أنه كان من أصل أمالفي،[٦٧] وهناك من يعتبره من أصل بروفنسالي،[٦٨] ويرى أحد الباحثين الحديثين أن هذه المسألة لاتزال موضعاً للخلاف ولم يتم حسمها.[٦٩] ومع ذلك فمن الأمور المتفق عليها أن جيرارد هذا كان قد لعب دوراً بارزاً قيادياً في إدارة المستشفى لتحقق أهدافها الخيرية والعلاجية وقد كان بالفعل المؤسس الفعلي للهيئة،[٧٠] ونظراً لأهمية دوره فقد تردد ذكره في وثائق البابوات باسكال الثاني PaschIII، وكالكستوس الثاني Calixtus II،[٧١] وقد تلقب بلقب له دلالته الخاصة وهو "الخادم المخلص للفقراء".[٧٢]

أما بالنسبة لمدة تولى جيرارد مهام منصبه في ادارة المستشفى وفي تكوين تلك الهيئة التي تمت من خلالها فنعرف أنه تولى ذلك العمل حتى عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠م،[٧٣] وهو تاريخ تولى رايموند دي بوي قيادة الهيئة من بعد جيرارد ومع ذلك فان كوندر Conder يقرر أن جيرارد قد صار أول مقدم للرهبان الفرسان من عام ٥٠٧هـ/١١١٣م حتى وفاة الملك الصليبي بلدوين الأول Baldwin I،[٧٤] وهذا القول ينطوي على خطأ واضح ذلك أن بلدوين الأول حكم في المدة ٤٩٣-٥١٢هـ/ ١١٠٠-١١١٨م وذلك من خلال دراسة الحملة الصليبية نفسها،[٧٥] والحقيقة أن جيرارد استمر قائماً يمارس عمله بعد عامين من تحديد كوندر ولم يتوف إلا عام ٥١٤هـ/ ١١١٢٠م.

وقد قام جيرارد بدور نشط في خلال أحداث حصار المدينة من جانب الصليبيين، وأكد هذه الحقيقة ذلك الموقف الذي اتخذه منه حاكمها الفاطمي افتخار الدولة[٧٦] قد ألقى القبض عليه،[٧٧] لمنعه من التعاون مع أعداء المسلمين، ويتفق المؤرخون على أن جيرارد قد قام بدور نشط في معاونة الصليبيين في ظروف حصارهم للمدينة المقدسة،[٧٨] وساعده على ذلك أنه عاش فيها مدة طويلة فكان في قدرته أن يعرف طرقها ومسالكها ومداخلها على نحو دقيق، كذلك ينبغي ألا نغفل أن هذا الاجراء من جانب افتخار الدولة كان جزءاً من سياسة اتبعها لمواجهة الموقف العصيب الذي واجهه المسلمون والحامية الفاطمية داخل بيت المقدس، بحيث نعرف أنه عمل على طرد عناصر السكان المسيحيين من المدينة حتى لا يتعاونوا مع عناصر الصليبيين المحاصرين لها بأن يدلوهم على عورات المسلمين.[٧٩]

ويبدو أن الدور الذي لعبه جيرارد كان له أثره الكبير في تقدير الصليبيين له، وتقديرهم للهيئة نفسها، حيث أنهم عملوا على زيادة الاهتمام بها على نحو مكنها من القيام بدور أبرز وأكبر في رعاية المرضى والجرحى.

والواقع أن نجاح الصليبيين في دخول بيت المقدس بعد حصارها واسقاطهم لها عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م يعتبر حدثاً تاريخياً هاماً في تاريخ هيئة الاسبتارية، اذ اعتبره أحد المؤرخين بمثابة الميلاد الحقيقي للهيئة لما حظيت به من اهتمام كبير من جانب الصليبيين.[٨٠]

وبعد الاستيلاء على بيت المقدس من جانب الصليبيين نجد عمل ونشاط الهيئة قد تزايد على نحو كبير، وتعليل ذلك أن المستشفى قد استقبلت العديد من الجنود الصليبيين الجرحى وعولجوا بعناية.[٨١]

وقد ساعد على تقدم وتطور الهيئة أن القيادة السياسية للمملكة اللاتينية عملت في دعمها، وقد تمثل ذلك في الموقف المعضد الذي اتخذه جود فري البويوني الذي تولى حكم المملكة، وقد زار المستشفى ومنح الهيئة بعض المنح والهدايا،[٨٢] وكذلك فانه أقر للهيئة ببعض الأملاك التي أوقفها لحساب المستشفى،[٨٣] ونعرف أنه منح الهيئة المنطقة المعروفة باسم كاسل هيسيليا Casl Hessilia أو ES-Silsilah) وبعض المناطق الأخرى،[٨٤] ولاريب في أن ذلك الموقف قد دل على اهتمام القيادة السياسية الصليبية بأمر الهيئة تقديراً لجهودها خدمة للصليبيين، وقد دعم ذلك الهيئة على كافة المستويات السياسية والمالية، ويلاحظ أن السياسة نفسها التي اتبعها جود فري البويوني قد سار عليها خلفه الملك بلدوين الأول Baldwin I فيحدثنا البرت دكس Albert of Aix انه بعد انتصار الملك الصليبي المذكور على المصريين في معركة الرملة عام ٤٩٥هـ/ ١١٠١م قدم عشر الغنائم للهيئة،[٨٥] وبعد ذلك بنحو تسع سنوات صدق بلدوين على الهبات التي خصصت للهيئة في انحاء المملكة، وبعد ذلك بعامين أي في عام ٥٠٦هـ/ ١١١٢م فإنه وافق على كافة ممتلكاتها، وعند وفاته في عام ٥١٢هـ/ ١١١٨م، فإن جسده ربما يكون قد كُفِّن في المستشفى قبل دفنه في كنيسة الضريح المقدس،[٨٦] وقد عكس ذلك بطبيعة الحال التعلق بالمستشفى وبالهيئة وبخدماتها الخيرية والعلاجية.

ويلاحظ أن مثل هذه السياسة التي وجدنا ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية الأوائل يتبعونها حيال التنظيمات الدينية المسيحية في بلاد الشام صارت سياسة عامة اتبعها خلفاؤهم من بعد ما بقيت تلك التنظيمات تؤدي دورها خدمة للنشاط الصليبي، وحذا حذوهم الأمراء الصليبيون فقدموا المنح والعطايا العديدة للاسبتاريين.[٨٧]

أما من ناحية البابوية فان البابا باسكال الثاني Paschal II قد أصدر مرسوماً بابوياً بالاعتراف بالهيئة في ١٣ فبراير عام ١١١٣م وقد حمل اسم: "Pie Postulatio Voluntalis"[٨٨] ولذلك، من الممكن اعتبار التأسيس الرسمي للهيئة قد تم حوالي ذلك الوقت، وتتضح أهمية المرسوم البابوي الذي صدر في أنه احتوى ما تمتلكه الهيئة من ممتلكات وهبات، وهي التي تزايدت بعد ما قدم لها النبلاء والأمراء الصليبيون العديد من الأملاك دعماً لها،[٨٩] وقد جعلت المنحة البابوية الهيئة تحت الحماية والرعاية البابوية الكاملة الأمر الذي أدى إلى نتائج هامة أخرى، وهي أن الهيئة صارت تدين بالولاء من الآن فصاعداً للبابوية ولم تكن توجه ولاءها قط لملك صليبي، ومن جهة أخرى كانت تلك الامتيازات لها دورها في أن تزايد قدرها ونفوذها السياسي على نحو واضح الأمر الذي جعل أحد الباحثين يرى في تلك الهيئة انها كانت بمثابة " دولة داخل الدولة " في وسط الكيان الصليبي.

ومن جهة أخرى، يبدو أن بعض التطورات قد حدثت في الهيئة في ذلك الحين، ومن تلك التطورات مسألة القديس الحامي لها، ويلاحظ أنه في أول الأمر كان قديسها الحامي هو القديس يوحنا المتصدق.[٩٠]

ويلاحظ أنه فيما بعد تغير الأمر وصار القديس الحامي للهيئة هو القديس يوحنا المعمدان،[٩١] أما

سبب هذا التحول فربما يكون مرجعه إلى أن الهيئة وجدت أن القديس يوحنا المتصدق كان معروفاً على نطاق ضيق بينما كان القديس يوحنا المعمدان يتمتع بنفوذ قوي.(٩٢)

والجدير بالاشارة أن هيئة الاسبتارية قامت على أسس النظام الديزاني البندكتي الذي أسسه القديس بندكت(٩٣) (٤٨٠-٥٤٤م) ودل هذا بطبيعة الحال على مدى التأثير الكبير الذي أوجده هذا القديس على النحو الذي جعل هيئة الاسبتارية تقوم على أسس هذا النظام مثل الفقر والطاعة والعفة.(٩٤)

مهما يكن من أمر، فقد استمرت المستشفى في تأدية واجباتها الملقاة على كاهلها خدمة للوجود الصليبي في بلاد الشام، ومن الممكن أن تتتبع نشاطها من خلال ما ذكره الرحالة اللاتين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية ومروا بالمستشفى التابع لهيئة الاسبتارية، وعلى رأس اولئك الرحالة الذين زاروا المستشفى بنيامين التطيلي Benjamin of Tudelo، وكذلك يوحنا ڤورزبورغ John of Würzberg، وفتيلوس Fetellus، وثيودريش Theoderich، ويوحنا ماندفيل John Maundeville.

أما الرحالة بنيامين التطيلي، فقد زار بيت المقدس عام ٥٥٩هـ/١١٦٣م،(٩٥) وأورد لنا عن المستشفى رواية هامة حيث أوضح أنه في بيت المقدس يوجد مستشفيان متسعان لإيواء أربعمائة من فرسان الاسبتارية عدا المرضى الذين يجهزون بكل مايلزمهم في الحياة وبعد الممات.(٩٦)

وقد بلغنا وصف قدمه يوحنا ڤورزبورغ الذي قام برحلته بين عام ٥٥٦هـ/١١٦١م وعام ٥٦٦هـ/١١٧١م حيث أورد لنا أوضاع المستشفى وحجراتها المتعددة وأكد لنا انها تخدم أعداداً كبيرة من المرضى المسيحيين سواء أكانوا من الرجال أو النساء، وأشار إلى أنه عندما زارها علم أن المرضى بها بلغ عددهم الألفين،(٩٧) وان لم يوضح ذلك الرحالة ما إذا كان هذا العدد يرتبط بالذين يترددون على المستشفى ام الذين يقيمون بها بغرض العلاج؟ وان كنا نلاحظ هنا أن أعداد المرضى، والجرحى بها كان عرضة للزيادة والنقصان وفق مقتضيات الصراع المسلح الإسلامي الصليبي وتردد أعداد من الجرحى من الفرسان الصليبيين على المستشفى للعلاج، ومن ناحية أخرى، تناول يوحنا ڤورزبورغ تلك الصدقات التي توزعها المستشفى على المرضى، والفقراء، وفي هذا الشأن فانه لم يفته أن يقارن بين حجم الصدقات التي تخرجها هيئة الاسبتارية، والهيئات الأخرى المعاصرة لها خاصة هيئة الداوية، فقد أشار إلى أن الأخيرة لا تنفق إلا عشر ما تخرجه هيئة الاسبتارية من أموال في أعمال الخير والبر.(٩٨)

ويبدو أن الاهتمام الذي حظيت به هيئة الاسبتارية لدى يوحنا ڤورزبورغ لم نجد له صدى مماثلاً عند فتيلوس الذي زار بيت المقدس بعد يوحنا فقد أشار فتيلوس عرضاً إلى أن المستشفى تقوم بعلاج المرضى، والفقراء، والمحتاجين،(٩٩) وكذلك كان الحال بالنسبة لأحد الرحالة اللاتين المجهولين.(١٠٠)

أما الرحالة ثيودريش الذي قام برحلته عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، فقد أشار إلى ما تمتعت به المستشفى من نفوذ عريض والى اتساع املاكها على امتداد أرض فلسطين.(١٠١)

ويلاحظ أنه بالنسبة للرحالة يوحنا ماندفيل الذي قام برحلته عام ٧٢٢هـ/١٣٢٢م أي بعد خروج

الصليبيين من بلاد الشام كافة أشار إلى المستشفى وخدماتها التي كانت تقوم بتقديمها للمرضى، والجرحى.(١٠٢)

ولاريب في أن هيئة الاسبتارية قد واصلت عملها الخيري والعلاجي إلى أن أحطات بالوجود الصليبي في بلاد الشام ظروف معينة دفعت بالصليبيين إلى الاستعانة بالهيئات والتنظيمات الدينية في ظروف الصراع المسلح مع المسلمين ليصل الأمر بهيئة الاسبتارية وغيرها من الهيئات أن تولت أمر الدفاع عن الوجود الصليبي إلى جانب عناصر الجيش الصليبي.

وتأتي على رأس الصعاب التي واجهت الصليبيين قضية نقص العنصر البشري، وهي قضية طالما هددتهم على امتداد تواجدهم في بلاد الشام، ويلاحظ ان الدعم البشري الاوروبي لم يكن منتظماً وبصورة مستمرة بل كان متقطعاً مرتبطاً بالحماس للمشاركة في النشاط الصليبي، فضلاً عن أن ذلك الدعم البشري كان عرضة للعديد من الأخطار في طريقه إلى الشام، وحقيقة أن الحجاج كانوا يقدمون للحج في أعداد كبيرة غير ان القليل منهم من كان يستمر في البقاء في المملكة اللاتينية بل أن أغلبهم كان يعود إلى الغرب مرة أخرى بعد انتهاء هدفه الديني المحدد الذي من أجله قدم،(١٠٣) وتحمل مشاق الانتقال وعقبات الطريق، ومن ناحية أخرى، فقد كان لاشتداد هجمات المسلمين أثرها في أن مثلت عاملاً طارداً للسكان الذين كانوا يفكرون في الاستقرار ضمن أملاك الصليبيين، ودفعتهم الحروب والمعارك الناجمة عن الصراع الاسلامي الصليبي إلى العودة إلى بلادهم.

اما الجانب الآخر من تلك الصعاب فيتمثل في جانب حربي هام، ذلك أن احتلال البلاد من جانب الصليبيين لم يكن احتلالاً كاملاً، وكان الريف لايزال يحوي اعداداً كبيرة من سكان البلاد المسلمين من الذين كانوا داخل الكيان السياسي الصليبي وإذا كان الصليبيون قد استولوا على بعض المناطق الا ان البعض الآخر لم يستولوا عليه،(١٠٤) فقد كانت مدينة صور مثلاً حتى عام ٥١٨هـ/١١٢٤م في أيدي المسلمين، كما كانت مدينة عسقلان حتى عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م في أيدي الفواطم، وقد وصفت عسقلان بأنها بوابة فلسطين الجنوبية وظلت لمدة طويلة تهدد حدود المملكة اللاتينية(١٠٥) من الناحية الجنوبية، وطالما حدثتنا المصادر اللاتينية المعاصرة عن هجمات الفاطميين الحربية من جانب حامية عسقلان المصرية(١٠٦) على أملاك الصليبيين ولمواجهة تلك الحامية أقام الصليبيون قلعة بيت جبرين Bait Gibrin بالقرب من عسقلان لمواجهة هجمات المصريين وقد عهد بأمر القلعة إلى هيئة فرسان الاسبتارية، فكان ذلك بمثابة أول عمل حربي يعهد به إلى هذه الهيئة،(١٠٧) وفي هذا المقام فإنه من الخطأ ما تصوره أحد الباحثين عندما اعتقد أن قلعة بيت جبرين هي نفسها قلعة مخاضة الأحزان،(١٠٨) ذلك أن الأولى وقعت في جنوب فلسطين، والثانية في شمالها وفي مواجهة مدينة دمشق بل أن بيت جَبرين خضعت لهيئة فرسان الاسبتارية أما مخاضة الأحزان فقد خضعت لسيطرة هيئة فرسان الداوية.

وهكذا فقد الحت العوامل السابقة والصعاب التي واجهت المملكة اللاتينية في إيجاد قوة حربية فتية فكانت قوة هيئة الاسبتارية، وكان اشتراكها في الناحية الحربية إلى جانب الصليبيين بمثابة دماء

جديدة تدفقت في جسد المملكة ودعمت بقاءها أمداً طويلاً.

ولكن هل من الممكن تحديد تاريخ بعينه ليكون بمثابة توقيت اشتراك هيئة فرسان الاسبتارية كقوة حربية لدعم الوجود الصليبي في الشام؟ يلاحظ أنه مثلما اختلف المؤرخون في تأسيس الأمالفيين لمستشفاهم فإنهم اختلفوا أيضاً في تحديد تاريخ التحول الحربي في حياة هيئة الاسبتارية، وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن ذلك حدث في أوائل القرن السادس هـ/ الثاني عشرم[١٠٩]، بينما ذهب برستاج إلى القول بأن ذلك قد تم عام ٥١٢هـ/١١١٨م،[١١٠] وأيده أحد الباحثين في ذلك،[١١١] ورأت إحدى الباحثات أن ذلك التحول وقع حوالي عام ٥٢٢هـ/١١٢٨م وارتبط ذلك بالظروف التي واجهتها المملكة اللاتينية خاصة الأزمة التي أعقبت أسر جوسلين دي كورتناي أمير الرها،[١١٢] وتصور ما ير أن عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م هو عام اشتراك الهيئة كقوة حربية إلي جانب الصليبيين،[١١٣] بينما رأى سمايل أن حصول الهيئة على قلعة بيت جبرين عام ٥٣١هـ/١١٣٦م، وحصن الأكراد في عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م لا يعني أن الهيئة تحولت على الفور إلى أن تكون هيئة حربية.[١١٤]

أما بالنسبة للآراء القائلة بأوائل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وبعام ٥١٢هـ/ ١١١٨م فربما تكون أبعد الآراء عن الحقيقة التاريخية، حيث لايجد هناك مصدراً لاتينياً معاصراً واحداً يدعمه ويبدو أنه قد أورده المؤرخون الذين ربطوا بين اشتراك الداوية كهيئة حربية وهيئة الاسبتارية فتصوروا أن ذلك العام هو بداية التاريخ الحربي للهيئة الأخيرة، وبخصوص الرأي القائل بعام ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م هو عام التحول الحربي للإسبتارية فإنه يتعارض -أغلب الاحتمال- مع تسلسل الأحداث ومنطقها، وقد اعتمد ذلك الرأي على أساس أن هيئة فرسان الاسبتارية عهد إليها أمر احدى القلاع الحربية، ولكننا نتصور أن بدايات التحول الحربي ربما كانت قبل ذلك خاصة ان اعطاء بعض القلاع ذات الأهمية الاستراتيجية الكبيرة لا نتصور أن المملكة اللاتينية تقدم على اعطائها لهيئة كانت بكل المقاييس ناشئة حينذاك أول ما تعطيها لكي تقوم بدور حربي، ونتصور أيضاً أن بعض المسئوليات الحربية الأقل خطورة عهد بها للهيئة قبل مسئولية القلاع، أما القول بعام ٥٢٢هـ/١١٢٨م فهوعلى الأرجح أقرب الآراء إلى الحقيقة التاريخية ويجد دعماً على المستويين الوثائقي والسياسي، أما الجانب الوثائقي فيتمثل في أن أول إشارة وصلتنا من وثائق التنظيم عن وظيفة الكونستابل كانت ترجع إلى عام ٥٢٢هـ/١١٢٨م،[١١٥] وهي وظيفة عسكرية هامة في سلك وظائف الهيئة،[١١٦] واذا كان أمراً هاماً ومُلحاً للهيئة أن يكون لديها وظيفة بمثل هذه الأهمية الحربية فمن الأمور الأقرب إلى المنطق أن الهيئة قد شاركت في أنشطة حربية حوالي ذلك الوقت، أما المستوى السياسي؛ فيتمثل في المأزق الذي وقعت فيه ا لمملكة اللاتينية وأسر جوسلين دي كورتناي صاحب الرها،[١١٧] ويرى كنج أن هذا يدل على أن مثل هذا التحول كان لابد وأنه تم بصورة تدريجية إلى أن أصبح جانباً هاماً من جوانب نشاط هيئة فرسان الإسبتارية أن تشارك في النشاط الحربي الصليبي.[١١٨]

ولكن إلى جانب العوامل التي أدت إلى تحول الاسبتارية إلى الوجهة الحربية، كانت هناك بعض

الدوافع التي أثرت على هذه الناحية الا وهي وفاة جيرارد مقدم الهيئة في عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠م[١١٩] وتولى رايموند دي بوي Raymond du Puy أمر الهيئة من بعده طوال نحو أربعين عاماً متوالية من ٥١٤-٥٥٥هـ/ ١١٢٠-١١٦٠م،[١٢٠] الأمر الذي وفر لها مدة طويلة من الامتداد والاستقرار في تنفيذ سياسته الجديدة التي اتجهت إلى تحويل الهيئة إلى المشاركة في النشاط الحربي الصليبي إلى جانب استمرار عملها الخيري فيما يتعلق برعاية الحجاج والمرضى والجرحى.[١٢١]

ويلاحظ أنه قبل ذلك بعامين وفي عام ٥١٢هـ/١١١٨م تم تأسيس هيئة أو تنظيم الداوية وهي هيئة اختلفت عن هيئة فرسان الاسبتارية في أنها تبنت سياسة حربية منذ بداية نشأتها، وربما يكون تأسيس هيئة فرسان الداوية وتبنيها لتلك السياسة العامل الهام الذي دفع برايموند دي بوي- المقدم الجديد- إلى تبني الاتجاه الحربي نفسه وادماجه ضمن نشاط هيئته، ويلاحظ أن براور يعلق أهمية خاصة على هذه الناحية فيقول: "هذا التنظيم الذي كان قد تأسس منذ جيل مضى كان عليه أن يواجه منافسة قوية بسبب حرارة القبول الذي لقيه التنظيم الجديد، تنظيم الداوية، وقد واجه الاسبتارية هذا التحول بأن أضافوا أعباء عسكرية إلى التزاماتهم "[١٢٢] ومن الاسباب التي تدعو إلى الاعتقاد بهذه الفكرة نفسها أننا لانسمع عن اتجاه جيرارد إلى تلك الناحية الحربية، وربما كان هم جيرارد في المرحلة الأولى والباكرة من تاريخ الهيئة أن يدعم نشاطها الرئيس الخاص برعاية المرضى والجرحى ويجعل تطور الأحداث السياسية التي يمر بها الصليبيون لها دورها في التأثير على تطور الهيئة.

وقد ارتبطت هيئة فرسان الداوية Templars أو Templiers، بنشاط زاخر من جانب اثنين من الفرسان الفرنسيين وجمع من اتباعهما وهما هيودي باين Hugh de Panes وزميله جود فري دي سانت أومير Godfrey de Saint Omer، ونعرف أن هيودي باين كان قد انحدر من أصل فرنسي من عائلة تتبع كونت شامباني Champagne وقد اشترك في الحملة الصليبية الأولى،[١٢٣] أما زميله جودفري دي سانت أومير فقد كان أخاً لوليم صاحب سانت أومير في كونتية أرتوا Artoisوقد عملت هذه المجموعة التي كانت من العلمانيين على تكوين هيئة تدافع عن الحجاج المسيحيين ضد الهجمات التي كانوا يتعرضون لها من جانب المسلمين.

وكذلك فإن المشاق التي كان الحجاج يلقونها إلى أن يصلوا إلى المحارم المسيحية المقدسة كانت على قدر كبير من الصعوبة وذلك وفق ما ذكره على نحو مفصل مؤرخ المملكة اللاتينية وليم الصوري،[١٢٤] وكانت حامية عسقلان -كما اسلفت القول- تقوم بغاراتها على حدود المملكة ومن ناحية أخرى كانت عناصر البدو[١٢٥] تقوم بمهاجمة طرق المواصلات في المنطقة الواقعة بين يافا، والقدس، وكانت حكومة الصليبيين عن طريق ملوك بيت المقدس تعمل على عقد اتفاقيات مع شيوخ هذه القبائل البدوية من أجل تأمين المملكة خاصة حدها الجنوبي،[١٢٦] وكل ذلك بالطبع كان له أثره في أن صار أمراً معتاداً أن تطالعنا كتابات الرحالة اللاتين المعاصرين إشارات هامة عن مصاعب يلقاها الحجاج اللاتين في طريقهم للحج ولدينا وصف موجز وان كانت له دلالاته الهامة لطريق يافا-القدس، وهو الطريق

الذي قامت هيئة فرسان الداوية بحمايته، فيذكر الحاج الأب دانيال الروسي Abbot Daniel أن الطريق غير بعيد من يافا إلى بيت المقدس ويقع عبر الجبال الصخرية وهو من أكثر الطرق صعوبة ووعورة وخطراً.(١٢٧)

وقد اتجه هيودي باين وزميله ورفقاؤهما إلى تكوين هيئة الداوية من أجل حماية الحجاج في طريقهم إلى الأرض المقدسة،(١٢٨) وهكذا نشأت هيئتهم حربية الطابع منذ بدأ تأسيسها، ولذا فإنه من العسير قبول الرأي الذي ذهب إليه باركر عندما تصور أن هيئات الاسبتارية والداوية والتيوتون بدأت جميعها بدايات خيرية،(١٢٩) وذلك أن الداوية تميزت بالبداية الحربية لها من دون الاسبتارية والتيوتون.

والواقع أن القليل يعرف عن هذه المجموعة من الفرسان، وهيئتهم الناشئة الذين اتبعوا الأقسام الديرانية المتعلقة بالفقر والطاعة والعفة Chastity, Poverty, Opedience وقد أقسموا هذه الأقسام أمام بطريرك بيت المقدس،(١٣٠) وبذلك يكونون قد هجروا الفروسية الدنيوية التي كان هدفها الصنيع الانساني وقد أطلقوا على أنفسهم لقب الجنود الفقراء ليسوع المسيح "Poor Fellow Soldiers of Jesus Christ".(١٣١)

ولكن ماهو التحديد الزمني الذي تم خلاله تأسيس هيئة فرسان الداوية، والواقع انه بينما يحدد وليم الصوري تاريخ إنشائها بعام ٥١٢هـ/١١١٨م(١٣٢) فقد وجد المؤرخ أمادي الذي رأى أنها تكونت عام ٥١٣هـ/١١١٩م، ومع ذلك فمن الممكن ترجيح عام ٥١٢هـ/١١١٨م على اعتبار أن جورمون بطريرك بيت المقدس قد اصبح بطريركاً في نهاية محرم ٥١٢هـ/ابريل ١١١٨م(١٣٣) وهو البطريرك الذي تم في عهده تأسيس الهيئة.

أما عن موقف مملكة بيت المقدس فقد كانت معضداً للهيئة الجديدة فتذكر المصادر اللاتينية أن بلدوين الثاني عمل على تخصيص مسكن خاص بهم، وقد عمل الصليبيون من قبل ذلك على تحويل قبة الصخرة إلى كنيسة تسمى معبد السيد Templum Domini كما أنهم استخدموا المسجد الأقصى لمصالحهم وأهدافهم وأطلقوا عليه اسم معبد سليمان Templum solomonis،(١٣٤) وقد قسموه – كما أسلفت – إلى ثلاثة أقسام الأول كنيسة، والثاني مسكناً للداوية، والثالث مستودعاً لذخائرهم، وكان منحهم هذا المكان سبباً في تسميتهم بفرسان المعبد،(٧) وقد عمل الداوية بعد ذلك على تعمير المنطقة المجاورة لهذا المكان وأنشأوا العديد من المباني والكنائس.(١٣٥)

أما بالنسبة للمصادر العربية فان اسم هيئة الداوية أو فرسان الداوية قد تردد فيها في صورة شكلين هما "الداوية"(١٣٦) أو "الديوية"(١٣٧) واستمر هذان الشكلان يترددان طوال مدة الوجود الصليبي في بلاد الشام وما تلاه.

ولكن لنا أن نتساءل ما أصل كلمة الداوية؟ وكيف دخلت إلى اللغة العربية وترددت في المصادر التي الفها المؤرخون في ذلك العصر ومن لحق بهم؟ الواقع أن أحد الباحثين يذكر "ان الداوية اسم اطلقه المؤرخون العرب على جماعة فرسان المعبد لبلائهم واستبسالهم في القتال"(١٣٨) وفي الحقيقة

أن هذا الرأي لا ينطوي على تعليل حقيقي لأصل التسمية. ولدينا تعليل آخر من جانب باحث آخر حيث يذكر أنه من الخطأ ارجاع ذلك الاسم إلى أصله اللغوي العربي مثل "الدوى"، ويرى بعد البحث في مؤلفات مؤرخي السريان المعاصرين لمرحلة الحروب الصليبية ومنهم المؤرخ ميخائيل الكبير بطريرك اليعاقبة (٥٦٢-٥٩٦هـ/١١٦٦-١١٩٩م) والذي كان متداخلاً مع الصليبيين ورؤسائهم الدينيين في كل من بيت المقدس وأنطاكية، وكذلك مؤلفات المؤرخ الرهاوي المجهول ت٦٠١هـ/١٢٠٤م، وما كتبه ابن العبري،[١٣٩] واتضح ان اولئك المؤرخين عندما يتحدثون عن فرسان المعبد فانهم يرددون تارة اسمهم العام أي "Freres" وتارة أخرى يذكرون بجواره ترجمته السريانية وهي "ر،مسا" والكلمة الأخيرة هي جمع لكلمة "و،مسا" وهي التي تنطق داوية (Dauyya) المشتقة من الفعل "و،ا" وهي التي كانت تعني بائساً أو فقيراً،[١٤٠] ومن المعروف ان فرسان الداوية كانوا يُسمون الرفقاء الفقراء للسيد المسيح كما أسلفت الذكر، وبذلك تكون هذه الكلمة السريانية قد ترددت في ذلك العصر ثم انتقلت إلى المؤرخين المسلمين فأوردوها في كتبهم، ويلاحظ أن المؤرخ ميخائيل الكبير قد أورد مرة واحدة في مؤلفه ان الداوية تعني الالهيين وربما كان أصلها الكلمة اللاتينية "Divus" "اله" وجمعها "Divi"أي الهيين،[١٤١] ولكن الباحث يرى أن القول الأخير لايجد سنداً في المؤلفات التي كتبها المؤرخون اللاتين وآثر الرأي الأول.[١٤٢]

ومن جانبي فانه ليس من اليسير تحديد أصل كلمة "الداوية" نظراً للخلاف الواقع بين الباحثين في هذا الشأن، وعدم وجود رأي حاسم في هذه الناحية.

وكذلك يلاحظ أن المؤرخين المسلمين وان كانوا لم يتناولوا أصل تسمية الداوية إلا أنهم أدركوا خطرها الداهم على المسلمين في بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية، وقد عكس هذه الفكرة ابن الأثير الذي رأى في الداوية أنهم "جمرة الافرنج"،[١٤٣] وشاركه في ذلك العثماني قاضي قضاة صفد،[١٤٤] اما ابن العديم فإنه رأى فيهم أنهم "استطالوا على المسلمين والفرنج".[١٤٥]

ويلاحظ أن هيئة فرسان الداوية قد لقيت دعماً سياسياً له شأنه الكبير عندما حصلت على موافقة الأوساط الكنسية الغربية وذلك في مجمع تروى Troy بمقاطعة شامباني الفرنسية في ١٨ محرم ٥٢٢هـ/١٣ يناير ١١٢٨م،[١٤٦] وفي هذا المجمع قام القديس برنارد دي كليرفوه[١٤٧] Bernard de Clairvaux بدور بارز في الدفاع عن هيئة الداوية وقد القى خطبة امتازت بالفصاحة وقوة البيان تحت عنوان "De Laude Novae Militae" أو "On the praise of the new knighthood" أي "في مدح الفروسية الجديدة" ولا تزال هذه الخطبة بنصها اللاتيني بين أيدينا،[١٤٨] وقد أشاد فيها بالهيئة الجديدة ورأى في قيامها تأكيدا لارتباط الفروسية والرهبنة.

وترجع اهمية مجمع تروى إلى أنه كان أشبه شيء بمظاهرة مسيحية لتأييد قيام الهيئة الجديدة الأمر الذي ضمن لها البداية القوية، والمساندة من جانب الأوساط الكنسية في الغرب الأوروبي لأمد طويل، ثم أنه في خلال المجمع تم وضع القوانين الخاصة بالهيئة وقد حددت دور كل عنصر من العناصر

التي كونت الهيئة.

وإذا كان القديس برنارد دي كليرفوه قد قام بدور نشط في أثناء عقد مجمع تروى فان هيو دي باين قام بدور هام هو الآخر على المستوى الدبلوماسي وتذكر الحولية الانجلو ساكسونية انه في العام نفسه الذي عقد فيه مجمع تروى فان هيو دي باين قد عمل على أن يكسب تأييد قادة وحكام أوروبا بعد أن كسب تأييد وعطف البابا وقد سافر إلى نورماندي Normandy حيث تلقاه الملك هنري الأول Henry I بمظاهر الترحاب وبحفاوة واضحة وقدم له كنزاً عامراً من الذهب والفضة ومن بعد ذلك أوفده إلى انجلترا، وهناك توضح الحولية أن العديد من النبلاء قدموا أموالاً طائلة وتكرر الأمر نفسه في اسكتلندا.(١٤٩)

ومع ذلك فإنه أدرك أهمية أن يجذب إليه النبلاء الفرنسيين وهم الذين شكلوا جانباً هاماً في مرحلة تأسيس التنظيم ولذا فقد ذهب إلى فرنسا ووصل إلى لومان Le mans في عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م وكان ذلك في وقت تولى فيه الملك الصليبي فولك الانجوي Fulk of Anjou مقاليد الحكم في المملكة اللاتينية في بيت المقدس وسافر هيودي باين إلى برجنديا Burgendy،(١٥٠) وانجو Anjou، وبواتو Poitou، وفلاندرز Flanders، وفي كل تلك الأنحاء حصل على الدعم المالي، والمعنوي لصالح التنظيم.

وهناك أهمية واضحة لكل هذا النشاط الذي بذله هيودي باين فقد عكس فكرة واضحة وهي أن أولئك الذين عملوا على تأسيس التنظيمات الدينية المسيحية في بلاد الشام حينذاك كانوا على جانب من الحماس لدعم النشاط الصليبي من خلال انشاء تلك التنظيمات وان كان هذا الحماس قد لحق به جانب كبير من الفتور عندما بدأت تظهر مطامع خاصة بتلك التنظيمات على حساب الصالح الصليبي العام.

كذلك فقد استقر الزي الخاص بالهيئة وذلك في عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م حيث التقى الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII والبابا يوجين الثالث Eugenius III وعقد المجلس الكبير لفرسان الداوية في باريس وفي خلال هذه المناسبة فإن البابا أعطى النظام الصليب الأحمر، والعباءة البيضاء كعلامة خاصة تميزهم ويلاحظ أن الذين كانوا من السرجنت قد ارتدوا عباءة سوداء عليها صليب أحمر.(١٥١)

ويلاحظ أنه مع الموافقة البابوية على الهيئة، والتأييد الذي وجدته خلال مجمع تروى من مساندة النبلاء والأمراء في الدول الأوروبية لها تزايدت أملاك الهيئة في العديد من المناطق داخل الأرض المقدسة وخارجها. فحصلوا على ممتلكات لهم في انجلترا في عهد الملك ستيفان وامتلكوا أملاكاً في مقاطعة اسكس Essex وبالقرب من اكسفورد Oxford وقد تدفقت عليهم الاقطاعات كما امتلكوا عدة ممتلكات في كليركنويل Clerkonwell، وكذلك في هيرتفورد شير Hertfordshire وكذلك في بعض مناطق من كمبردج Cambridge،(١٥٢) ومن هنا كانت إشارات المصادر والمراجع المتعددة عن الثراء العظيم الذي كانت عليه الهيئة.(١٥٣)

وإلى جانب هيئتي الاسبتارية والداوية، شهدت بلاد الشام ظهور هيئة جديدة أخرى هي هيئة التيوتون، وقد ارتبط ذلك التنظيم منذ بداية نشاطه بتلك الصعاب التي كان يقابلها الحجاج الألمان في

الأرض المقدسة، وقد كانت هناك جموع كثيرة من الألمان تقدم لزيارة الأرض المقدسة وكان يضيق بها المأوى، ثم أنها واجهت مشكلة اللغة التي كانت بالنسبة لهم عقبة عثرة،(١٥٤) ذلك أن اللغة الألمانية لم تكن منتشرة على نطاق واسع في أرجاء المملكة اللاتينية بل كانت اللغة والثقافة الفرنسية هي الغالبة(١٥٥) والأكثر انتشاراً بين صفوف الصليبيين، وكانت إمارة انطاكية تستخدم الفرنسية النورماندية على حين استخدمت ا مارة طرابلس البروفنسالية أو الاوكستانية Occitan،(١٥٦) ثم اذا أضفنا إلى ذلك الأخطار التي كانت تهدد الألمان في طريقهم إلى المزارات المسيحية المقدسة أدركنا أن الأوضاع في المملكة كانت تلح في ايجاد رابطة تربط الألمان من خلال مؤسسة تقوم بالأعمال الخيرية من أجلهم لكي يتمكنوا من أن يجدوا علاجاً لاصاباتهم وأمراضهم، ومن جهة أخرى لكي يتمكنوا من الترابط فيما بينهم في مؤسسة تجمعهم من خلال وحدة اللغة الألمانية التي تجمعهم.

ويلاحظ أنه عندما كانت القوات الصليبية بصدد حصار مدينة عكا خلال الحملة الصليبية الثالثة في عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م؛ قام بعض التجار الألمان من مدينة لوبك Lubeck وبرمن Bremen بانشاء المستشفى من أجل رعاية الحجاج الألمان،(١٥٧) وكانت هذه المستشفى نواة لمنظمة كبيرة وارتبط بها – منذ بدء انشائها – الصليبيون الذين طردوا من بيت المقدس بعد سقوطها على يد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي.(١٥٨)

وتجدر الإشارة إلى أن تلك المستشفى التي أقامها الألمان في عكا كان لها أصل سابق في بيت المقدس، وتمثل ذلك في مستشفى تأسست عن طريق الفرنج الذين هم من أصل الماني في بيت المقدس، ففي خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر وفي وقت مبكر من عهد بلدوين الأول يبدو أنه تم تشييدها ومعها نزل وكنيسة المانية للحجاج الذين هم من أصل ألماني.(١٥٩)

ويلاحظ أن لدينا وصفا لهذه المستشفى أورده أحد المصادر اللاتينية المعاصرة فنجد أن الرحالة الألماني يوحنا ڤورزبورغ John of Wurzberg الذي قام برحلته إلى الأرض المقدسة عام ٥٧١هـ/ ١١٧٥م قد أشار إلى كنيسة ونزل حديثي البناء لشرف واسم القديسة مريم St. Mary وتسمى بيت الألمان The House of The Germans وأشار إلى أن أحداً لا يستطيع أن يقدم الصدقات إلا إذا كان ألمانياً.(١٦٠)

وهكذا كانت تلك المنظمة الناشئة قد قامت منذ بدأ تكوينها على أساس قومي،(١٦١) أي ارتبطت بالعنصر التيوتوني والألماني ارتباطاً وثيقاً، ومما يلاحظ هنا أن كل هيئة من الهيئات السابقة– وكذلك هيئة التيوتون– كانت تمثل عنصراً بعينه من العناصر المكونة للبنيان الصليبي، وكما يلاحظ أحد الباحثين ان الاسبتارية كان أغلبهم من الايطاليين والانجليز،(١٦٢) والداوية كانوا في معظمهم فرنسيون، أما التيوتون فقد كانوا من الألمان،(١٦٣) وقد ظلت الصفة الألمانية ملازمة للهيئة الجديدة حتى أخريات عهدها.

وقد حظيت الهيئة بالموافقة البابوية عليها في عام ٥٩٥هـ/١١٩٨م حيث وافق البابا أنوسنت

الثالث عليها.[١٦٤]

وقد كان الاسم الكامل للهيئة الجديدة هو الفرسان التيوتون لمستشفى القديسة مريم في بيت المقدس. The Teutonic knights of the Hospital of St. Mary of Jerusalem.[١٦٥] ولكن ما اسم الهيئة الذي يتردد في المصادر العربية المعاصرة واللاحقة لتاريخ نشاطها في بلاد الشام حينذاك؟ الواقع أن لدينا نصاً فريداً أورده ابن عبدالظاهر وهو معاصر لحكم السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري والمنصور سيف الدين قلاوون، والأشرف خليل، فعندما تناول اسقاط المماليك لقلاع التيوتون اشار اليهم على أنهم "اسبتارية الأرمن"،[١٦٦] وربما يكون هناك تعليل منطقي لهذه التسمية، فالمؤرخ الحصيف رغبة منه في تجنب الخلط بين هيئة فرسان الاسبتارية وهيئة فرسان التيوتون وصف الأخيرة بأنها اسبتارية الأرمن الأمر الذي عكس –بلاريب– ادراك المؤرخين المسلمين في ذلك العصر لأملاك كل هيئة من الهيئات الدينية الحربية الصليبية، وأغلب تصوري أن هذه هي أول اشارة ترد في المصادر العربية المتعلقة بمرحلة الحروب الصليبية لتعني هيئة التيوتون، وورودها في عهد الظاهر بيبرس ربما دل على أن المؤرخين المسلمين لم يعرفوا ذلك التمييز بين تلك الهيئة وغيرها من الهيئات السابقة إلا في ذلك العصر حيث خلت مصادر العصر الأيوبي من اية اشارات تحوي التعبير السابق.

ومهما يكن من أمر فقد لعب التأييد البابوي للهيئة الجديدة دوراً هاماً في سبيل حصولها على تأييد الأوساط السياسية في أوروبا، ومثلما وجدنا انوسنت الثالث يوافق عليها فان البابوان سلستين الثاني، وأوربان الرابع[١٦٧] أيدا هذه الهيئة الناشئة ببراءتين وجها الثناء فيها لتنظيم التيوتون وما قدم من خدمات للحجاج الألمان ودعم الوجود اللاتيني في الشرق. وقد كان نمو وتطور الهيئة الجديدة– كما يلاحظ لامونت– على نحو سريع، ومع بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي فان الهبات والعطايا الكنسية منحت على نحو منظم للهيئة.[١٦٨]

وكان من المنطقي بعد أن ظهرت هيئة التيوتون بعد هيئتي الاسبتارية والداوية أن تتأثر بتنظيمات الهيئات السابقة عليها، وقد قرر البابا أنوسنت الثالث أنه على الهيئة أن تحاكي تنظيم الداوية في كل شيء روحاني، وفروسي، وكان عليهم أن يقتفوا أثر فرسان القديس يوحنا في أعمالهم الخيرية فيما يتصل بالفقراء والمرضى من الحجاج.[١٦٩]

أما عن طبيعة العلاقات بين تنظيمي الإسبتارية والتيوتون فيلاحظ أن المصادر لا تلقي أضواء كافية على هذا الجانب وربما قدم التنظيم الأول يد المعونة والمساعدة للتيوتون، ويوضح لامونت أنه إذا أخذنا في الاعتبار أمر خطاب حقيقي ليس مزيفاً أرسله الباباسلستين الثاني في عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م، أعطى البابا فيه هيئة التيوتون حكماً ذاتياً محدوداً في إطار هيئة الاسبتارية.[١٧٠]

ثم أن هيئة التيوتون قد تزايدت واتسعت أملاكها نتيجة للتمتع بالهبات والعطايا التي توالت عليها منذ بدء تأسيسها وكانت تلك الأملاك على مستويين، في الأرض المقدسة وكذلك في أوروبا،[١٧١] أما

الأرض المقدسة فقد اعطيت بعض القلاع ونعرف مثلاً ان يوحنا سيد بيروت John of Beriut قد أجر بعض القلاع التي كانت تقع في حوزته للهيئة وذلك عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م[١٧٢] ونعرف أن الهيئة حصلت على بعض القلاع أهمها قلعة مونتفرت المعروفة في المصادر العربية باسم قلعة القرين،[١٧٣] التي غدت مركز قيادة الهيئة وفق ما يقرره الرحالة أركوف،[١٧٤] أما الأملاك التي كانت لها في أوروبا فقد كانت عن طريق النبلاء والأمراء الاقطاعيين الذين رغبوا في تدعيم نفوذ الهيئة، ومع ذلك فإن أملاك هيئة التيوتون لم تكن على مثل ذلك الاتساع الذي عهدناه بالنسبة للهيئتين السابقتين الاسبتارية والداوية، وربما يكون سبب ذلك هو ضيق مساحة المملكة اللاتينية في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي،[١٧٥] فقد تأسست الهيئة في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي بعد أن تمكن السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي من إسقاط مملكة بيت المقدس اللاتينية وانتقلت بعد ذلك لتكمل ما بقي لها من عمر في مدينة عكا، وقد تميزت المملكة منذ ذلك الحين بضيق أملاكها فقد بقيت إمارة طرابلس وأمارة انطاكية وامتلكت شريطاً ساحلياً تمثل في المدن الساحلية مثل حيفا ويافا حتى أرسوف في الجنوب ومع صغر أملاك المملكة انعكس الوضع على هيئة التيوتون.[١٧٦]

أما بالنسبة لزي الهيئة الخاص بها فكان الفرسان يرتدون عباءة بيضاء ذات صليب أسود يوضع على الكتف الأيسر،[١٧٧] وقد زودهم الإمبراطور الألماني فردريك الثاني بالنسر الامبراطوري الأسود،[١٧٨] ليكون رمزاً لهم.

وهناك قضية هامة ترتبط بهيئة فرسان التيوتون وهي متى تحولت الهيئة إلى الوجهة الحربية؟ ومثلما اختلف المؤرخون بالنسبة لتحديد تواريخ الأحداث الهامة المتعلقة بالتنظيمات الدينية المسيحية في بلاد الشام فإنهم اختلفوا أيضاً بالنسبة لهذه الناحية وتباينت آراؤهم إلى حد بعيد.

وقد ذهب أميدي لوريول اليسوعي إلى القول بأن ذلك قد حدث في خلال عام ٥١٦هـ/١١٢٢م وأنهم عملوا حينذاك على حماية طرق الحجاج،[١٧٩] بينما رأى باركر أن التحول إلى الوجهة الحربية حدث عام ٥٨٦-٥٨٧هـ/١١٩٠-١١٩١م في ظروف حصار عكا خلال الحملة الصليبية الثالثة،[١٨٠] وأيده بعض الباحثين في ذلك،[١٨١] أما كنج فقد ذهب إلى القول بأن تحولهم الحربي كان حوالي عام ٥٦٥هـ/١١٩٨م[١٨٢] أي بعد مقدم الإمبراطور الألماني فردريك باربروسا[١٨٣] بنحو ثماني سنوات. وتبنى أحد الباحثين تاريخاً مغايراً فرأى أن ذلك حدث إما عام ٥٩٦هـ/١١٩٩م أو عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م.[١٨٤]

أما الرأي الأول، فهو بحق أبعد الآراء عن الحقيقية التاريخية ذلك أن المصادر اللاتينية ومؤلفات الرحالة اللاتين الذين حجوا إلى الأراضي المقدسة لانجد لديها دعماً لهذا التاريخ وتعليل هذا أمر يسير ذلك أنه في عام ٥١٦هـ/١١٢٢م لم تكن هيئة التيوتون قد ظهرت بعد إلى حيز الوجود الفعلي فلدى الباحثين تصور بأن ظهور الهيئة قد تم في أخريات القرن السادس هـ/ الثاني عشر م، ولذا فإن التاريخ المذكور يعد بعيد الترجيح.

أما الرأيان الآخران وهما عامي ٥٨٦-٥٨٧هـ/ ١١٩٠-١١٩١م، وعام ٥٩٥هـ/١١٩٨م فانه ليس من اليسير المفاضلة بين التاريخين وان كان من المتصور أن التاريخ الأول قد يكون أكثر ترجيحاً على أساس أنه من المحتمل أن يكون حصار مدينة عكا خلال الحملة الصليبية الثالثة قد ساعد على تحول الهيئة إلى النشاط الحربي لكي تشارك في العمليات الحربية الكبيرة التي وقعت في ظروف ذلك الحصار.

أما الرأي القائل بعامي ١١٩٩م، ١٢٠٠م فهي في تقديري تواريخ متأخرة لاتجد مساندة من المؤرخين، ويلاحظ أيضاً أن ذلك التوقيت انتهت عنده عمليات حصار عكا، والتي من المحتمل أنها وفرت مناخاً مناسباً لبدء العمليات الحربية لهيئة التيوتون.

ومن جهة أخرى فقد مرت هيئة التيوتون بالعديد من المراحل، غير أن الدفعة القوية في تطورها كانت على يد الإمبراطور الألماني فردريك الثاني، فعندما وصل جيشه من ألمانيا كانت الهيئة لاتزال تمثل تكويناً ثانوياً وقد وجه هنري السادس اهتمامه لها بينما كان يخطط لحرب صليبية، ولكن على الرغم من المنح والهبات التي قدمت للهيئة فان الفوضى التي صاحبت وفاته عرقلت هذه الحركة الألمانية عن نموها وتطورها،(١٨٥) ويضاف إلى ذلك أن الكنيسة لم تنظر للهيئة الناشئة نظرة ودية.

ومهما يكن من أمر فإن الامبراطور فردريك الثاني عندما قدم إلى الشرق ومعه مشروعه الصليبي وجد في استعمال فرسان التيوتون فرصة سانحة عليه أن ينتهزها من أجل تحقيق أهدافه الصليبية وقد بدأ من فوره في الاتصال بهم،(١٨٦) ومن جهة أخرى فانهم أنفسهم كانوا في حاجة إلى مثل هذا الاتصال لكي يدعم موقفهم بجانب غيرهم من التنظيمات الدينية المسيحية الأخرى في الأرض المقدسة.

ولكن ماهو الموقف العام الذي اتخذه الامبراطور الالماني من الهيئة الألمانية؟ الواقع أن أحد الباحثين يذهب إلى القول بأن حماس فردريك الثاني جعله يقدم لها العديد من الا متيازات، كانت تتعدي وتتجاوز سلطته الامبراطورية وفي هذا المجال كانت علاقاته طيبة بتلك الهيئة أكثر من علاقاته مع الأمراء والنبلاء.(١٨٧)

ومن الممكن أن نلاحظ من خلال تطور علاقات الامبراطور الألماني مع التنظيمات الأخرى أن علاقاته توترت مع تنظيمي الاسبتارية والداوية،(١٨٨) ومن ثم فعلى ما يبدو وجد قوة معضدة له من خلال علاقاته الوطيدة مع هيئة التيوتون.

ويلاحظ أن الهيئة قد شاركت في الأحداث الرئيسة التي مر بها الكيان الصليبي في بلاد الشام خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى مسألة حجم كل هيئة الأمر الذي كان يؤثر بوضوح على فاعليتها ودورها في الأحداث الجارية، فقد كان التيوتون أصغر وأفقر بالمقارنة برفقائهم في السلاح مثل الاسبتارية والداوية، ولذا فإن المؤرخ لامونت يرى أنهم لم يلعبوا قط دوراً هاماً في تاريخ المملكة اللاتينية بنفس الشكل الذي كان للهيئتين الأقدم عهداً في بلاد الشام.(١٨٩)

وقد كان لسقوط مدينة عكا عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م في أيدي قوات المماليك على عهد الأشرف خليل ابن قلاوون -كان لذلك أثره في أن جعل تنظيم التيوتون بلا مأوى في الشام، ولكن في البداية استقروا في فينسيا ولكنهم دعوا لكي يتجهوا إلى ممارسة نشاطهم في بروسيا Brussia، ولاتوانيا Lathuania، وايستونيا Esthonia.[١٩٠]

وقد مرت مرحلة بالهيئة اتجهت فيها إلى تحويل نشاطها من الشرق اللاتيني إلى حد كبير أو أن كيانها الحربي قد انقسم إلى جناحين: الأول في بلاد الشام والثاني في أوروبا ليقوم بمحاربة العناصر الوثنية، ففي عام ٦٠٨هـ/ ١٢١١م نجد الملك اندرو الثاني صاحب هنغاريا دعا تنظيم التيوتون إلى مساعدته من أجل قتال العناصر الوثنية التي جاورته مثل عناصر الكومان، وفي عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م فإن أسقف بروسيا طلب التنظيم نفسه معونته في حروبه ضد العناصر الوثنية،[١٩١] وهكذا قدر لبحر البلطيق أن يشهد تحول النشاط الحربي للتنظيم الألماني صوب مقاومة الوثنيين.

ويلاحظ أن العديد من العوامل دفعت فرسان التيوتون إلى الاتجاه إلى بحر البلطيق فحيث أن هدفهم الأصلي كان حماية المسيحية والدفاع عنها ضد أعدائها لذا فان قيادات هيئة التيوتون لم تجد في تحويل نشاطها المكثف من الشام إلى بحر البلطيق أي تعارض مع هدفها الأصلي، ومن ناحية أخرى، فإن تلك القيادات رغبت في إيجاد ميدان جديد لنشاطها العسكري تستأثر به وتستأسد فيه دون أن ينازعها عليه عناصر التنظيمات الدينية الأخرى مثل الاسبتارية والداوية، ثم أن الهيئة لم تجد في تحول اهتمامها إلى بحر البلطيق ما يضر أساسياً بالوجود الصليبي في بلاد الشام على أساس أن الهيئات الأخرى كانت تقوم بعملها هناك.

ومن العوامل الهامة الأخرى التي ينبغي ألا نغفلها، ارتباط الهيئة بالأسرات الألمانية الحاكمة قد أملى عليها سياستها الخارجية، ومن ثم كان عليها أن تتبع تلك الوجهة الجديدة التي وجهتها إليها أسرة الهوهشتافن، وهكذا فقد دفعت العوامل السابقة مجتمعة بالهيئة لكي توجهها نحو قتال العناصر الوثنية في بروسيا وغيرها لتكون أكثر إلحاحاً في سياستها.

وعلى الرغم من نشاط الفرسان التيوتون في الميدان الجديد إلا أنهم لم يهجروا الأرض المقدسة بل استمروا فيها ودافعوا عن ممتلكات الصليبيين حتى الساعات الأخيرة التي سبقت سقوط عكا عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م.

وإلى جانب تنظيم الاسبتارية والداوية والتيوتون وجدت بعض التنظيمات الأصغر ومن أمثلتها تنظيم القديس لعازر[١٩٢] St. Lazarus، وهي هيئة قامت أساساً من أجل رعاية المبرصين (المصابين بمرض الجذام).

ويلاحظ أنه منذ البداية نعرف أن القديس لعازر تمتع بمكانة متميزة في المملكة اللاتينية، فقد اتفق الرحالة اللاتين الذين زاروا بيت المقدس على أن لعازر كان له قبر يُزار بالقرب من القدس في قرية بيثاني (العيزرية)،[١٩٣] ومعنى ذلك أن جموع الحجاج كانوا يعتقدون في قدرات هذا القديس وكراماته،

ويعنى أيضاً أن القديس لعازر قد حظي بتقدير كبير على المستوى الشعبي في المملكة اللاتينية، أما على المستوى الحكومي الرسمي فاننا نعرف أن المملكة قد اتبعت الاتجاه نفسه ففي عهد الملك الصليبي فولك الانجوي قامت الملكة ميسلندا بإنشاء بعض الأبنية الخيرية منها كرست للقديس لعازر وأختيه مرثا ومريم.(١٩٤)

أما عن أصل تنظيم القديس لعازر وتحديده الزمني فقد بدأ مثل نظام القديس يوحنا بمستشفى لعلاج المبرصين، ويذكر أحد الحجاج اللاتين المجهولين أن تنظيم القديس لعازر هو نظام قديم ومنظم،(١٩٥) غير أنه لايقدم لنا أية تفاصيل أخرى تفيد في القاء المزيد من الضوء عنه، ومع ذلك فيلاحظ أن الرحالة المذكور قد قام برحلته في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وترى إحدى الباحثات أن بدايات التنظيم تعتبر من أكثر الأمور عرضة للنقاش والجدل،(١٩٦) ولكن هناك من المؤرخين من يرجع بدايات التنظيم إلى الجهود التي بذلها القديس باسل الذي أنشأ مستشفى في مدينة قيسارية في حوالي عام ٣٧٠م وذلك من أجل أن تقوم بعلاج المبرصين وغيرهم من المرضى،(١٩٧) وقد كرست تلك المستشفى للقديس لعازر فكانت بمثابة البداية الأولى والباكرة للتنظيم.

أما إذا أردنا أن نتتبع الجهود الطيبة التي كانت المستشفى تقوم بها من أجل خدمة الوجود الصليبي فيبدو من خلال ما تركه لنا بيرتوسان دي سانت لوك Pere Toussaint de st. luc وهو يعد من مؤرخي التنظيم المبكرين –يبدو أنها كانت تقوم برعاية المبرصين، والحجاج، والجنود الجرحى من الصليبيين.(١٩٨)

ويرى كل من لامونت وبراور أنه من الممكن افتراض أن التنظيم قد وجد في بيت المقدس في خلال العقد الثاني من القرن الثاني عشر (م)، وذلك على الرغم من أن أول إشارة تتعلق بالهيئة لازالت تحت أيدينا في صورة وثائقية ترجع إلى حوالي جيل بعد ذلك.(١٩٩)

والواقع أنه ليس لدينا في المصادر اللاتينية ما يشير من قريب أو بعيد إلى صحة ما ذهب إليه أحد المؤرخين عندما اعتقد أن فرسان الاسبتارية شاركوا في إقامة مستشفيات لمعالجة المبرصين وخلط بذلك بين نشاط تنظيم الاسبتارية وتنظيم القديس لعازر.(٢٠٠)

ويلاحظ أن العصور الوسطى لم تشهد رعاية المبرصين وكان هدف هذه المنشأة التي قامت هو تأكيد عزلتهم عن المجتمع،(٢٠١) وقد استمرت المستشفى تقوم بدورها إلى أن قدم الغزو اللاتيني فصارت المستشفى هيئة منظمة تنظيماً دقيقاً.(٢٠٢)

وقد كانت المؤسسة الأولى للهيئة تتمثل في بيت المبرصين House of Lepers أو ماعرف باللاتينية Domus leprosorum الذي وقع عند الحائط الشمالي من لبيت المقدس قريباً من الممر الجانبي الصغير الذي جعلوه يحمل اسمهم،(٢٠٣) وسرعان ما تطور الأمر فصار لبيت المبرصين كنيسة(٢٠٤) وجماعة الرهبان الخاصة حوالي عام ٥٣٧هـ/١١٤٢م، وعند أواسط القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي فاننا نسمع عن أخوة بيت المقدس المبرصين Leper brothers of

Jerusalem[٣] وبعد ذلك وفي عام ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م نجد أن مقدم الهيئة قد وجدت وظيفته كما يذكر براور،[٢٠٥] وفي هذه الناحية يقال إنه كان دائماً من عناصر المبرصين حتى فُقدت فلسطين من أيدي الصليبيين.[٢٠٥]

أما موقف مملكة بيت المقدس من النظام الجديد، فقد لقي دعماً واضحاً منها ومن البابوية أيضاً ومن الأمراء والنبلاء والاقطاعيين في أوروبا،[٢٠٦] وقد تطور الأمر بحيث صار النظام يمتلك أملاكاً في طبرية وعسقلان وعكا وربما كانت له أملاكه في بيروت وقيسارية،[٢٠٧] واتسعت حتى شملت مناطق في فرنسا، وألمانيا، وايطاليا،[٢٠٨] كذلك فإن أحد الرحالة الألمان الذين زاروا فلسطين في عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م يقرر أن التنظيم كانت له أملاكه في جزيرة قبرص.[٢٠٩]

وقد كان للتنظيم شارته الخاصة به فكانت عبارة عن صليب أخضر مثمن مرسوم عليها صورة بيت القديس لعازر،[٢١٠] كما كان للهيئة أيضاً ختمها الخاص بها والذي ميزها عن غيرها من التنظيمات الدينية المسيحية في بلاد الشام حينذاك، ويظهر في الختم أحد المبرصين يرتدي سترة مفتوحة من عند الرقبة ويظهر رأسه عليه قلنسوة وتستتر إحدى يديه في السترة والأخرى تحمل مصفقا وفي أي مكان ينتقلون اليه كانوا يخبرون الناس عن مقدمهم عن طريق تلك المصفقات.[٢١١]

ويرى أحد الباحثين أن هيئة القديس لعازر كانت تتكون بصورة رئيسة من الفرسان الانجليز وأن هذه الهيئة كانت صغيرة في تنظيمها، ولم يكن لها أن توضع موضع المقارنة بهيئة الاسبتارية أو الداوية في الثروة وفي أهمية الدور الذي لعبته.[٢١٢]

وليس معنى ذلك بطبيعة الحال التقليل من شأن الهيئة ودورها، فقد تحولت إلى الناحية الحربية- وان كان من العسير تحديد تاريخ ذلك التحول- وكان فرسانها يبثون الرعب نتيجة لبسالتهم الحربية من ناحية والتهديد بالعدوى من ناحية أخرى،[٢١٣] ومع ذلك فانه في خلال تواجد القديس لويس التاسع في الشام بعد اخفاق حملته على مصر نجد أن صداماً حربياً قد وقع بين فرسان تنظيم القديس لعازر والمسلمين وقد اورد جان دي جوانفيل تفاصيل ذلك الصدام وحدد تاريخه بين ربيع الأول ٦٥٠-ربيع الآخر ٦٥١هـ/ مايو ١٢٥٢- يونيو ١٢٥٣م[٢١٤] وهذه تعد أول اشارة ترد في المصادر الغربية عن دور حربي يقوم به التنظيم في مواجهة قوات المسلمين، فلعل ذلك التحول قد وقع حوالي ذلك الحين غير أن القطع في هذه الناحية أمر لا تمكننا منه المصادر المعاصرة.

وتبقى بعد ذلك عدة تنظيمات دينية مسيحية أخرى مثل تنظيمات فرسان القديس توما أوف كانتربري St.Thomas of Canterbury وفرسان القديس لورنس St. Lawerence، وهيئة القبر المقدس The Order of The Holy Sopulchre، وكذلك تنظيم الروح المقدسة The Order of The Holy Spirit، وأيضاً هيئة فرسان جبل البهجة (جبل الجودي=جبل السعادة، جبل السرور، جبل النبي صموئيل) The Order of Mont-Joye، وكذلك هيئة الفرسان الكرمليين التي ظهرت في جبل الكرمل، وهيئة فرسان القديس جورج التي ظهرت في منطقة اللد.

ويلاحظ أن التنظيمات الدينية المسيحية الأقل أهمية في الأرض المقدسة خلال القرنين السادس، والسابع الهجريين/الثاني، والثالث عشر الميلاديين - بالمقارنة بطبيعة الحال بتنظيمات الاسبتارية والداوية والتيوتون قامت لكي تقلد التنظيمات الدينية الكبرى في تاريخ المملكة ولها أهمية سياسية وحربية ثانوية،(٢١٥) لكن القيام بدراستها أمر له جانبه من الأهمية كتعبير عن الدوافع المعنوية والاجتماعية نفسها التي قد أدت إلى ظهور التنظيمات الكبيرة.(٢١٦)

أما هيئة القديس توما من كانتربري، فإنها تعد من التنظيمات الغامضة التي لا يعرف الباحثون عنها الا القليل كما يرى ستوبس Stubbs(٢١٧) وقد كانت ظروف قيام هذه الهيئة في خلال الحملة الصليبية الثالثة، ذلك أن تكويناً صغيراً من الرجال قد كونوا أنفسهم في تكوين شبه ديني على نمط الاسبتارية نفسه وكان بينهم رجل يدعى وليم وهو راهب انجليزي عمل شابلاين Chaplain لشخص يدعى رالف ديكتو Ralph de Diceto وقد كرس نفسه من أجل العمل على دفن الموتى من الصليبيين في عكا،(٢١٨) مثلما كان الاسبتاريون قد اتجهوا في بدء أمرهم إلى خدمة المرضى، وقد اشترى من بعد ذلك أرضاً للنظام من أجل القيام بأغراض الدفن، وقد كرسها للقديس توماس الشهيد St. Thomas the Martyr،(٢١٩) ومن الملاحظ أن عدد أفراد الهيئة كان قليلاً، وكانت على درجة من الفقر.

وقد تمثلت في تنظيم القديس توما من كانتربري صفة هامة ميزته عن غيره من التنظيمات الدينية المسيحية الأخرى التي سبقته في التأسيس في الأرض المقدسة، فاذا كان الألمان قد تمثل عنصرهم في تنظيم التيوتون فإن تنظيم القديس توما كان يضم إليه الانجليز، ولذلك رأى فيه أحد الباحثين أنه قام على أساس قومي.(٢٢٠)

وقد حدث تطور هام في تاريخ التنظيم عندما وصل بطرس ريتش Peter des Reches إلى الأرض المقدسة وذلك في عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م حيث عمل على تأسيس هيئة فرسان القديس توما وذلك وفقاً للأسس التي قام عليها تنظيم الداوية،(٢٢١) وقد كان لهؤلاء الفرسان زي خاص متميز مثلما كان لغيرهم من أعضاء التنظيمات الدينية المسيحية الأخرى، وقد ارتدوا ثيابهم البيضاء المزودة بصليب أحمر وبشكل فضي،(٢٢٢) وقد هدفوا من وراء ذلك أن يميزوا أنفسهم عن هيئة الداوية في المقام الأول.(٢٢٣)

وقد امتلك النظام عدة أملاك خارج الأرض المقدسة في يوركشير، وميدلسكس، وايرلنده،(٢٢٤) ومعنى ذلك أن تلك الأملاك تركزت في انجلترا، ووجدت له أملاك أيضاً في بعض انحاء القارة الأوروبية وهذا يعني أن التنظيم قد أدرك بعض الثراء بعد أن شهد بداية فقيرة له.

وقد قدر للتنظيم أن يقدم جهده من أجل خدمة الكيان الصليبي حتى أخريات عهد الوجود اللاتيني في الشام وقدر له البقاء حتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.(٢٢٥)

وقد ظهر أيضاً في بلاد الشام تنظيم مسيحي هام خلال عصر الحروب الصليبية وهو تنظيم فرسان القديس لورنس The knights of st Lowerence أو ماعرف باللاتينية بعنوان Sanctus laurentius de Milidibus.(٢٢٦)

ويلاحظ أننا يمكن أن ندرك مكانة القديس لورنس لدى المجتمع الصليبي من خلال نصوص المصادر اللاتينية نفسها بوصفه أحد القديسين الذين اعتقد الصليبيون اعتقاداً كبيراً في شخصياتهم وكذلك في قدراتهم الغيبية ومن الواضح انه كان يتمتع بمكانة هامة في صفوفهم، ويحدثنا فوشيه الشارتري أن القديس لورنس كان له عيد خاص وكان يتم الاحتفال به في اليوم العاشر من شهر أغسطس من كل عام.(٢٢٧)

ويتفق الباحثون الذين عنوا بدراسة التنظيمات الدينية المسيحية الثانوية في بلاد الشام خلال تلك المرحلة –بالقياس بطبيعة الحال إلى تنظيمات الاسبتارية والداوية والتيوتون– على أن تنظيم القديس لورنس في ظهوره كان يتفق مع الاحتياجات نفسها التي أدت إلى ظهور هيئة التيوتون فيرى لامونت مثلاً أن الدوافع اللغوية أدت إلى تكوين هذا النظام مثلما كان الحال بالنسبة لهيئة التيوتون " (٢٢٨) حيث أن هؤلاء الفرسان كانوا جنويين من مدنية جنوة الايطالية،(٢٢٩) ويبدو أن اللغة الايطالية كانت أيضاً لاتجد نطاقاً واسعاً للتعامل بها في صفوف الصليبيين على نحو يقارب وضع اللغة الألمانية الذي أشرنا إليه من قبل وهكذا وجد الجنويون أنهم عن طريق تأسيس مثل ذلك التنظيم يحققون العديد من المكاسب لهم ومنها ما يفي باحتياجاتهم اللغوية.

ويعتقد أحد الباحثين أن ذلك التنظيم قد ظهر في ظروف الحصار الأخير لعكا على أيدي المماليك عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م،(٢٣٠) ويدل ذلك على أن التنظيم نفسه في صورته الحربية قد ظهرت في ذلك التاريخ، لكن من المحتمل أن نتصور أن بدايات معينة قد سبقت ذلك التاريخ حاول فيها الجنويون تكوين رابطة ما أخوية يرتبطون بها.

ومن بين التنظيمات الدينية الثانوية تنظيم الروح المقدسة، ويلاحظ أن ذلك التنظيم ربما يكون قد تطور من خلال منظمة أو جماعة حملت الاسم نفسه ونظمت نفسها كنظام حربي.(٢٣١)

أما تنظيم جبل البهجة (السعادة، أو السرور أو الجودي) أو ما عرف باسم هيئة سيدتنا في جبل البهجة L'Ordre de Notre Dame de Montjoye فيرى أحد الباحثين نقلاً عن دولاڤيل لارو أن ذلك التنظيم في أصله كان اسبانياً يرجع إلى عام ٥٧٢-٥٧٣هـ/ ١١٧٦-١١٧٧م، ففي ذلك العام قام وليم دي مونتفرت وزوجته بالتنازل عن أربعة أبراج في مدينة عسقلان لكونت رودريج،(٢٣٢) وقد ووفق على التنظيم في عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م من جانب البابا الكسندر الثالث والتزمت الهيئة بالنظام السستریانی،(٢٣٣) ومع ذلك فإن المؤرخ وود هوس يذكر أن ذلك النظام قد اتخذ اسمه من اسم جبل بالقرب من بيت المقدس.(٢٣٤)

ومهما يكن من أمر الخلاف بشأن أصل ذلك التنظيم فقد عمل على ضمان استمراره عن طريق الاندماج في التنظيمات المسيحية الكبيرة وقد وجدنا أن تنظيم فرسان جبل البهجة اندمجوا في تنظيم الداوية أما تحديد ذلك الحادث الهام فإنه تم في عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م(٢٣٥) أي في أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

وتجدر الإشارة هنا أن التنظيمات الدينية الصغيرة حافظت على وجودها من خلال الاندماج في التنظيمات الأكبر، أما التنظيمات الدينية الكبيرة فقد تصارعت مثلما حدث بين الاسبتارية والداوية.

ويلاحظ أن المملكة اللاتينية قدمت العديد من الأملاك لنظام جبل البهجة مثل البيوت التي خصصت له في مدن بيت المقدس وعسقلان وعكا،(٢٣٦) كذلك ففي خارج فلسطين وجدت العديد من الأملاك الأخرى مثل تلك التي وجدت في اسبانيا، حيث حرص ملوك قشتاله وأرجوان على تقديم تلك العطايا للتنظيم خاصة الفونسو الثالث ملك قشتاله في عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م كذلك الفونسو الثاني ملك أراجون عام ٥٨٤هـ/١١٨٨م.(٢٣٧)

ويبقى تنظيم آخر في الأرض المقدسة هو تنظيم القبر المقدس وقد وجد ذلك التنظيم على يد جودفري البويوني،(٢٣٨) وقد اتبع النظام الأوغسطيني، وسرعان ما صار معروفاً على المستوى الشعبي، وامتلك العديد من الأملاك المتناثرة في أوروبا،(٢٣٩) إلى جانب ما امتلكه في الأرض المقدسة.(٢٤٠)

ويلاحظ أن المؤرخين يختلفون بشأن تنظيم القبر المقدس فيما يتعلق بنوعية نشاطه وهل وقف موقفاً حربياً مدعماً للوجود الصليبي أم لا؟ فعلى حين نجد أن اميدي لوريول اليسوعي يرى أن ذلك التنظيم كان حربياً امتلك طبقة من الفرسان تولت مسألة الدفاع عن القبر المقدس،(٢٤١) فإن كنج يرى أنه لم يصبح تنظيماً حربياً إلى فترة طويلة بعد فقدان الأرض المقدسة من جانب الصليبيين.(٢٤٢)

ويبدو أن الرأي الثاني هو الأقرب إلى الاحتمال لعدة عوامل منها: أننا لانسمع عن أية أدوار حربية يخوضها مثل ذلك التنظيم على امتداد القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني والثالث عشر الميلاديين، في ظروف الصراع الإسلامي الصليبي، ثم أن المصادر اللاتينية لا تشيرإلى أية اشارات تتعلق بمعارك يدخل التنظيم طرفاً فيها، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الاقطاعات التي حصل عليها لم تكن تحوي أية عمائر حربية مثل القلاع أو الحصون بل حصل التنظيم على أراضي زراعية فمثلاً في عام ٥٦٢هـ/١١٦٦م، قام هيو المنتسب إلى قيسارية Hugh of Caesarea –وهو أحد كبار الأمراء الصليبيين– بإعطاء بعض المناطق الزراعية للتنظيم،(٢٤٣) وقد يكون من الأسباب الهامة التي تدعونا إلى القول بأن التنظيم السابق لم يقدم ما يمكن أن نسميه بدور حربي في الأرض المقدسة خلال عصر الحروب الصليبية.

ولكن لنا أن نتساءل هنا: ماذا عن النظم الداخلية لتلك التنظيمات الدينية المسيحية التي وجدت في بلاد الشام خلال ذلك العصر؟ ويلاحظ أن النظم الداخلية وتكوينات تلك التنظيمات تعد بحق واحدة من أهم القضايا التي تفرض نفسها عند تناول الأدوار التي قامت بها في سبيل خدمة النشاط الصليبي، فهي توضح لنا ناحية جديرة بالبحث وهي البنية الداخلية للتنظيمات الدينية وكيف أن تطورها كان نتاجاً طبيعياً لتطور الأوضاع السياسية والحربية التي مر بها الوجود الصليبي في بلاد الشام.

وفي هذا المجال يلاحظ تشابه العديد من الوظائف عند كل من التنظيمين الكبيرين الاسبتارية والداوية، ومن الممكن تصور تواجد تأثير متبادل بين كل من الجانبين بحكم تزامنهما وتعاصرهما

واشتراكهما في العديد من المجالات المشتركة على المستوى الخيري والحربي.

وقد كان على رأس كل تنظيم موظف احتل مكاناً قيادياً هاماً وهو المقدم الذي كان بمثابة حاكم التنظيم ولعل أهم مصادرنا عن هذه الوظيفة تلك الوثيقة التي صدرت من جانب البابا باسكال الثاني في عام ٥٠٧هـ/١١١٣م تحت عنوان "Pie Postulati Voluntalis" والتي تمت فيها الموافقة على تأسيس تنظيم الاسبتارية، ونجد فيها اشارات هامة في هذا المجال، فهي لم تصدق فقط على الأملاك الأوروبية الخاضعة لسلطة المقدم بل أيضاً تناولت أمر انتخابه ودقة ذلك واحتوت على تحديدات واضحة متعلقة بالمنح والامتيازات التي قدمت للتنظيم حينذاك.[٢٤٤]

ويلاحظ أن مسألة الانتخاب كانت تتم على أساس أنه كان ينتخب من أجل أن يشغل وظيفته مدى الحياة ويتلقى وعداً من المجلس العام -الذي كان من ضمن النظم الداخلية- بأن اختياره سوف تتم الموافقة عليه وينتخب ومعه اثنا عشر ناخباً، وبعد وقت قصير يعود هؤلاء ويعلنون قرارهم ويسألون زملاءهم الموافقة على المقدم المنتخب.[٢٤٥]

ويلاحظ أنه وفقاً لما قرره المجلس العام الذي انعقد في عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م قد تقرر فيه أن من يشغل وظيفة المقدم لابد أن يُختار من بين الأخوة الفرسان، وهي الطبقة القوية التي كانت قوتها تعبر عن قوة التنظيم نفسه، وفي رغبة واضحة لوقف أعمال العنف التي قد تصاحب عملية الانتخاب فان المجلس قرر أنه لا يحق لأي شخص أن يحمل سلاحاً في وسط جماعة الرهبان خلال الفترة الواقعة بين وفاة مقدم وتعيين مقدم آخر.[٢٤٦]

أما سلطات المقدم فهي بالنسبة للاسبتارية والداوية على السواء شبه مطلقة،[٢٤٧] وقد كان المقدمون الجدد يقطعون على أنفسهم عهداً عند انتخابهم وفي عام ٥٧٨هـ/١١٧٢ نجد ان البابا الكسندر الثالث قد قرر أنه على المقدمين في المستقبل ان يحافظوا على العادات القديمة أو القضايا المصيرية التي تتصل بالتنظيم أو بالملكة اللاتينية بصفة عامة وموقف التنظيم منها، وفي عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، كان على المقدم أن يعد المجلس العام بأن يحافظ على التقاليد وأن يدير أموره عن طريق الاستعانة بنصح الموظفين الآخرين المخصصين لمشورته.[٢٤٨]

أما تسليح المقدم فقد كان يشتمل على ثلاثة خيول، وكان يتبعه ثلاثة من عناصر الاسكوبرس،[٢٤٩] وكان لكل منهم خيله الخاص به، وكان التركبولي وعناصرهم ترتبط بتسليح المقدم، ويكون له عدد من الدواب وسائق واحد وكذلك كان يتبعه أحد الشابلاين.[٢٥٠]

وقد كانت طاعة المقدم أمراً نافذاً وينبغي على كافة أفراد التنظيم الالتزام بذلك، وتقرر الهيئة البابوية الخاصة بتأسيس تنظيم الاسبتارية ضرورة طاعة المقدم طاعة مطلقة وتعدد أنواع العقاب الذي يلحق بالمخالفين،[٢٥١] أما بالنسبة لتنظيم الداوية فقد كان نفس الأمر تماماً مرتبطاً بها،[٢٥٢] وقد أقرت الهية البابوية التي صدرت في عام ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م للداوية أن يقوم التنظيم بطرد الأعضاء غير الصالحين والذين يعارضون المقدم.[٢٥٣]

وبصفة عامة امتدت سلطات المقدم لتشمل كافة العناصر التابعة له ويكفي للدلالة على ذلك أننا نعرف من خلال وثائق التنظيمات أنه تقرر أن الأعضاء عليهم أن ينتقلوا بين المدن والقلاع ولكن ذلك يتم وفي صحبتهم زملاؤهم ولا يكونون فرادى–لدواعي الأمن بالطبع– وأن يكون ذلك بأمر من المقدم.[٢٥٤]

وقد تتابع على قيادة الاسبتارية والداوية العديد من المقدمين ولدينا قوائم كاملة بأسمائهم ومدة قيادتهم، وليس هناك إلا القليل من الجدل الذي يثيره بعض الباحثين حول مدة تولي بعضهم خاصة في الظروف العصيبة التي كانت تمر بها تلك التنظيمات على المستوى السياسي والحربي.

ويلاحظ أن مقدم الاسبتارية قد اختلف عن مقدم الداوية في مقر كل منهما، فعلى حين كان مقر الأول في بداية الأمر في المستشفى التي ارتبط بها العمل الخيري للتنظيم فان الثاني كان مقره في المكان الذي خصصه لها الملك الصليبي بلدوين الأول في المسجد الأقصى وقد اتفقا في أن بيت المقدس كان مقرهما وانتقلا من بعد ذلك إلى مدينة عكا.

والجدير بالاشارة أنه على الرغم من عدم وجود خلاف بين الباحثين بشأن لقب المقدم بالنسبة لتنظيم الداوية فإن الأمر يغاير ذلك بشأن الاسبتارية، حيث يرى كنج أن لقب المقدم لم يتخذ إلا عام ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م عندما تم ادماج تنظيم القبر المقدس مع تنظيم القديس يوحنا وذلك على يد البابا انوسنت الثامن Innocent VIII،[٢٥٥] وقد اعتمد في تصوره هذا على بحث قام به يوجين هاروت Eugene Harot[٢٥٦] في أوائل القرن الحالي وذلك على الرغم من انه قد اتفق بين الباحثين على أن رايموند دي بوي الذي خلف جيرارد كان بمثابة المقدم الثاني للتنظيم وأنه أول من تلقب بلقب المقدم بصورة رسمية،[٢٥٧] ويلاحظ أن من الباحثين من يرى أن أول من تلقب بلقب المقدم كان هيو نيفل Hugh de Nevel وذلك عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م[٢٥٨] وذلك على يد كليمنت الخامس Clement IV.

ومن الملاحظ أن المقدم كان له بعض الرفقاء من الفرسان وكان يقدم لهم الدروع والخيول اللازمة وتم تعيينهم شخصياً من قبل المقدم وكان لهم دورهم في مساعدته في عمله وتنظيم ذلك العمل،[٢٥٩] وفي بعض الأحيان كانوا يخضعون لسلطة موظف كبير من موظفي التنظيمات الدينية وهو المارشال.[٢٦٠]

كذلك فإن المقدم كان يقوم بتعيين من ينوب عنه في عمله، أو من يعرف بالليفتنانت وكان يقوم بعمله خلال فترة تغيب المقدم لسبب أو لآخر خارج المملكة اللاتينية ففي بعض الأحيان كانت الأحداث تستدعي أن يقوم المقدم مكلفاً من قبل الملك الصليبي بالسفر إلى أوروبا طلباً لدعم بشري من المتطوعين الجدد خدمة للمشروعات الصليبية الحربية المرتقبة أو دعم مالي أو أن يقوم ببعض الأدوار الدبلوماسية النشطة وفي خلال تلك الأثناء كان من الممكن أن يتولى أمر قيادة التنظيم نائب المقدم، وكان مقره على قدر كبير من الثراء ومظاهر الترف من أجل أن يحظى بالهيبة والوقار اللازمين له خاصة في ظروف تعامله مع كبار ملوك وأمراء المملكة اللاتينية في الشرق.[٢٦١]

وقد كانت من الوظائف الهامة المتصلة بالتنظيمات الدينية المسيحية تلك التي اتصلت بالدير، ويلاحظ أن تعبير الدير أطلق ليعني البيت الذي يتواجد فيه الأخوة بصفة مستمرة ودائمة وكان بمثابة قاعدة الحكم والادارة للتنظيم، وقد تردد لأول مرة عام ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م وتردد كذلك عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م ولكن على نحو متطور، وفي خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي صار الدير يحتوي على عدد من الخصائص الوظيفية المحددة(٢٦٢) وكان الدير يدار عن طريق المقدم ورئيس الكنيسة.(٢٦٣)

وقد كان دير الاسبتاريين يقع في مدينة بيت المقدس في تلك المنطقة التي وقعت إلى الجنوب مباشرة من كنيسة الضريح المقدس وهي التي عرفت عند اعادة الاستيلاء على الدير من جانب المسلمين باسم المارستان.(٢٦٤)

ويقرر أحد الباحثين أن الفترة الباكرة من تاريخ الدير تعتبر مرحلة يحيطها جانب من الغموض وليس من اليسير تتبع بداياته الأولى ومع ذلك فنعرف أن الاسبتاريين مثلاً اكملوا الأبنية التي احتاجوا إلى زيادتها في الدير.(٢٦٥)

وقد احتوى الدير على عدد من الموظفين مثل مساعدي مأموري التنفيذ وهم من كبار موظفي التنظيمات الدينية،(٢٦٦) ثم هناك أيضاً رئيس الرهبان ويلاحظ أنه كانت له سلطات الاسقف نفسها.(٢٦٧)

ومن بين أهم الوظائف المرتبطة بهذه المجموعة من الموظفين المارشال ويلاحظ أنه قد تقرر أن تكون الأسلحة والخيول التابعة للنظام تتبع اختصاص المارشال،(٢٦٨) وفي مرحلة من مراحل تطور التنظيمات كان مساعد ومأموري التنفيذ تحت قيادة هذا الموظف،(٢٦٩) وفي حال غياب المقدم وتولي من ينوبه وهو الليفتنانت كان يخضع المارشال لأوامره،(٢٧٠) كذلك فانه كان يقوم بإعطاء عناصر من الأخوة زياً معيناً يقومون بارتدائه وذلك في حالة قيامهم بمهام تستدعي سفرهم خارج المملكة اللاتينية.(٢٧١)

ومن الوظائف الهامة الأخرى ضمن الدير، كان هناك الاسبتاري، وهو الذي كان تحت امرته الأطباء والخدام والمراقبون وقام بتوزيع الصدقات التي كان ينفقها تنظيم الاسبتارية،(٢٧٢) ولانغفل هنا أن الداوية كانت لهم صدقاتهم-وكان الأطباء الذين تحت امرته يقومون برعاية المرضى.

ثم هناك أيضاً مسئول الملابس وهو الموظف المختص بزي كل تنظيم وملابسه وقد تطورت هذه الوظيفة، ففي مرحلة متأخرة من تاريخ التنظيمات الدينية المسيحية نجد أنه يوصف بأنه المحافظ الكبير،[٢٧٣] ومن الموظفين الآخرين هناك أيضاً المختص بالشئون المالية ويلاحظ أن نشاطه قد تزايد خاصة بالنسبة لتنظيم الداوية التي تزايد ثراؤها على نحو واضح.(٢٧٤)

ومن العناصر الهامة التي نلمسها خاصة في تنظيم الاسبتارية عنصر الشيوخ وهم الذين ظهروا لأول مرة -كما يرى أحد الباحثين- في عام ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م وكانوا بمثابة الأخوة الذين يعملون موظفين في التنظيم وكانوا رفقاء للمقدم وأخوة لمدة عشرين عاماً وربما كانوا يزيدون في عمرهم عن الستين عاماً، وكانت لهم امتيازاتهم الخاصة بهم نتيجة وضعيتهم المتميزة بين موظفي التنظيمات الدينية ويلاحظ أنهم كانوا يعملون بمثابة النصحاء للمقدم،(٢٧٥) وتلك المكانة التي كانت لعنصر الشيوخ قد

عكست ادراك تلك التنظيمات لأهمية خبرة الشيوخ وتقديمهم للمشورة اللازمة من أجل الصالح الصليبي العام.

ولعل من أكثر العناصر التي كونت البنية الداخلية للتنظيمات الدينية المسيحية الفرسان، ذلك أنهم كانوا من أهم وأكبر العناصر المؤثرة وتولت هذه الطبقة أهم الوظائف والمناصب الادارية والتنفيذية ذات الأهمية الخاصة، حتى أن السلطة التنفيذية كانت منوطة بهم وتزايدت أهميتهم بصفة مستمرة إلى درجة أن تاريخ التنظيمات لا يسمع عنه إلا عن طبقة الفرسان.[٢٧٦]

وسواء بالنسبة للاسبتارية أو الداوية فقد كانت هناك بعض الشروط التي وجب توافرها فيمن ينضم إلى طبقة الفرسان، فكان لابد للفارس أن ينتمي لنفس الطبقة التي عرفت في المجتمع الاقطاعي بطبقة الفرسان ومن أصول نبيلة،[٢٧٧] وإذا لم يكن الشخص يحمل لقب الفارس بحكم هذا الانتماء فيجب أن تتوافر فيه جميع الشروط والصفات التي تؤهله لنيل هذا اللقب بحيث يتوافر لأحد كبار فرسان الاسبتارية أو الداوية أن يضمنه عند مقدم من أجل الحصول على عضوية التنظيم في صورة طبقة الفرسان.[٢٧٨]

وبالنظر لأهمية طبقة الفرسان ضمن عناصر التنظيمات الدينية فيلاحظ أنه قد وجدت عدة قوانين وتشريعات من أجل تنظيم هذه الطبقة من أجل أن تحيط بكافة دقائق حياة الفارس، ولا أدل على ذلك من أن لدينا العديد من القوانين التي تناولت تسليحهم وضرورة المحافظة عليه وظروف تنقلهم في المدن والقلاع وحتى طعامه ومسكنه وثيابه فكان مثلاً يلتزم بعدم ارتداء الملابس الملونة أو المستخدم فيها الفراء.[٢٧٩]

ويلاحظ أن الفرسان كانوا غير متزوجين وأن رأى أحد الباحثين أن المتزوجين منهم كانوا يمتنعون عن الالتحاق في النظام لكنهم كانوا يتعهدون بأن يمنحوا النظام نصف أملاكهم.[٢٨٠]

والجدير بالاشارة أن فارس الاسبتارية أو الداوية لم يكن يدفع له فدية إذا ما وقع في الأسر، وقد اتبع هذا التقليد في بداية تواجد الصليبيين في بلاد الشام ولكن مع تغير الظروف تغيرت القوانين الخاصة بها، ويستدل البعض على ذلك أن وفداً من فرسان الاسبتارية والداوية قد قدم إلى السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين ايوب من أجل تقديم فدية أسرى فرسان التنظيمات.[٢٨١]

ويلاحظ أن أبناء الفرسان وهم الذين يسمون في المصادر الصليبية Filli mobilium hominum seu militum كانوا يشبون في بيت الاسبتارية وعندما يبلغون سن الفروسية فانهم كانوا يرسلون إلى أوروبا عبر البحر أو انهم يصيرون فرساناً في التنظيم اذا ما رغبوا في ذلك،[٢٨٢] ويبدو أن الأمر الأخير كان الغالب الأعم.

وقد كانت قضية اعداد ابناء الفرسان قد أدركها المؤرخون المسلمون ولدينا اشارة هامة أوردها المؤرخ ابن خلكان وضح فيها ان الداوية كانوا يقومون باعداد فرسانهم منذ الصغر،[٢٨٣] ومن الطبيعي أن نلاحظ أن ذلك الاتجاه كان متبعاً من قبل لدى المسلمين ويمكن أن نتلمسه في صبيان الحجر عند

الفاطميين في مصر،(٢٨٤) وكذلك عند عناصر القرامطة في البحرين،(٢٨٥) وحتى فيما بعد عند المماليك ونظمهم الحربية فيما عرف بمماليك الطباق،(٢٨٦) ولا ريب في أن هذا الأسلوب كان يضمن ارتباط الفارس بالروح الحربية منذ حداثة سنه فيشب وقد ارتبطت في نفسه ارتباطاً وثيقاً.

ومن الممكن أن نتصور أن إيراد المؤرخ السابق لمثل تلك الناحية الدقيقة والهامة في البيئة الداخلية من تكوينات التنظيمات الدينية والمسيحية يدل دلالة واضحة على أن من المؤرخين المسلمين من كان حريصاً أشد الحرص على معرفة المزيد عن تلك العناصر التي مثلت خطراً داهماً من الناحية الحربية على المسلمين وقواتهم في ساحات الوغى.

ويقدم لنا مؤرخ مسلم آخر وهو أسامة بن منقذ الشيزري اشارة هامة أخرى عن الفرسان ويقدم لنا تناولاً لمكانة الفارس في الكيان الصليبي فيقرر أن الفرنج خذلهم الله ليس فيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة ولا عندهم مقدمة ولا منزلة عالية إلا الفرسان ولا عندهم ناس الا الفرسان فهم أصحاب الرأي وهم أصحاب القضاء والحكم،(٢٨٧) ومن المحتمل ان ابن منقذ كان يقصد بالفرسان هنا فرسان الداوية بحكم معرفته بهم ومصادقته لهم.(٢٨٨)

وعلى الرغم من أن عناصر الفرسان التابعين لتلك التنظيمات كانوا من أكثر العناصر نظاماً وطاعة،(٢٨٩) الا ان المصادر اللاتينية أشارت صراحة إلى أن الفارس منهم اذا ما خرج عن القوانين فانه يخضع لأشد أنواع العقوبات النفسية والبدنية صرامة، ولدينا أحد النصوص الهامة يوردها أحد الرحالة اللاتين المجهولين يقرر فيه بالنسبة لفرسان الداوية أن العقوبات كان من الممكن أن تفرض على الفرسان المخالفين(٢٩٠) فيعاقب بالطرد من التنظيم من اتهم بالهرب إلى المسلمين، أو لدواعي الهرطقة والخروج عن الايمان، وكذلك في حالة فقدان ادوات الحرب وأسلحته أواغتيال أو قتل فرد مسيحي أوتبديد أملاك التنظيم بصورة أو بأخرى أو لأسباب أخرى أقل خطورة مثل عدم الطاعة وقتل حصان أو عبد فإن رداء الفارس كان ينتزع منه، وفي حالات أخرى فان التنظيم قد خصص بعض الأماكن كسجون من أجل أن يسجن فيها الأفراد الذين فرضت عليهم عقوبات بذلك.(٢٩١)

وقد حفظت لنا المصادر اسم أحد فرسان الداوية الذين خرجوا على القانون وتعرضوا للعقوبة وهو والتر دي مسنيل الذي اتهم بقتل رسول مقدم الاسماعيلية في الشام راشد الدين سنان.(٢٩٢)

وتجدر الإشارة إلى أنه نتيجة لنشاط التنظيمات الدينية المسيحية وخوضها لغمار العديد من المعارك الحربية ضد المسلمين وخاصة مع تزايد قوة الآخرين وانتعاش حركة البعث الاسلامي على أيدي الزنكيين ومن بعدهم الأيوبيين والمماليك --نتيجة لذلك تزايد دور الفرسان التابعين لها-- وبالتالي تزايدت نسبة الخسائر البشرية التي تعرضوا لها الأمر الذي عملت على تعويضه عن طريق قبول متطوعين وحرصت على اعدادهم إعداداً موفقاً من أجل أن يعوضوا زملاءهم الذين قتلوا أو أسروا خاصة أن المصادر التاريخية العربية تشير في أحيان كثيرة إلى تزايد خسائر طبقة الفرسان في المعارك التي خاضوها ضد المسلمين.(٢٩٣)

ومن العناصر الأخرى ضمن نظم التنظيمات الأخوة الخدام ولم يكن يشترط فيهم أن يكونوا على درجة عالية من النبالة،[٢٩٤] وقد أدى انشاء جماعة الأخوة الفرسان إلى تفرغ جماعة الأخوة الخدام إلى جماعتين متميزتين: الأولى خاصة بالخدمة العادية في المستشفى والأخرى كانت لخدمة الفرسان وعرفت باسم الأخوة خدام السلاح.[٢٩٥]

وقد كان قسم من الأخوة الخدام يعمل في الواجبات المنزلية العادية للدير والمستشفى وتوضح القوانين التنظيمية أنهم كانوا يختصون بالعمل في الأعمال الشاقة وكان لرؤساء الأديرة الحق في أن يستعينوا بالعدد الذي يريدونه من الأخوة الخدام لتنفيذ الأعمال اللازمة.[٢٩٦]

ويرى كنج أنه من النادر أن ينظر إلى الأخوة الخدام على نحو دقيق باعتبارهم اعضاء في التنظيمات بل أنهم كانوا في غالبيتهم العظمى خداماً مستخدمين أو مؤجرين، وقد وُجدت عناصر منهم بلا ريب وان كانت نسبتها بالطبع ضئيلة حظيت بالثقة وعملت كأخوة في التنظيم،[٢٩٧] ومع ذلك فقد كانوا يتعرضون للطرد إذا ما قاموا بما يخالف القوانين القائمة.[٢٩٨]

ومن الوظائف الأخرى السرجنت وهم الذين ينتمون إلى رجال أحرار سواء كان ذلك بالنسبة للاسبتارية أو الداوية وقد اختصوا بشئون الخيل، والايجارات، ويلاحظ أن هذه الوظيفة تشبه وظيفة وجدت في الغرب الأوروبي في العصر الوسيط ذلك أن الفارس كان له تابع خاص هو الاسكويرس ومهمته هي العناية بالخيول والأسلحة فقد كانت معدات الفارس القتالية الباهظة التكاليف تحتاج إلى تابع متمرس،[٢٩٩] وبصفة عامة فإن السرجنت خضعوا لنظام دقيق[٣٠٠] مثل غيرهم من عناصر التنظيمات الدينية المسيحية.

ولدينا إشارات هامة عن وظيفة السرجنت عند تنظيم الداوية ويفيدنا في هذا المجال ما ذكره الرحالة يوحنا فورزبورج وثيودريش في رحلتيهما، ونعرف من خلال ماكتباه أن صاحب هذه الوظيفة كان يرتبط عمله بالخيول وتجهيزاتها ولذا ارتبط عمله باسطبلات الخيول التابعة للتنظيم، ويوضح يوحنا فورزبورج أن هناك في القصر الذي يقال إن سليمان قد ابتناه -يقصد بالطبع القسم الخاص بالداوية في معبد سليمان يوجد اسطبل عجيب اتساعه كبير حتى أنه كان من الممكن أن يسع أكثر من الفين من الخيول أو الف وخمسمائة من الجمال،[٣٠١] وكان الاسطبل المذكور يقع في المنطقة إلى الجنوب الشرقي من الحرم أما ثيودريش فإنه لم يزد على الإشارة باقتضاب إلى أن لفرسان الداوية اسطبلاتهم الخاصة بخيولهم ومتعلقاتها في جزء من معبد سليمان،[٣٠٢] ومن الممكن أن نستدل من خلال تلك الاشارات السابقة على مدى أهمية تلك الوظيفة.

ومن بين الوظائف الهامة التركيولير الذي كان يقود عناصر التركبولي،[٣٠٣] وهم الذين كانوا جنداً في خدمة الصليبيين أما أصولهم فنعرف أن آباءهم أتراك أو عرب وامهاتهم من أصل يوناني وكانت عناصرهم بمثابة جند مرتزقة في خدمة أي حاكم أو أمير ومن تلك العناصر البتشنج Peschenegs، والكومان Kumans، وهناك من يرى أن هذا اللفظ أطلقه البيزنطيون على فرقة من فرق جيشهم تلى

في الأهمية فرق الفرسان[٣٠٤] وقد لعبت تلك العناصر دوراً هاماً في المعارك التي جرت بين المسلمين والصليبيين.

كذلك فقد كان المجلس العام من أهم التكوينات الداخلية للتنظيمات الدينية المسيحية وقد تكونت من العناصر التي يعينها المقدم أو يختارها المجلس، وكذلك من رفقاء المقدم [٣٠٥] وكان اجتماعه لفترة محددة ولمدة عدة أيام أما إذا جد جديد من الأمور التي كان على الأعضاء أن يناقشوها فمن الممكن عندئذ أن يمتد الانعقاد لعدة أيام قد تصل إلى عشرة أيام، وكان المقدم يقوم بنفسه بمناقشة القضايا المتعددة التي تواجه التنظيم مستعيناً بالعناصر المكونة للمجلس العام.[٣٠٦]

وكان المجلس العام يجتمع من خلال المقدم وجماعة الرهبان وبعض الموظفين الآخرين، واذا كان من الصعب اجتماعهم أو أنه اذا لم يكن بإمكان اعضاء الدير أن يأتوا إلى المجلس وكان لزاماً وجودهم من أجل أن يقوم المقدم باستشارتهم فمن الممكن أن يجمع لديه عدد من الأفراد ويعرضهم على جماعة من الرهبان ويوافقون عليهم سواء اختلفوا في انتسابهم إلى بلدان متعددة من العالم المسيحي.[٣٠٧]

وإلى جانب المهام السابقة تبقى أهم أعمال المجلس العام، وهي انتخاب المقدم ومن جهة أخرى فإن المجلس كان بمثابة السلطة الوحيدة التي يمكنها الاشراف على المقدم،[٣٠٨] ويلاحظ أن المجلس انعقد عدة مرات في مدينة عكا،[٣٠٩] وبعد ذلك في قبرص.[٣١٠]

وتبقى أخيراً ناحية هامة وهي وضع تلك التنظيمات بوصفها قوة اقتصادية امتلكت الأراضي والضياع في الأرض المقدسة، وفي هذا المجال أشارت المصادر اللاتينية خاصة ما ألفه الرحالة اللاتين إلى تلك الحقيقة ويشير ثيودريش إلى ذلك بقوله "إنه ليس من اليسير على أحد أن يدرك فكرة ما عن مدى القوة والثراء اللذين عليهما الداوية ذلك أنهم إلى جانب الاسبتارية قد امتلكوا أغلب المدن والقرى التي أثرت بها أرض فلسطين".[٣١١]

ويلاحظ أن التنظيمات الدينية المسيحية قد غدت مع استمرار بقاء الصليبيين في الشام اكبر ملاك للأراضي بالشرق الأدنى،[٣١٢] وذلك في نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي،[٣١٣] وازدادت ضياعها عدداً بما ظفرت به من اقطاعيات وبما دأبت عليه من استمرار شرائها للأراضي.

ولدينا عدة أمثلة عن الاقطاعيات التي حصلت عليها تلك التنظيمات في انحاء متفرقة من المملكة اللاتينية وتواريخ الحصول عليها، ففي عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م قدمت صاحبة قيسارية بعض الأبراج على حوائط المدينة لفرسان التيوتون واتفقت معهم على انه في وقت الحرب فإن هذه الأبراج تعود إليها،[٣١٤] وفي عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م قام الأمير الصليبي جوليان صاحب صيدا في وقت متأخر من العام المذكور بإقطاع اجزاء من مناطق سيادته لفرسان التيوتون،[٣١٥] وفي عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م قام الأمير الصليبي نفسه بالتخلي عن بقية املاكه للداوية وبعد عقده لعدة مباحثات مع تنظيم الاسبتارية اتجه إلى إعطائهم جانباً من املاكه، وقد كان دافعه القوي إلى ذلك أن اقطاعه قد تعرض لهجمات عنيفة من جانب المسلمين، ولما أغار المغول بجموع قواتهم على أراضيه وهدموا أسوار مدينته اتجه إلى التنازل

عن اقطاعه لهيئة فرسان الاسبتارية،(٢١٦) وكان طبيعياً أن يتجه إليها بحكم أنها غدت تمثل جانباً هاماً من القوة الحربية الفعالة، والمؤثرة في المملكة اللاتينية وتكرر الأمر نفسه مع إمارة انطاكية حتى وصل الأمر بتنظيم الاسبتارية أن صار يمتلك نحو مائة وخمس وثلاثين قرية.(٢١٧)

وعلى الرغم من أنه ليس من اليسير رسم صورة واضحة عن المناطق التي نعرف ان التنظيمات الدينية المسيحية كانت مقتطعة اليها أو قد تمكنت من شرائها، إلا أننا نعرف أن هناك مناطق معينة كانت خاضعة إقطاعياً لها في مرحلة من مراحل تطورها ومن أمثلة ذلك مناطق المرقب وبعرين ورافنيا وحصن الأكراد وافامية واركاس وغيرها،(٢١٨) ولاريب في أن ذلك كله يعكس مدى تزايد نفوذها على كافة المستويات الاقتصادية والسياسية على نحو كان له آثاره على الوجود الصليبي ذاته.

ذلك كان تناولاً لتأسيس التنظيمات الدينية المسيحية في بلاد الشام خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني والثالث عشر الميلاديين والخلفية العقائدية التي مهدت لذلك متمثلة في فكرة الحرب المقدسة التي صنعها فقهاء الكنيسة وبابواتها ولم تكن في صلب الديانة المسيحية ذاتها، وقد تكونت تلك التنظيمات وتمت وسط تأييد بابوي واسع النطاق متمثلاً في المراسيم التي صدرت بالموافقة على تأسيسها، سواء في ذلك تنظيمات الاسبتارية، والداوية، والتيوتون ومن الطبيعي أن تحظى التنظيمات الكبرى بعناية المصادر الأصلية أكثر من غيرها بحكم الدور الذي قامت به، أما العمائر الحربية التي امتلكوها متمثلة في القلاع والحصون التي تناثرت بطول المملكة اللاتينية وعرضها فهذا ما سنخصص له الفصل التالي.

هوامش الفصل الأول

(١) انظر مثلاً " سمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر أيضاً ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً "انظر انجيل متى ٥:٣٨-٤٠ ويعلق الفيلسوف المسلم العامري على ذلك بقوله إنه خارج منه "أي من السيد المسيح" مخرج المثل للأعضاء والاحتمال ويذكر أن هؤلاء الثنوية والنصارى الذين يدينون بأن معاونة الدين تكون بالدعاء اليه دون الحرب لو قصد قاصد بعض هياكلهم للتخريب أو عن إلى واحد من كتبهم بالاحراق لما كانوا مقرين على ذلك مع وجودهم السبيل "انظر: العامري، الاعلام بمناقب الاسلام، ص١٤٧.

(٢) Saunders, "The Crusade as a Holy War" in Brundage, The Crusades, motives and achievements, Boston 1964, p.54, Aspects of the Crusades, p. 185.

(٣) Tacitus, Germany and its Tribes, in complete works of Tacitus, Trans. By Church and Brodribb. Columbia 1942, p.710-711.

وعن الفكرة نفسها انظر ايضاً: اسحق عبيد، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية، ط٥ القاهرة ١٩٧٢م، ص١٠٦، ديفز، اوروبا في العصور الوسطى، ت. عبدالحميد حمدي، ط. الاسكندرية ١٩٥٨م، ص١٩، فيشر، تاريخ اوروبا العصور الوسطى، ت. محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني. ط. القاهرة ١٩٦٦م، جـ١، ص٢٠، سعيد عبدالفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط٠ القاهرة، جـ١، ص٧٨، السيد الباز العريني، الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص٤٩.

(٤) براور، عالم الصليبيين، ص١٠ Saunders Aspects, p.17

(٥) Brundage, "Holy war and The Medievel Lawyers", in The Holy war, p.182.

(٦) قاسم عبده قاسم، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، ط٠ القاهرة ١٩٨٣م، ص١٧.

(٧) نفسه، نفس المرجع والصفحة، براور، عالم الصليبيين، انظر تقديم قاسم عبده لترجمة الكتاب، ص١٠.

(٨) قاسم عبده قاسم، المرجع نفسه، ص٢٢، وعن دور ليو التاسع في هذا المجال انظر: مونتجومري وات، فضل الاسلام على الحضارة الغربية، ت. حسين أحمد أمين، ط٠ القاهرة ١٩٨٣م، ص٧٢.

(٩) قاسم عبده قاسم، الخلفية الأيديولوجية، ص٢٣، وات، فضل الإسلام، ص٧٢.

(١٠) عن البابا جريجوري السابع انظر:

Ulmann, History of Political Thought, The Middle Ages, London 1978, pp.106-107,112-113.
Keen, The pelican History of Medieval Europe, London 1976, pp.77-80.

هارتمان وباركلاف، الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى، ت. جوزيف نسيم يوسف، ط٠ الاسكندرية ١٩٦٦م، ص٢٣١-ص٢٣٢.

(١١) Brundage, Holy War and The Medieval Lawyers, pp.104-105.

(١٢) Cowdrey, The Genesis of The Crusade, in The Holy war p.19.

(١٣) .Brundage, Op.Cit, PP.104-105

(١٤) Cowdrey, The Genesis of The Crusades, p.19.

(١٥) Ibid. p.20

(١٦) Brundage, Holy war and The medieval lawyers, p.105

ويقول قاسم عبده قاسم، عنه انه المبتكر الحقيقي لفكرة الحرب المقدسة في العصور الوسطى، انظر: الخلفية الايديولوجية، ص٢٤، ومن ناحية أخرى يلاحظ أن جريجوري السابع قد كون جيشاً عرف باسم جيش القديس بطرس Militia Sancti Petri وكانوا بمثابة القوات الحربية التابعة للكنيسة ووقعت أحياناً بعض الاضطرابات من جراء تلك القوات، عنها انظر:

قاسم عبده قاسم، رؤية اسرائيلية للحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٢م، ص٨.

(١٧) Eginhard, The life of Charlemagne, Trans. by Crant, London 1926, pp.15-25.

(١٨) براون، عالم الصليبيين، ص٣٢.

(١٩) Saunders, Aspects of The Crusades, p.18

(٢٠) عنها انظر: قاسم عبده قاسم، "الشعر والتاريخ، دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية"، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م(٢٨)، (٢٩) لعام ١٩٨١-١٩٨٢م، ص٧٨، اسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص٧٨.

(٢١) عن ذلك بالتفصيل: دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ت. حسن حبشي، ط.القاهرة ١٩٦٣م، ص٢٢٨-ص٢٣١، لين بول، العرب في اسبانيا، ت. علي الجارم، ط.القاهرة ١٩٥٧م، ص٥٧-٥٨، عبدالحميد العبادي، المجمل في تاريخ الأندلس، ط.القاهرة ١٩٥٨م، ص٨٠-٨٣، عبدالمنعم ماجد، العصر العباسي الأول، ط.القاهرة ١٩٧٣م، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٢٢) عنها انظر: جوزيف نسيم يوسف، "انشودة رولان، قيمتها التاريخية وما أثير حولها من جدل ونقاش" ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط، المجلد الأول ١٩٨٢م، ص٧٧-٩٧، قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص٧٩، "الدوافع الاجتماعية في الحركة الصليبية"، سمنار التاريخ الاسلامي والوسيط، المجلد الثاني ١٩٨٣م، ص٢٢٦، ديفز، شارلمان، ت.السيد الباز العريني، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص٢١٥-٢١٨.

(٢٣) The Song of Roland, Trans. By Sayers, London 1957, p.165 Sqq.

(٢٤) كولتون، عالم العصور الوسطى، ت. جوزيف نسيم يوسف، دار المعارف، الاسكندرية، ط١، ١٩٦٤، ص١٣٠، حاشية (١).

(٢٥) يلاحظ أنني استعمل تعبير الامبراطورية الرومانية الشرقية وأيضاً الامبراطورية الرومانية المتأخرة وكذلك الامبراطورية البيزنطية وكلها تعني تلك الامبراطورية التي امتدت زمنياً من عام ٣٣٠ حتى عام ١٤٥٣م وعرفت لدى المؤرخين المسلمين "بدولة الروم".

(٢٦) هو أسقف قيسارية كبادوكيا في الفترة من ٣٧٠-٣٧٩م وقد كان صديقاً مخلصاً للأسقف السكندري اثناسيوس وقد كانت لباسيل مواقف قوية تجاه الامبراطور فالنز الذي دان بالآريوسية، عنه انظر: تعليق رأفت عبدالحميد في كتاب هسي، العالم البيزنطي، ص٢٨٣، حاشية (١)، رأفت عبدالحميد، الدولة والكنيسة، جـ٢، أثناسيوس، ط.القاهرة ١٩٧٧م، ص٥٠٧-٥١٢.

(٢٧) Saundars, Aspects of the Crusades, p.17

(٢٨) براون، عالم الصليبيين، ص٩-١٠، وعن موقف البيزنطيين من الحرب يقول رنسيمان ما نصه: "لم يكن البيزنطيون بفطرتهم شعباً عسكرياً، اجل ان الجراة العسكرية كانت لامراء تثير اعجابهم بيد انها لم تكن هي الصفة المرغوبة الوحيدة كما كانت في الغرب الآخذ بسنن الفروسية وكان القائد المظفر يظل خادماً لله ولذا يحظى بكل تقدير فالضرورة كتاب هسي التي قضت عليهم أن يصوغوا أنفسهم في الوقت المناسب على أسس عسكرية، "انظر" رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ت. عبدالعزيز جاويد، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص١٥٨.

(٢٩) فتحية النبراوي "حياة الامبراطور الكسيوس كومنينوس"، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م (٢٧) لعام ١٩٨١م، ص٤٥، عمر كمال توفيق، الامبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الأرض المقدسة، ط. الاسكندرية، ص٦.

(٣٠) لطفي عبدالبديع، الاسلام في اسبانيا، ص١٠١.

(٣١) Woodhouse, The Military religious Orders in The middle ages, London 1879, p.322

(٣٢) من أمثلة ذلك تنظيم كالاترافا Order of Calatrava الذي ظهر في اسبانيا متأثراً بتنظيم الداوية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، عنه بالتفصيل: Estow, "The Economic development of The order of Calatrava 1158-1366", speculum, vol. L VII, 1982, Thatcher, Source Book of medieval History, London, 1903, p. 492

(٣٣) King, The Knights Hospitallers in the Holy land London 1930,p.1, Runciman, Vol.II, p.156.

(٣٤) La Monte, The Feudal Monarchy, p. 217, Brehier, l' Eglise et L'Orient, Paris 1921, p.97

(٣٥) Riley- Smith, What were The Crusades, Newjersy 1977, p.72

(٣٦) Goelzer, Diction naire Latin- Francais, Paris 1928, p.314, Ency. Brit. "Hospital" Vol.

VIII, p.791.

(٣٧) Miller, "The knights of St. John and The Hospitals of The latin West", Speculum LIII, 1978, pp.709-718

(٣٨) Deanesly, Medieval Church, London 1925, p.209, Setton, Hist. of The Crusades, pennsylvania 1962, vol.I, p.75.

نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين ١٢، ١٣م، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٧٥م، ص٨.

(٣٩) Antoninus Martyr, The Holy places Visided by Antoninus Martyr, Trans. By Aubrey Stewart, PPTS, Vol. II, P.28.

(٤٠) هسي، العالم البيزنطي، ص٣٢٤.

(٤١) نفسه، نفس المرجع والصفحة.

(٤٢) أمالفي Amalfi هي مدينة وقعت في كامبانيا Campania في ايطاليا في مقاطعة سالرنو Salerno ووقعت ايضاً على بعد سبعة عشر ميلاً إلى جنوب غرب سالرنو على الساحل الشمالي من الخليج الذي اتخذ اسم المدينة نفسه Gulf of Salerno وكانت أمالفي مستعمرة بيزنطية وحصلت على استقلالها في وقت مبكر من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وخضعت من بعد ذلك لسيطرة النورمان وزعيمهم روبرت جويسكارد ودخلت في علاقات تجارية هامة مع مصر الفاطمية على نحو خاص عنها انظر:

Ency. Brit. "Amalfi", Vol. II, P.703, Ency. Americ, "Amalfi", Vol. I, p. 651,Chambers's Ency. "Amalfi", Vol. I, p.315, G. Lorier Ency. "Amalfi", Vol. I, p.205,Pirenne, Mohammed and Charlemagne, London 1954, p.152

Citarello, "The relations of Amalfi with The Arab world before The Crusades, "Speculum, Vol.XLII, pp. 299-312, Gibb, The Italian Cities and The Arabs Before 1095", in Setton, The Crusades, Vol. I, P.52.

سهير نعينع، علاقات مصر التجارية بمدينة أمالفي في العصور الوسطى، ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٣٠٣-٣٢٦.

(٤٣) King, The Knights Hospitallers, p.13

(٤٤) Archer, The Crusades, p.170.

(٤٥) أسعد منصور، تاريخ الناصرة، ط. القاهرة ١٩٢٣م، ص٤٢.

(٤٦) عزيز سوريال، العلاقات بين الشرق والغرب، ص٥٥ Cassell's, History of England, Vol.I,p.151

(٤٧) Runciman, Vol.II, p.156. Mayer, The Crusades, London 1972, p.83. Barber, The Trial of Templars, Cambridge 1968, p.7. Richard, le Royaume Latin de Jerusalem, Paris 1933, p.10

السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ص٣٢٧.

(٤٨) فايز اسكندر، فن الحرب والقتال لدى الصليبيين والمسلمين في النصف الأول من القرن الثالث عشرم، رسالة ماجستير غير منشورة -كلية الآداب- جامعة الاسكندرية، ص٧٧.

(٤٩) عن السياسة الخارجية للامبراطور باسيل الثاني أنظر ما ألفه الباحث وسام عبدالعزيز فرج، الامبراطور باسيل الثاني، سفاح البلغار، العوامل التي أثرت على السياسة في عصره، سمنار التاريخ الاسلامي والوسيط، م(١) لعام ١٩٨٢م، ص١٦٩-١٩٦، دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٨٢م، ص٣٠٢-ص٣٧٨.

(٥٠) يحيى بن سعيد الأنطاكي، صلة كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ط. بيروت ١٩١٩م، جـ١، ص٢٧٠-٢٧١.

King, The Knights Hospitallers, p.11

(٥١) عبدالمنعم ماجد، المستنصر بالله، ص٧٥، خاشع المعاضيدي "العلاقات الفاطمية- البيزنطية" المجلة التاريخية- الجمعية العراقية للتاريخ والاثار، العدد (٣) لعام ١٩٧٤م، ص١٢٠-١٢١.

(٥٢) من الجدير بالتنويه هنا أن أهل الذمة في العصر الفاطمي تمتعوا بصفة عامة بمكانة هامة ومؤثرة في الدولة واسهموا في

النواحي الادارية والاقتصادية والسياسية وتولى منهم الكثيرون في منصب الوزراء، اما مرحلة حكم الحاكم بأمر الله فهي بمثابة استثناء بما حل فيها بأهل الذمة من اضطهاد، أنظر: الخربوطلي، الاسلام وأهل الذمة، ط.القاهرة ١٩٦٩م، ص١٧٢-١٧٣، قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، ط.القاهرة ١٩٧٩م، ص٥١، اليهود في مصر، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص١٠، المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ط. القاهرة ١٩٧٠م، الملحق الثاني من ص ٢٩٧-٣٠٤، مشرفة، نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ط. القاهرة ب-ت، ص١٢٤-١٢٩، وعن سياسة الظاهر لاعزاز دين الله المتسامحة تجاه أهل الذمة والبيزنطيين انظر: أثرتون، أهل الذمة في الإسلام، ت.حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص٥٧، سلام شافعي محمود، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، رسالة ماجستير-كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٧٦م، ص٣٢-٦٠.

(٥٣) Riley-Smith, The Knights of St. John, p.36

(٥٤) King, The Knights Hospitallers, p.13

(٥٥) Deanesly, Medieval Church, p.109

(٥٦) Parker, Hist. of Palestine, p.126

ومن ناحية أخرى يلاحظ أن نشاط الامالفيين في إقامة المستشفيات لم يكن قاصراً على تلك التي اقاموها في بيت المقدس بل انهم اقاموا واحدة أخرى في مدينة انطاكية وذلك عام ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م وذلك على يد احد اثريائهم ويدعى موريس Maurice وقد جذبت اليها المرضى من العديد من الاقطار، انظر: Poche, Alep, Ses rapports avec l'europe, notes et souvenirs, Adiyat Halab, T. II, Alep 1976, p.20

(٥٧) William of Tyre, Vol. I,p. 80

(٥٨) La Monte, The Feudal Monarchy, p. 252.

(٥٩) Uden, Dictionary of Chivalry, London, p.161, Woodhouse, The Military religious Orders, p.23

(٦٠) Hume, Medical Work of The Kinghts Hospitallers of Saint John of Jerusalem, Baltimore 1940, p.3

(٦١) عن هيئة فرسان الاسبتارية في جزيرة رودس أنظر ما ذكره عنهم الرحالة الألماني رودلف فون سوشيم الذي زار الجزيرة في عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م.

Ludolph Von Suchems, Description of The Holy Land, Trans. By Aubrey Stewart PPTS, Vol. XII.

أيضاً سامي سلطان سعد، الاسبتارية في رودس، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٧٥م.

(٦٢) Uden, Op. Cit., p. 161. CF. also: Cavaliero, The last of The Crusaders, London 1960

(٦٣) القاضي الفاضل، انشاءات القاضي الفاضل، تحقيق فتحية النبراوي، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص٨٣.

(٦٤) ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري تحقيق دادو، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص١٥٠، ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص١٥٥، الحنبلي، شفاء القلوب، ورقة (٣٣)، مفضل بن ابي الفضائل، النهج السديد، نشر Blochet في PO,T.XII، ص٤٩١.

(٦٥) The Rule Statutes and Customs, p.16 king, The knights Hospitallers, p.20

(٦٦) رافت النبراوي، المسكوكات الصليبية، ص١٨٩، حاشية (٢).

(٦٧) King, The knights Hositallers, p.20

(٦٨) Archer, The Crusades, p.171

(٦٩) Cavaliero, The last of The Crusaders, p.1

براور، عالم الصليبيين، ص١٨٨.

(٧٠) Hume, Medical Work of The kinghts Hospitallers, p.6

(٧١) Hume, Medical Work of The knights Hospitallers, p.5

(٧٢) Ibid, p.5

(٧٣) Archer, The Crusades, p.171

(٧٤) The Rule Statutes and Customs, p. XV.

(٧٥) Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, p.204

(٧٦) رأفت النبراوي، المسكوكات الصليبية، ص١٠٥.

(٧٧) عنه انظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٣، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ط.بيروت ١٩٥٨م، ص١٩٧، الذهبي، دول الاسلام، جـ٢، ص٢١، ابن خلدون، العبر، ط. بيروت ١٩٧٦م، جـ٥، ص٢١، عبدالمنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين، ص٤٤٦، العلاقات، ص١٣٦، حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص١٧٤، سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، ص٦٧، عبدالحميد زايد، القدس الخالدة، ص٢١٢، عارف العارف، تاريخ القدس، ص٧٣، سعيد عبدالفتاح عاشور، شخصية الدولة الفاطمية، ص٢٤، أحمد رمضان، "بيت المقدس والخليل"، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، ط. القاهرة ١٩٨٢م، ص٥٤.

(٧٨) Wiliam of Tyre, Vol.I, p.335, Riley-Smith, The knights of St. John, p.37, Hume, Medical work of the knights Hospitallers, p.6

(٧٩) Ibid., p.6, Boase, Kingdoms and strongholds of the Crusades, London 1971, p.80

(٨٠) سالم، طرابلس الشام، ص٨٥.

(٨١) King, The knigts Hospitallers, p.20

(٨٢) Woodhouse, The Military religious Orders, p.23

(٨٣) العروسي المطوى، الحروب الصليبية، ص٧٠.

(٨٤) King, The knigts Hospitallers, p.31, Boase, kingdoms and strongholds, p.30

(٨٥) Delaville Le Roulx, Cart. Gen., T. I, 270, Hume, Medical Work of The Knights Hospitallers, p.7

(٨٦) Albert of Aix, in RHC,Hist on, T.IV,p.553. Bagnani, "The Knights of St. John in Rhodes and Asia Minor" JCAS, Vol.x, 1923, p.25.

شارل ديل، البندقية جمهورية ارستقراطية، ت. عزت عبدالكريم وتوفيق اسكندر، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ص ٧٦٠، حاشية (١).

(٨٧) Riley-Smith, The Knights of St. John, p.9

(٨٨) وبصفة عامة عن الهبات والمنح المقدمة لتنظيم الاسبتارية طوال مدة تواجد الاسبتاريين في مدينة بيت المقدس أي حتى عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، أنظر بالتفصيل:

Delaville Le Roulx, "inventaire de pieces de Terre sainte de l'Ordre de l'Hospital" ROL, III, Annee 1895,, pp.36-106, Anastasius IV Grants privileges to the knights of St. John (1154) in Thatcher, Source book of medieval History, pp.494-456.

(٨٩) عن المنحة البابوية وتحليل المؤرخين لها أنظر:

La Monte, Feudal Monarchy, p.257. Archer, The Crusades, p.171. Smail, The Crusaders in Syria, p.59. Mayer, The Crusades, p.83

(٩٠) أنظر الترجمة الموجودة في الملاحق السابقة لأحد المراسيم الخاصة بالهبات التي قدمت للهيئة.

(٩١) القديس يوحنا المتصدق هو بطريرك الاسكندرية في الفترة من عام ٦١٠ إلى ٦١٦م وعرف هذا القديس بأعماله الخيرية الواسعة النطاق وكانت له مكانة خاصة لدى سكان مدينة بيت المقدس على وجه الخصوص بسبب مساعدته للمسيحيين هناك وذلك بعد نهبها على يد خسرو الثاني Chosrous II ملك الفرس، وهناك اعتقاد بأن بعض متعلقات ذلك القديس قائمة في كاتدرائية برسبرج، عنه انظر:

William of Tyre, Vol.I,p.80, note (1), Attwater, Dictionary of Saints, London 1975, p.190-191.

رأفت عبدالحميد، "كنيسة بيت المقدس في العصر البيزنطي" المجلة التاريخية المصرية، م (٢٥) لعام ١٩٧٨م، ص١٠٣.

(٩٢) يقرر كوندر أن هذا التحول قد وقع في عهد رايموند دي بوي، انظر:

Conder, The Latin Kingdom, p.204

وعن يوحنا المعمدان انظر:

انجيل متى، ٣:٢-٥، انجيل مرقص، ٦:١٦-٣٠.

=Hastings, Dictionary of The Bible, Newyourk 1952, p.509-510, Grant, Histoical

Introduction To The new Testament, New york 1963, pp.309-312.
Unger, Unger's Bible dictionary, Chicago 1964, p599-600 Attwater, Dictionary of Saints, p.191
طافور، رحلة طافور، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص٤٧-٦٨.
(٩٣) Cavaliero, The last of The Crusaders, p.1
(٩٤) عن بندكت ونظامه الديراني انظر:
Artz, The Mind of The middle ages, New York 1953, p.185. Culton, Medieval Panorama, Cambridge 1949, p.269, Munro& Strayer, The Middle ages, New york 1970, pp.62-67, Davis, History of Medieval Europ from Constantine to saint Lewis, London 1955, pp.74-79, Cantor, Medieval World, Newyourk 1968, pp.97-103, Cantor, Medieval History, The life and death of Civilization, New yourk 1962, p.187, Barker & Clark, The European Lnheritance, Oxford 1954, Vol.I,p. 325, Thempson, The Middle ages, London 1931, Vol.I,pp.107-108
كريستوفر دوسون، تكوين أوروبا، ت. محمد مصطفى زياده وسعيد عبدالفتاح عاشور، ط.القاهرة ١٩٦٧م، ص٢٥٠.
(٩٥) Uden, Dictionary of Chivalry, p.162, Deanesly, Medieval Church, p.109, Robertson, Short History of Christianity, London 1911, p.205
(٩٦) Hume, Medieval Work of the kinghts hospitallers, p15
(٩٧) بنيامين التطيلي، الرحلة، ص٩٩.
Wright, Early Travels in Palestine, London 1848, p.83
(٩٨) John of Wurzberg, Description of The Holy land, PPTS, Vol V, p.44
علي السيد علي، المجتمع المسيحي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٧٩م، ص١٣٨.
(٩٩) John of Wurzberge, Descripton of The Holy land, p.44
(١٠٠) Fetellus, Description of Jerusalem and The Holy Land, ppts, Vol. V. p.3
(١٠١) Anonymous pilgrims, Anonymous pilgrim V, PPTS, vol VI, p.30
(١٠٢) Theoderich, Theoderich description of The Holy places,PPTS, Vol.V, p.82. Wooding The Medical resouces, p.279, Hume Medical Work, p.16
(١٠٣) John Maundeville, The book of John Maundeville, in wright, Early Travels, p.168.
(١٠٤) رنسيمان، الحروب الصليبية، جـ١، ص٦٠٨.
(١٠٥) King, The knigts Hospitallers, p.29
(١٠٦) Ibid, p.229
(١٠٧) Fulcher of Cartres, p.29
ويلاحظ أن المسلمين قاموا بثلاث غزوات رئيسة من عسقلان على أملاك الصليبيين في أعوام ٤٩٥هـ/١١٠١، ٤٩٦هـ/١١٠٢م، و٤٩٩هـ/١١٠٥م وثلاث غزوات صغيرة عام ٥٠١هـ/١١٠٧م و٥٠٧هـ/١١١٣م و٥٠٩هـ/١١١٥م ويروي فوشيه الشارتري أن رجال عسقلان من المسلمين على الرغم من قلة عددهم إلا أنهم تفوقوا على قوات المملكة وفي إحدى المرات وصلوا إلى أسوار مدينة بيت المقدس، وأشعلوا بعض الحرائق هناك.
Fulcher of Chartrs, p.29, 250
(١٠٨) Stevenson, The Crusaders in the East, p.136
سامي سعد، الاسبتارية في رودس، ص٤٥.
(١٠٩) ابراهيم خميس ابراهيم، العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين في مصر والشام (١١٩٢-١٢٩١م/ ٥٨٩-٦٩٠هـ) رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب- جامعة الاسكندرية ١٩٨٣م، ص٥٧.
(١١٠) عبدالرحمن زكي، "القلاع في الحروب الصليبية"، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م(١٥) لعام ١٩٦٩م، ص٦٨.

(١١١) Prestage, Chivalry, Its Historical significance and civilizing influences, London 1925, p.12

(١١٢) حسين مؤنس، نور الدين محمود، ص١٩١.

(١١٣) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص١٣.

(١١٤) Mayer, The Crusades, p.83.

(١١٥) Smail, The Crusaders in Syria and The Holy land, p.55

(١١٦) King, The knights Hospitallers, p.32

(١١٧) Ibid., p.32.

وعن تفاصيل هذه الوظيفة أنظر الإشارة لها في القسم الخاص بالتكوينات الداخلية للتنظيمات الدينية المسيحية في نفس الفصل نفسه.

(١١٨) عن جوسلين دي كورتناي انظر: Runciman, Vol.II,pp.37-43 Sqq.

سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ١، ص٤٠٣-٤٠٤، ص٤٤٨-٤٥٦.

(١١٩) King, Op.Cit, p.32

(١٢٠) Stevenson, The Crusaders in the East, p.120 Archer, The Crusades, p.170.

(١٢١) The Rule Statutes and Customs of The Hospitallers, p.XV. Woodings, The Medical resources and practice of The Crusader States, p.273

(١٢٢) Archer, Op.cit, p.170, Prestage, Chivalry, p.117

(١٢٣) براور، عالم الصليبيين، ص١٩٣.

(١٢٤) Lucie Elise, The Knights Templars, p.6. Gorny, Croises et Templiers, Paris 1977, p.76

سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، حـ١، ص٥٠١-ص٥٠٢، النبراوي، المسكوكات الصليبية، ص١٨٩، حاشية(١).

ومع ذلك يذهب الباحث عادل هلال إلى أن هيودي باين كان فارساً من برجندياً انظر:

Hilal, Sultan Al-Mansur qualawun's policy with The Latin states, Thesis of Master of Arts, American University in Cairo, 1983, p.100, note(1).

(١٢٥) William of Tyre, Vol.I,p.81

(١٢٦) عن نشاطهم ضد الصليبيين أنظر: سعيد البيشاوي، مدينة نابلس ودورها في الصراع الإسلامي الصليبي، رسالة ماجستير -كلية الآداب- جامعة الاسكندرية ١٩٨٤م، ص٩٢.

(١٢٧) Parker, Hist of Palestine, p.121

أنظر ايضا: سعيد البيشاوي، المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة الصليبيين، ص٣٧٠-٣٧١.

(١٢٨) Abbot Daniel, pilgrimage of The Russian. Abbote Daniel in the Holy Land, PPTS, Vol. IV, p.9

سيد فرج راشد، "القدس عربية إسلامية"، مجلة الدارة العدد (٣)، السنة (٩) يناير ١٩٨٤م، ص١٢.

(١٢٩) William of Tyre, Vol.I,[.81. King, The kinghts Hospitallers, p.21, Norman, Medieval Soldier, P.159, Deanesly, Medieval Soldier, P.159, Deanesly, Medieral Church, p.110, C.M.H, Vol. V, p.305

سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، حـ١، ص٥٠١، عمر كمال توفيق، مملكة بيت المقدس، ص١٠١، السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، حـ١، ص٣٥٩.

(١٣٠) باركر، الحروب الصليبية، ص١٨٤.

(١٣١) William of Tyre, Vol.I, p.81, Archer, The Crusades, p171

(١٣٢) King, The Knights of St. John, p.5, Gorny, Croisees et Templiers, p.76.

(١٣٣) William of Tyre, Vol.I, p.81

(١٣٤) ابراهيم خميس ابراهيم، العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين في مصر والشام، ص٣٧.

(١٣٥) عن منطقة معبد سليمان انظر:

Marino Sanutos, Secrets For True Crusaders to help them to recover the Holy land, Trans.

by Aubrey Stewart, PPTS, Vol. XII, London 1896, p.9. Bernard the Wise, How The City of Jerusalem is situated, Trans. By J.H.Bernard, PPTS, Vol.II, London 1893, p.12, The Pilgrimage of Arculfus in The Holy land, Trans. by J.R. Macepherson, PPTS, Vol.III, London 1895, p.68.

(١٣٦) William of Tyre, Vol.I,p.,81, Jacques de Vitry, p.51. Le Strange, Palestine under Islam, p.107, Barber, The Trial of Templars, p.184, Prestage, Chivatry, p.13, Prehier, L'Eglise et l'Orient, p.96, King, The Knights of St. John, p.5, Boase, Kingdoms ans Strongholds, p.84, Tout, The Empire and papacy, p.14.

(١٣٧) John of Wurzberg, p.21

(١٣٨) الحريري، الاعلام والتبيين، ورقة (١٠)، العثماني، تاريخ صفد، ص٤٨٧، مفضل بن أبي الفضائل، النهج السديد، ص٤٩١، الحنبلي، شفاء القلوب، ورقة (٣٣)، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٠، الحنبلي، الأنس الجليل، جـ١، ص٣٥٤.

(١٣٩) ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص١٥٠، ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص٥٥، ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص١٥٣، مفضل بن أبي الفضائل، المصدر السابق، ص٥٤٢.

(١٤٠) ابراهيم خميس ابراهيم، العلاقات السياسية بين جماعة فرسان الداوية والمسلمين، ص٣٤، حاشية(١).

(١٤١) مرجرجي الدومينيكي، "أصل كلمة الداوية"، المشرق السنة (٧) عدد ابريل ١٩٣١م، ص٢٤٥.

(١٤٢) نفسه، المرجع نفسه، ص٢٤٦.

(١٤٣) نفسه، المرجع نفسه، ص٢٤٨.

(١٤٤) نفسه، المرجع نفسه، ص٢٤٩.

(١٤٥) ابن الأثير، الكامل، R.H.C., Hist. Or.T.I.P.679

(١٤٦) العثماني، تاريخ صفد، ص٤٨٧.

(١٤٧) ابن العديم، زبدة الحلب، جـ٣، ص٢٧٥.

(١٤٨) William of Tyre, Vol.I, p.81. Jacques de Vitry, p.51. King, the Knights Hospitallers p.5 Gorny, Croiseeset Templiers, p.79-80. Prestage, Chivalry, p.14. Conder, The latin kingdom of Jerusalem, p.202. Norman, Medieval Soldier, p.159.

(١٤٩) عن هذا القديس بالتفصيل انظر:

Ency. Brit. "Bernard de Clairvaux" Vol.II, p.890-891. Ency. Americ. "Bernard de Clairvaux" Vol.III, p.405. Chambers's Ency. "Bernard de Clairvaux" Vol.II, p.274. Vacandard, Vie de Saint Bernard Abbe de Clairvaux, Paris 1895, Vol.I, p.227-249. De Brouwer, Saint Bernard Homme d'Eglise, Paris 1953, pp.47-57. Vanchez, "Saint Bernard, un predication irresistible" L'Histoire, XLVII, p.27-29.

نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ت.قاسم عبده قاسم، ط.القاهرة ١٩٨٢م، جـ٢، ص٤٩١.

(١٥٠) انظر النص اللاتيني في الباترولوجيا اللاتينية، مجلد رقم ٨٢. PLT.CLXXXII

(١٥١) Lucie Elise, The Knights Templars, p.23

(١٥٢) Carrvere, "Le debute de l'Ordre du Templiers en France" MA, T.XXVII, Annee 1914, p.308, Boase, Kingdoms and strongholds of the Crusades, p.34, King, The Knights of St. John, p.5

وبصفة عامة عن أمثلة الهبات والعطايا التي قدمت للداوية انظر:

Un diplome indedit d;Amaury I, roi de Jerusalem en faveur de l'abbaye du temple notre-seigneur (1166), Publie par Chalandon, ROL, VIII, Annee 1900-1901, pp.311-317. Delaville le Roulx, "Bulles pour l'Ordre du temple" Rol, XI, Annees 1905-1908, pp.405-438.

(١٥٣) Anonymous pilgrims, Anonymous pilgrim V, in PPTS, Vol.VI, p.29. Lucie Elise, The Knights Templars, p.33. Bradford, The Shield and The Sword, p.86. Mayer, The Crusades, p.82. Prestage, Chivalry, p.18. Runciman, Vol.II, p.106, Kerr, The. Crusades, p.82. Prehier, l'Eglise et l'Orient, p.97.

عزيز سوريال عطية، العلاقات، ص٢٥، السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ص٣٥٩.

(١٥٤) Archer, The Crusades, p.180

(١٥٥) Anonymous pilgrims, OP.Cit., P,29

ويلاحظ أن هيئة الداوية فيما بعد تحولت إلى النشاط المالي والمصرفي على نطاق واسع عن ذلك:

CF. Favier, "Les Templiers ou l'eches des banquers de la Croisade" L'Histoire, XLVII,. pp.44-51. Jordan, Louis IX and The challenge of the crusade, princeton 1979, pp.100,103.

(١٥٦) أميدي لوريول اليسوعي، "الفرسان الالمان في سوريا"، المشرق عدد (٢١) لعام ١٨٨٩م، ص٩٧٠.

(١٥٧) براور، عالم الصليبيين، ص١٩٦. La Monte, Feudal Monarchy, pp.269-370.

(١٥٨) نفسه، المرجع نفسه والصفحة.

(١٥٩) Mayer, The Crusades, p.139. Smail, The Crusaders in the Holy land, p.56. Woodings, The Medical resources, p.275.

(١٦٠) King, The knights Hospitallers, p.305

وعن تنظيم التيوتون انظر هذه الدراسة الممتازة: حسن عبدالوهاب، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، ط.الاسكندرية، ١٩٨٩م.

(١٦١) La Monte, Feudal Monarchy, p.270

(١٦٢) John of Wurzberg, p.46

(١٦٣) Riley-Smith, The Crusades, p.71

(١٦٤) Kantorowicz, Frederick The second, London 1931, p.88

(١٦٥) Christiansen, The Northern Crusades, Minnesota 1980, p.75.

(١٦٦) Mayer, The Crusades, p.189. Barber, The Trial of Templars, p.7

محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص١١٥، حاشية (١).

عن ذلك الباب أنظر: Kelly, Oxford Dictionary of popes, Oxford 1996, pp.186-188.

(١٦٧) King, The Knights Hospitallers, p.302. Woodings, Medical sources, p.275.

(١٦٨) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٣٨٥.

(١٦٩) اميدي لوريول، الفرسان الالمان في سوريا، ص٩٧٠.

Brehier, l'Eglise et l'Orient, p.142.

(١٧٠) La Monte, Feudal Monerchy, p.278.

(١٧١) Cantorowicz, Frederick The second, p.89.

(١٧٢) La Monte, Feudal Monarchy, p.270

(١٧٣) Favreaunile, The Teutonic Knights in Acre, in Outremer Studies, p.272.

(١٧٤) Riley Smith, Feudal Nobility in The latin kingdom of Jerusalem, London 1973, p.47

(١٧٥) عنها بالتفصيل انظر الفصل الثاني.

(١٧٦) Arculfus, The pilgrimage of Arculfus in The Holy land, Trans. By J.P. Nacepherson, PPTS, Vol.III, P.21.

(١٧٧) La Monte, Feudal Monarchy, p.274.

(١٧٨) Ibid., p.274

(١٧٩) Brehier, L'Eglise et L'Orient, p.142, Mayer, The Crusades, p.57, Bradford. The shield and The Sword, p.26. Prestage, Chivalry, p.12, Archer, The Crusaldes, p.182.
أميدي لوريول اليسوعي، الفرسان الالمان في سوريا، ص٩٧١.

(١٨٠) Norman, Medieval Soldier, p.161.

(١٨١) أميدي لوريول اليسوعي، الفرسان الالمان في الشرق، ص ٩٧٠.

(١٨٢) ارنست باركر، الحروب الصليبية، ص١٢٢.

(١٨٣) أسامة زكي زيد، صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، ص١٥١، حاشية (١).
Archer, The Crusades, p.182.

(١٨٤) King, The knight Hospitallers, p.305

(١٨٥) عنه أنظر: حامد غانم زيان، الامبراطور فردريك باربا روسا، ط.القاهرة.

(١٨٦) Hilal, Sultan Al-Mansur, p.107, note (2)

(١٨٧) Kantorowicz, Frederick The second, p.88

(١٨٨) Ibid, p.89

(١٨٩) Ibid, p89

(١٩٠) عن العلاقات المتوترة بين الامبراطور فردريك الثاني والاسبتارية والداوية انظر: الفصل الثاني، والفصل الثالث.

(١٩١) La Monte, Feudal Monarchy, p.175

(١٩٢) Prestage, Chivalry, p.13
وكانت منطقة بحر البلطيق قد شهدت ازدهاراً واضحاً لنشاط فرسان تنظيم التيوتون وقد استمر وجودهم هناك حتى عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م، عن هذا النشاط انظر الدراسة الممتازة التي قام بها الباحث ايريك كريستيانسن تحت عنوان الصليبيات الشمالية: Christiansen, The Northen Crusades, Minnesoto, 1980.

(١٩٣) King, The knights Hospitallers, p.303. Uden, Dictionary of Chivalry, p.164.
عبدالحفيظ محمد علي، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين بالشرق الأدنى في القرنين ١٢، ١٣م، رسالة ماجستير -جامعة القاهرة، ص١٧٠-ص١٧١.

(١٩٤) La Monte, Feudal Monarchy, p.175.

(١٩٥) القديس لعازر: يظهر في العهد الجديد على أنه صديق للسيد المسيح، وقد رفعه المسيح من الموت- باذن الله تبارك وتعالى- وقد عاش مع اختيه مريم ومرتا في قرية بيتاني Bethany (بيت عنيا العيزرية) بالقرب من القدس عنه انظر: يوحنا: ١١ من ١-٥٢، الاصحاح ١٢ من ١- ١٢.
Bernard The Wise, p.9. Attwater. Dictionary of Saints, p.238. Unger, Unger's Bible. dictionary, p.651. Hastings, Dictionary of The bible, p.572-573. Ency. Americ., "Lazarus" Vol.XVII, p.94

(١٩٦) John of Wurzberg, p.22. Theoderich, p.42, Abbot Daniel, p.22, Account of the Holy land, in PPTS, Vol. VI, p.28.

(١٩٧) Runciman, Vol.II, P.231

(١٩٨) Anonymous pilgrim III, in PPTS, Vol.II, P.13

(١٩٩) Woodings, The Medical resources, p.275

(٢٠٠) Woodings, The Medical resources, p.275. Woodhouse, Militury religious Orders, p.323.

(٢٠١) Woodings, Op.cit, p.275.

(٢٠٢) La Monte, Feudal Monarchy, p.276, Prawe The Latin Kingdom, p.276.

(٢٠٣) سعيد البيشاوي، مدينة نابلس ودورها في الصراع الإسلامي الصليبي، ص٣٢٠.

(٢٠٤) La Monte, Op. Cit., p.276

(٢٠٥) Anonymous pilgrims, Anonymous pilgrim III, in PPTS, Vol.II,p.13
(٢٠٦) Prawer, The latin kingdom, p.276
(٢٠٧) Saewulf, Pilgrimage of saewulf to Jerusalem, p.22-23.
(٢٠٨) Prawer, Op. Cit., p.276
(٢٠٩) Ibid., loc. cit
(٢١٠) Woodhouse, Military religious Orders, p.323
(٢١١) Ibid., loc. cit
(٢١٢) La Monte, Feudal Monarchy, p.276
(٢١٣) Woodhouse, Op. Cit., p.323. Richard, Hospitals and Hospital congregation, in Outremer studies, p.98.
(٢١٤) Ludolph Von Suchem, Deseription of The Holy land, Trans. By Aubrey Stewart, PPTS, Vol.XII, p.40
(٢١٥) King, The knights Hospitallers, p.304
(٢١٦) La Monte, Feudal Monarchy, p.276
(٢١٧) Smail, The Crusaders in Syria, p.56
(٢١٨) Prawer, The world of The crusaders, p.120
(٢١٩) Joinville, The life of Saint lewis, p.300
(٢٢٠) براور، عالم الصليبيين، ص١٩٨.
(٢٢١) La Monte. Feudal Monarchy, p.279
(٢٢٢) Stubbs, study of Medieval and Modern History, Oxford 1900, p.209.
(٢٢٣) Ludolph Von Suchem, p.53, note (1) Stubbs, Ibid., p209, Archer, The Crusades, p.183.
(٢٢٤) Ibid., p.183
(٢٢٥) Riley. Smith, The Crusades, p.71. Deanesly, Médieval Church, p.III.
نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص١٧٥.
(٢٢٦) Ludolph Von Suchems, p.53, note (1), king, The Knights Hospitallers, p.306, Archer, The Crusades, p.183.
(٢٢٧) Stubbs, Medieval and Modern History, p.210, king, Ibid, p.307, Archer, op.Cits p.183.
(٢٢٨) King, Op.Cit., p,307
(٢٢٩) Ibid, p.306
(٢٣٠) Ludolph Von Suchems, p.53, note (1)
(٢٣١) La Monte, Feudal Monarchy, p.277, Prawer, The latin kingdom, p.277.
(٢٣٢) Fulcher of Chartres, p.210
(٢٣٣) La Monte. Op. Citl, p277.
(٢٣٤) Prawer. Op. Cit., p.277
(٢٣٥) Prawer. Op.Cit., p.277
(٢٣٦) La Monte, Feudal Monarchy, p.277
(٢٣٧) الجويري، الأوضاع الحضارية، ص٧٠.
(٢٣٨) Delaville le Roulx, "L'Ordre de montjoye", Rol, 1, Annee 1893, p.43.
وانظر النص اللاتيني للمنحة البابوية الخاصة بالموافقة على التنظيم في المقالة المذكورة.
(٢٣٩) Woodhouse, Military relligious Orders, p.

(٢٤٠) الحويري، المرجع السابق، ص٧٠.

(٢٤١) Delaville le Rolux, Op.Cit, p.43.

(٢٤٢) Delaville le Rolux, Or. Cit, p.45

(٢٤٣) King, The knights Hospitallers, p.307.

(٢٤٤) Ibid., p.307

(٢٤٥) Riley . Smith, Feudal Nobility, p.52

(٢٤٦) أميدي لوريول اليسوعي، الفرسان الالمان في سوريا، ص٩٦٩.

(٢٤٧) King, Op. Cit., p.307

(٢٤٨) Riley Smith, Op. Cit., p.52

(٢٤٩) The papal Bull Confirming The Foundation of The Order, pp.16-19.

(٢٥٠) King, The knights Hospitallers, p.12

٢٥١) Riley, Smith, The knights of St. John, p.275 (

(٢٥٢) Lucie Elise, The knights Templars, p.17
King, The knights Hospitallers, p.275

(٢٥٣) Statutes of Fr. Alfonso of portugul, p.43.

(٢٥٤) ويلاحظ أن الاسكويرس لم يكونوا عناصر تعتبر أخوة في التنظيم وقد كان لكل فارس اثنين منهما وكان لكل سرجنت تحت السلاح أحدهم تابعاً له انظر: Statutes of Fr. Alfonso of portugal, p.43, note (2)

(٢٥٥) Statutes of Fr. Alfonso of portugal, p.48

(٢٥٦) The Papal Bull confirming The Foundation of The Order, p.18

(٢٥٧) Barber, The Trial of Templars, p.10

(٢٥٨) Ibid., p.8

(٢٥٩) انظر قوائم مقدمي الإسبتارية والداوية في الملاحق الخاصة بالتنظيمات الدينية المسيحية.

(٢٦٠) King, The knights Hospitallers, p.79.

(٢٦١) Eugene Harot, Essai D' Armorval des grande maitres, Rome 1911, p8-9.

(٢٦٢) King, The knights of St. John, p.5 Archer, The Crusades, p.170, Cavaliero, The last of The Crusaders, p.1

(٢٦٣) Hume, Medical Work of The knights Hospital lors, p.8

(٢٦٤) Riley-Smith, The knights of St. John, p.282.

(٢٦٥) Statutes of Fr. Alfonso of portugal, p.49.

(٢٦٦) King, The knights Hospitallers, p.13.

(٢٦٧) Riley Smith, The knights of St. John, p.279.

(٢٦٨) The Rule Statutes and Customs, p.13

(٢٦٩) King, Op. Cit., p.64

(٢٧٠) Delaville le Roule, les Hospitaliers en Terre sainte et a Chypie, Paris 1904, p20

(٢٧١) عنهم بالتفصيل انظر: Riley. Smith, The knights of St. John, p.279 Sqq.

(٢٧٢) King, The knights Hospitallers, p.73.

(٢٧٣) Statutes of Fr. William de Villaret, p.104

(٢٧٤) Statutes of Fr. Alfonso of Portugal, p.49

(٢٧٥) Statutes of Fr. Alfonso of Portugal, p.49

(٢٧٦) Statutes of Fr. William de Villaret, p.106

وعن وظيفة المارشال عند الداوية انظر:

Trudon des Ormes, liste de Maisons et de quelques
Dignitaites de l'Ordre de Temple en Syrie, en Chypte et en France" ROL, V, Annee 1897, pp.404-405.

(٢٧٧) عن صدقات تنظيم الاسبتارية انظر: John of Wuizberg, p.44
وعن مهام وظيفة الاسبتاري انظر:
The Rule Statutes and Customs, p.14, king, The knights Hospitallers, p.74.
أنظر أيضاً ما ارتبط ببعض افرادها من املاك: Statutes of Fr. Jobert, pp.29-80.

(٢٧٨) King, The knights Hospitallers, p.74

(٢٧٩) Ibid., p74

(٢٨٠) Riley. Smith, The Knights of St. John, p.283.

(٢٨١) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص١٥٧

(٢٨٢) Brehier, l'Eglise et l'Orient, p.37, Prestage, Chivalry, p.12
سامي سعد، الاسبتارية في رودس، ص٢٨، عبدالحفيظ علي، الحياة السياسية والاجتماعية، ص١٦٨.

(٢٨٣) سامي سعد، المرجع السابق، ص٢٧.

(٢٨٤) The Rule of Blessed Raymeond dupuy, p.22

(٢٨٥) Norman, Medieval Soldier, p.160

(٢٨٦) نبيلة مقامي، المرجع السابق، ص١٦٨.

(٢٨٧) Statutes of Fr. Alfonso of portugal, p.52

(٢٨٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، حـ٣، ص٤١٨.

(٢٨٩) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص١٠٢، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٣٢٠، عبدالمنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين، ص٤٥٢، نظم الفاطميين ورسولهم في مصر. ط.القاهرة ١٩٧٢م، عبدالله جمال الدين، الجيش في الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير غير منشورة- جامعة القاهرة ١٩٦٧م، ص٧٠-٧٣.

(٢٩٠) محمود اسماعيل، الحركات السرية في الاسلام، ط.القاهرة ١٩٧٣م، ص٢٠٢، شفيق أبو الخير، الحركات السياسية والمذهبية في الخليج العربي، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية دار العلوم- جامعة القاهرة ١٩٧٧م، ص٢٢٥.

(٢٩١) السيد الباز العريني، الفروسية في مصر في عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه- كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٥٥م، ص٥٢-١٠١، "الفارس المملوكي" مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م(٥) لعام ١٩٥٦م، ص٥١-٦٠، ابراهيم سعيد، الجيش في مصر في عهد سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة- جامعة القاهرة ١٩٧٣م، ص١٤، عبدالمنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ط.القاهرة ١٩٧٩م، حـ٣، ص١٥.

(٢٩٢) الاعتبار، ص٦٤-٦٥.

(٢٩٣) سعيد عبدالفتاح عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ص٩٥، قاسم عبده قاسم، "صورة المقاتل الصليبي في المصادر العربية"، مجلة البحوث التاريخية، السنة (٣) العدد رقم (٢)، يوليه ١٩٨١م، ص٣٢٧، محمد أحمد حسين، أسامة بن منقذ، ص٤٧.

(٢٩٤) La Monte, Feudal Monarchy, p.264
واصف بطرس غالي، تقاليد الفروسية عند العرب، ت.أنور لوقا وحسن النجار ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص٢٩.

(٢٩٥) Anonymous pilgrims, Anonymous pilgrim V, in PPTS, Vol., VI, p.30.

(٢٩٦) Ibid, p30

(٢٩٧) عن ذلك William of Tyre, Vol.II, pp. 392.394.
Roger of Wondover, Vol.II, p.504

(٢٩٨) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص٨٦، ابن الأثير، الكامل، جـ٩، ص١٧٩، ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٦، ص٧٦، أبو الفداء، المختصر، جـ٤، ص٢٦، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٣٧، الحنبلي، الأنس الجليل، جـ١، ص٣١٢، الفتح البنداري، سنا البرق الشامي، ص٢٩٨، ابن ايبك الدواداري، الدر المطلوب، ص٩٦.

(٢٩٩) Prestage, Chivalry, p.12, Deanesly, Medieval Church, p.110

(٣٠٠) سامي سعد، الاسبتارية في رودس، ص٢٧.

(٣٠١) King, The knights Hospitallers, p.12.

(٣٠٢) King, The knights Hospitallers, p.12.

(٣٠٣) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص١٦٠.

(٣٠٤) اسحق عبيد، الفرسان والأقنان في مجتمع الإقطاع، ص٥١، وعن السرجنت انظر ايضاً:

Statutes of Fr. William de Villaret, pp.111, 125.

Statutes of Fr.Hugh Revel, p.71

(٣٠٥) John of Wurzberg, p.21

(٣٠٦) Theoderich, p.21

(٣٠٧) عن هذه الوظيفة أنظر مثلاً بالنسبة للداوية.

Trudon des Ormes, liste de Maisons, p.406

وعن التركبولي أنظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٣٤١-٣٤٢، اسامة بن منقذ، الاعتبار، ص٥١، حاشية (٦٥)، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٣، ص١٤٩، حاشية (١)، ابن عبدالظاهر، تشريف الايام والعصور، ص٢٢، حاشية (٢)، تامارا رايس، السلاجقة، تاريخهم وحضارتهم ت. الخوري والداقوقي، ط. بغداد ١٩٦٨م، ص٩١، البدراوي زهران، اللغة العربية في عصر الحروب الصليبية، ص٢١٦-٢١٧.

(٣٠٨) Fulcher of Chartres, p.83, note (2).

(٣٠٩) King, The Rule Statutes and Customs, p.14

(٣١٠) Statutes of Fr. William de Villaret, p.104

(٣١١) Statutes of Fr. Alfonso of portugal, p.41.

(٣١٢) Lucie Elise, The knights templars, p.15-16. Brehier, l'Eglise et l'Orient, p.97

(٣١٣) عنها: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٦٢، ياقوت، معجم البلدان، جـ٣، ص٧٨٧، ابن خليل الأسدي، التيسير والاعتبار، تحقيق محمد عبدالقادر طليمات، ط.القاهرة ١٩٦٧م، ص٦٧، حاشية(١)، على بهجت، قاموس الامكنة والبقاع، ص١٥٢-١٥٣، نيقولا زيادة، "الشرق العربي وأوروبا إلى مستهل القرن التاسع"، المقتطف، م(١٠١)، حـ(٣) لعام ١٩٤٠م، ص٢٥٦.

(٣١٤) King, The knights Hospitallers, p.113.

(٣١٥) Theoderich, p.32

(٣١٦) Runciman, Vol.II, p.312, Norman, Medieval Soldier, p.185.

(٣١٧) Ibid., p.185

(٣١٨) Riley. Smith, Feudul Nobility, p.29-30

(٣١٩) Ibid, p.30

(٣٢٠) Ibid, p.30

(٣٢١) Archer, The Crusades, p.179.

(٣٢٢) Riley-Smith, The knights of St. John, p.452

الفصل الثاني

قلاع التنظيمات الدينية الحربية في بلاد الشام

امتلكت التنظيمات الدينية الحربية العديد من القلاع الصليبية ذات الأهمية الاستراتيجية على طول امتداد مملكة الصليبيين وعرضها كجزء من مهامها الحربية الدفاعية عن أملاك الصليبيين في مواجهة المسلمين خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وقد تزايدت اعداد تلك القلاع مع تزايد المسئوليات الحربية التي عهد بها إلى تلك التنظيمات وبلغ الأمر بها إلى حد أن معظم القلاع قد خضعت لها على نحو أكدته المصادر اللاتينية نفسها ودعمته المصادرا لعربية المعاصرة.

وتجدر الإشارة إلى أنه من الأهمية بمكان دراسة العوامل التي حدت بالصليبيين إلى الاتجاه نحو بناء قلاعهم وحصونهم المتعددة على امتداد املاكهم والأحداث التي أدت إلى تحول تلك القلاع إلى التنظيمات الدينية المسيحية لتتولى أمر الدفاع عن المناطق المحيطة بها.

ويأتي في مقدمة العوامل التي دفعت بالصليبيين إلى انشاء القلاع ماكانوا يعانونه من ضعف ونقص في القوة البشرية في المملكة اللاتينية. وفي هذا المجال، ينبغي أن نلاحظ أن الموقع الجغرافي لفلسطين بالنسبة للمناطق المجاورة وطبيعة تضاريسها لعبت دوراً محورياً في هذه الناحية، وذلك مع عدم اغفال أهمية التواجد الصليبي في نطاق شمال العراق حتى العقد الرابع من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وكذلك في شمال الشام.

وتجدر الإشارة إلى أن سطح فلسطين امتاز بتواجد أربع ظواهر تضاريسية رئيسة تتمثل في سهل ساحلي في الغرب يزداد اتساعاً في اتجاه الجنوب ثم هضبة متوسطة الارتفاع، كانت في الحقيقة امتداداً لجبال لبنان الغربية ثم منخفض غور الأردن،[1] أما الظاهرة الرابعة والمؤثرة في هذا المجال فهي صحراء النقب. وتمثل القسم الصحراوي من البلاد وتحتل معظم القسم الجنوبي وقد شكلت صحراء النقب ما يقرب من نصف مساحة فلسطين.[2]

وإذا كانت توزيعات السكان في أي عصر من العصور التاريخية كانت وما تزال ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتضاريس[3] ومظاهر السطح في منطقة ما من المناطق، فبصفة عامة كانت المناطق السهلية أكثر جذباً للسكان خاصة السهول الفيضية حيث النشاط الزراعي ومظاهر الحضارة الأخرى، بينما كانت الصحارى في غالبها الأعم مناطق مخلخلة سكانياً،[4] وان تطبيق تلك الاعتبارات على طبيعة فلسطين الجغرافية توضح لنا انها كانت تعاني من تناقض في توزيعات سكانها حيث كان السهل الساحلي يجذب اعداداً كبيرة منهم وتتناقص الأعداد في الهضبة الوسطى فإذا بلغنا صحراء النقب وجدنا انها عانت من خلخلة واضحة في عدد سكانها، أما المناطق المجاورة فقد كان وضعها يختلف إلى حد كبير فقد كانت أنهار النيل ودجلة والفرات والعاصي تجذب اعداداً متزايدة وبتركزات واضحة من

السكان على امتداد العديد من القرون، وهكذا فإن فلسطين كانت تتناقض سكانياً في أجزائها السهلية والصحراوية وكذلك تتناقض مع المناطق المجاورة لها التي امتازت بتواجد السهول الفيضية وبصورة أكثر تحديداً فإن الكثافات السكانية المجاورة لفلسطين تركزت في الاتجاه الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي.

ومن الطبيعي أن يؤثر الوضع السابق على طبيعة الوجود الصليبي في بلاد الشام ذلك أن أية مجموعة استعمارية استيطانية تمثل أقلية عسكرية تهدف إلى بسط سيادتها على أكثرية سكانية معادية كان لابد لها أن تتركز في مجموعة من المدن الحصينة والقلاع وذلك يصدق بصورة فعلية على الكيان الصليبي،(٥) وهناك من يرى أن نقص العنصر البشري قد دفع الصليبيين إلى اتباع سياسة عسكرية خاصة قرروا من خلالها تجنب المعارك المفتوحة بقدر الامكان والاعتماد على الحصون على نحو فاق اعتماد الغرب اللاتيني عليها.(٦)

وفيما يتصل بنقص القوة البشرية يلاحظ أن هذا الداء قد هدد الوجود الصليبي على امتداد مراحل تاريخه في بلاد الشام، ولا نغفل انه بعد سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين عاد العديد من المحاربين الفرنج إلى بلادهم في أوروبا ولم يبق في المملكة سوى أعداد أقل بكثير من الأعداد التي قدمت مع مطلع الحركة الصليبية،(٧) بل لقد ذهبت بعض الآراء إلى القول بأنه لم يصل إلى بيت المقدس غير أربعين الفاً من المحاربين الفرنج عندما قاموا بغرض الحصار عليها عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م،(٨) ويرجع ذلك كله إلى أن الخسائر التي لحقت بالجيش الصليبي في خلال طريقه الطويل إلى أن بلغ أخيراً المدينة المقدسة كانت فادحة، وعندما فرض الحصار من قبل ذلك على مدينة أنطاكية كان عدده يتراوح بين خمسين ومائة الف، وعندما اقترب الصليبيون من تحقيق مرادهم انسحب منهم بعض قوادهم بالقوى العسكرية التي كانت تحت امرتهم من أجل تكوين إمارات اقطاعية الأمر الذي تسبب في أن جعل الجيش الصليبي الغازي للمدينة المقدسة قد نقص عدده على نحو واضح عن ذي قبل،(٩) فإذا اضفنا إلى ذلك مصاعب الطريق والأخطار التي واجهها الصليبيون، والأمراض والأوبئة التي هددتهم، ولاحظنا إلى جانب ذلك أن عناصر الحجاج الذين كانوا يقدمون إلى المملكة من الغرب لم يمثلوا بصفة عامة دعماً بشرياً ثابتاً لها على اعتبار أنهم كانوا يقدمون من أجل تأدية شعائر الحج ويعودون أدراجهم مرة أخرى إلى بلادهم، ثم اشتداد حركة الافاقة الاسلامية فيما بعد دفعت بعناصر من الصليبيين إلى العودة إلى بلادهم طلباً للأمن بدلاً من المعارك والغارات الواقعة من جانب المسلمين، لاتضح لنا حجم مشكلة نقص العنصر البشري التي هددت الوجود الصليبي،(١٠) على نحو دفع الصليبيين إلى ضرورة إنشاء القلاع تعويضاً لهذا النقص.

وثاني العوامل التي دفعت بالصليبيين إلى تشييد قلاعهم، تمثل في الامتداد الطولي لمناطق النفوذ الصليبي، فقد كان ذلك الامتداد يتراوح ما بين اربعمائة وخمسمائة ميل من إمارة انطاكية في الشمال مروراً بإمارة طرابلس وانتهاء بمملكة بيت المقدس ذاتها، بينما كان عرض تلك المناطق لايزيد على

خمسة وسبعين ميلاً،(١١) وهذا الوضع جعل المناطق الخاضعة للسيادة الصليبية اكثر عرضة لهجمات المسلمين الأمر الذي دفع بالصليبيين إلى إقامة تلك المعاقل الحصينة من أجل إيجاد مراكز عسكرية متقدمة في مواجهة هجمات المسلمين وتقوم بحماية كافة تلك المناطق المعرضة لضغوط قوية بسبب طابعها الطولي.

أما ثالث العوامل، فيتمثل في ناحية اقتصادية تعد بالغة الأهمية لحيويتها وهي أن القلاع الصليبية جاءت لتفي باحتياج ضروري للمملكة، ففي المناطق الزراعية الخصبة والتي ندرك ارتباط الصليبيين بها خاصة في السهل الساحلي في غرب فلسطين، وكذلك المناطق الغنية بزراعاتها في طرابلس، وانطاكية، كان وجود مثل تلك القلاع يمثل ضرورة هامة لاحكام قبضة الصليبيين على تلك المناطق التي مثلت مورداً اقتصادياً هاماً لهم، ولمنع خضوعها للمسلمين من جديد، ومن جهة أخرى، كانت تلك القلاع تعمل على وقف محاولات المسلمين للتسلل والحاق الخراب الاقتصادي بموارد اعدائهم الزراعية لذلك وفرت لعناصر السكان عنصر الأمان الذي كان يدفعهم للاستمرار بالأرض وزراعتها طالما أن القيادات السياسية الصليبية قادرة على توفير الحماية لهم في ظل قلاع حصينة في مواجهة المسلمين.

أما العامل الرابع، فقد تمثل في الرغبة في تأمين حركة الحجاج،(١٢) فقد قدم الحجاج من مختلف أنحاء اوروبا لزيارة المحارم المسيحية المقدسة، وكانت حركتهم واستمرار توافدهم على المملكة اللاتينية مؤشراً حقيقياً لمدى ازدهار حكم الملوك الصليبيين وتوافر الأمن والحماية لهم، ثم أن تحقيق ذلك كان يؤدي إلى نتائج هامة لأولئك الملوك وهو توطيد حكمهم وتدعيمه وكسب التأييد في الأوساط الأوروبية على اعتبار أنهم حماة حجاج المقدسات المسيحية، وكانت إغارات المسلمين لاتتوقف على الطرق التي يسلكها أولئك الحجاج وخاصة الطريق الممتد من يافا وغيرها من المدن الساحلية إلى مدينة بيت المقدس والمدن والقرى الأخرى المرتبطة بذكريات المسيحية الأولى، وقد شكل الأعراب خطراً على عناصر الحجاج وشجع على نجاح هجماتهم أن تلك الطرق المؤدية من الساحل إلى بيت المقدس كانت ذات صفة جبلية وعرة المسالك نظراً لمرورها في منطقة الجبال الوسطى ولدينا وصف لأحدها فيما أورده أحد اولئك الحجاج،(١٣) ولذا فقد كان قيام القلاع الصليبية في بعض المناطق ذات الخطورة الخاصة عليهم أمراً أملته الظروف ودعت إليه الحاجات الملحة التي مر بها الصليبيون ولذلك فقد شيدوا سبعة معاقل بين يافا والقدس.(١٤)

ومن العوامل الهامة الأخرى ما يتعلق بملابسات الصدام الاسلامي الصليبي في بلاد الشام والخطوط العامة للسياسة الحربية الصليبية ذلك أن العديد من القلاع تم تشييدها من أجل تأمين ما عرف "بالمجال الحيوي "(١٥) لملكة بيت المقدس الصليبية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الوجود الصليبي بامتداداته من جبال طوروس شمالاً حتى التقاء صحراء النقب بشبه جزيرة سيناء جنوباً، ومن البحر المتوسط إلى نهر الأردن، لم يكن ثابتاً من الناحية الجغرافية السياسية وقد أدرك القادة الصليبيون أن الحفاظ على الحدود القائمة والتي تم اقامتها من خلال النجاح الذي حققته الحملة الصليبية الأولى أمر

ليس في وسعهم إلا عن طريق اكتساب واخضاع مناطق جديدة لسيادتهم السياسية والحربية، وذلك على حساب القيادات السياسية المسلمة في مصر والشام، ومن ثم فإن المجال الحيوي الصليبي امتاز باتجاهين تقليديين: ناحية الجنوب في مواجهة مصر وناحية الشمال في مواجهة عاصمة الشام دمشق ومدينة حلب في القسم الشمالي من بلاد الشام، وهذا المجال، لم يكن فقط يهدف إلى إخضاع مناطق جديدة من أجل نشر المسيحية الكاثوليكية بل التوسع في المناطق الغنية بثرائها الاقتصادي والسكاني، غير أن تأمين المناطق التي سيطر عليها الصليبيون كان يحتاج إلى عدد وافر من القلاع والحصون من أجل تأكيد السيادة الصليبية، وتأمين الخطوط الخلفية لجيوش الصليبيين عندما تقوم بتنفيذ مخططات أكبر ضد قوى المسلمين الحربية سواء في مصر أو الشام، وهذا الوضع يبرر لماذا ابتنى الصليبيون عدداً من القلاع الهامة في مواجهة حدودهم الشمالية والجنوبية الغربية، بينما كانت منطقة نهر الأردن لا تحتل الأهمية العسكرية في مخططات الصليبيين نحو إنشاء القلاع بالمقارنة بالاتجاهين السابقين، وتعليل ذلك يسير وهو أن منطقة ما وراء نهر الأردن والمنطقة الواقعة جنوب ذلك النهر ثم احكام السيطرة عليها بعدد قليل من القلاع، ذلك أنها لم تكن ذات ثراء في تربتها أو في كثافتها السكانية ومن ثم لم تكن تشكل اتجاهاً قوياً لتوسع المجال الحيوي الصليبي، ثم إذا أضفنا إلى ذلك أن الصليبيين عجزوا عن إخضاع دمشق وحلب على امتداد مرحلة زمنية طويلة من الصراع الاسلامي الصليبي—أدركنا أهمية اقامتهم لعدد من القلاع في مواجهة هاتين المدينتين تأميناً لمجالهم الحيوي.

وهناك عامل آخر دفع بالصليبيين إلى إقامة العديد من القلاع، فإلى جانب الأهداف السياسية والعسكرية التي كان من الممكن تحقيقها من جراء القيام بتشييد تلك التحصينات، كان هناك ما يدخل إلى ميزانياتهم من جراء الأموال التي كان يدفعها المسلمون في المناطق المحيطة سواء عند مرور تجارتهم وبضائعهم في المناطق الخاضعة للسيادة الصليبية، أو من خلال الأموال التي قدمها السكان المسلمون للقلاع بمثابة ضريبة فرضت عليهم من جانب القيادات الصليبية،[١٦] ومن الممكن تصور مدى المكاسب المادية الكبيرة التي حققها وجود تلك القلاع من خلال انتشارها في أنحاء المملكة اللاتينية وقيامها بجباية تلك المصادر المالية.

وقد اتسمت العمارة الصليبية بعدة سمات هامة استمدتها من المؤثرات المعمارية الأوروبية والبيزنطية والاسلامية.

أما بالنسبة للمؤثرات المعمارية الأوروبية فيلاحظ أن الحملة الصليبية الأولى قد قدمت إلى الشرق في وقت شهد فيه الغرب الأوربي ازدهار الحصون والقلاع في خلال عصر وصف بأنه عصر القلاع، وكان السادة الاقطاعيون يقومون بتشييد القلاع لحماية أنفسهم واتباعهم وعتادهم،[١٧] وفي مرحلة من مراحل تطور العمارة الحربية هناك كان يتم حماية المناطق عن طريق خندق يتم تكوينه على شكل دائري، وكذلك بعض الاستحكامات المرتفعة ارتفاعاً له شأنه بالنسبة لقاع الخندق ومن الممكن الدفاع عن طريق استحكام أو حتى عن طريق برج خشبي،[١٨] وعندما حل القرن الخامس الهجري/ الحادي

عشر الميلادي بدأ الامراء والسادة الاقطاعيون على اغلب الاحتمال باستخدام الحجارة على نطاق متسع بدلاً من الأخشاب، وفي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، صار ذلك أمراً شائعاً في الغرب، ولعل من الأسباب التي دفعت إلى استخدام الحجارة في البناء بدلاً من الأخشاب انه اتضح مع التجربة ان مصادر الأخشاب قد قلت فضلاً عن ان الخشب كان معرضاً للحرق ثم ان الأفراد اتجهوا إلى استعمال الحجارة رغبة منهم في أن تكون قلاعهم ذات حصانة خاصة.[19]

ويلاحظ أنه مع تطور القلاع في الغرب الأوروبي لم تعد تفي بالاحتياجات الأساسية فقط بل أن منها ما احتوى على مظاهر الترف في سائر متطلبات واحتياجات المدافعين، فاحتوت بعض قلاع ذلك العصر على كنيسة صغيرة، والعديد من الغرف المنفصلة، ووسائل المعيشة المريحة، وكذلك المطابخ، ومخازن الغلال وغيرها.[20]

أما المؤثرات المعمارية البيزنطية، فقد لعبت دوراً هاماً في تكوين العمارة الصليبية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ومن المعروف ان الصليبيين قد شاهدوا العديد من أشكال العمائر الحربية عند مرورهم بمدينة القسطنطينية في طريقهم إلى بلاد الشام وكذلك الحال بالنسبة للتجار الايطاليين الذين وفدوا في أعداد متزايدة على مدينة القسطنطينية.[21]

أما خصائص تلك العمارة فهي أنها كانت ترتكز على قاعدتين اساسيتين هما زيادة خطوط التحصين والدفاع عن طريق بناء سورين أو ثلاثة أسوار[22] حول قلب الحصن وهو ما عرف باسم "البربخانة" كذلك كان هناك اقامة الأبراج البارزة على مسافات محددة في تلك الأسوار وتزويدها بالأسلحة والعتاد الحربي،[23] ثم هناك ايضاً عنصر الخندق الكبير الذي أحاط بالقلعة البيزنطية وهو ما عرف باسم الحفير وكانت تتقدمه أكمة ترابية سميت متراساً.[24]

والجدير بالذكر هنا أن أول اشارة وردت في المصادر العربية إلى اتجاه الصليبيين إلى حفر الخنادق في عملياتهم الحربية ضد المسلمين كان خلال حصارهم لمدينة انطاكية عام ٤٩٠هـ/١٠٩٦م حيث عملوا على حفر خندق هناك،[25] واستمر اسلوب حفر الخنادق في العديد من القلاع الصليبية في بلاد الشام خلال ذلك العصر خاصة تلك التي سيطر عليها عناصر التنظيمات الدينية المسيحية.[26]

ومع ذلك فعند تناولنا لمسألة التأثيرات البيزنطية نجد أن احتياجات الصليبيين والبيزنطيين قد اختلفت عند كل من الطرفين، فالبيزنطيون لم يكن يعوزهم الامداد بالرجال أو لم يكن لديهم مشكلة نقص العنصر البشري، وبالاضافة إلى ذلك فإن اسلحة الحصار وأساليبه في العصور الوسطى وقبل مرحلة الحروب الصليبية لم تكن تتطلب الأسوار المتينة البناء، وكان أهم ما تميزت به القلعة البيزنطية السور الرفيع نوعاً ما تحميه عدة أبراج ذات بروز ضئيل، وقد تدعمت الأبراج بطبيعة الحال على مسافات محددة.[27]

أما فيما يتصل بالمؤثرات المعمارية الإسلامية فتجدر الإشارة إلى أن الصليبيين طوال مدة اقامتهم في بلاد الشام قد استعانوا بخبرة المسلمين في هندستهم الحربية فأخذوا منهم العديد من اشكال

العمارة الحربية[٢٨] من حصونهم السابقة والقائمة في وقتهم.

وربما كان من مظاهر التأثير الإسلامي في العمارة الصليبية في صورة نظام الباشورات ومفردها باشورة، ويرى أحد الباحثين ومن أيده في ذلك أن المقصود بالباشورات الحائط الظاهري للحصن أوالقلعة،[٢٩] غير أن هذا التحديد يفتقر إلى الدقة والأصح أن الباشورة هي المدخل المنكسر للقلعة أو مايعرف في الانجليزية باسم Bent Entrance،[٣٠] ويلاحظ أن مدينة بغداد، والتي اتخذت شكلاً دائرياً في بنائها كانت ذات أربعة أبواب–مثلت فيها هذه الناحية.

ومع ذلك فليس من اليسير القطع على نسبة نظام الباشورات إلى العمارة الاسلامية أو غيرها من أنواع العمارات، حيث أن اصول هذا الشكل المعماري منها ما يرجع إلى العصر الفرعوني.[٣١]

أما العنصر الآخر الذي تأثر به الصليبيون من العمارة الاسلامية فقد تمثل في نظام السقاطات أو ماعرف باسم Machicolations،[٣٢] ونجده متمثلاً في قصر الحير الشرقي في بادية الشام والذي يقع على بعد مائة كيلو متر إلى الشمال الشرقي من آثار مدينة تدمر ويرجع إلى عام ١١٠هـ/ ٧٢٩م.[٣٣]

وقد كانت السقاطات تستعمل في اسقاط المواد الملتهبة والزيت المغلي وتوجه على المهاجمين للأسوار وهكذا فإن السقاطات كانت تؤدي دورها في حماية المداخل، والأبواب،[٣٤] بينما استخدمت المزاغل لرمي السهام.[٣٥]

ومن العناصر الأخرى التي تأثرت بها العمارة الصليبية من المسلمين الباب الحديدي المنزلق بصورة رأسية أو ما عرف باسم Portcullus،[٣٦] وهو عبارة عن باب من الأسياخ الحديدية، ويرفع عن طريق الحبال القوية، ويتم انزلاقه في مجريين رأسيين، وكان يتم إغلاق باب الحصن عن طريقه في وجه المهاجمين، وقد وجد هذا النمط في بعض قلاع الصليبيين.[٣٧]

ويلاحظ أن الصليبيين أخذوا عن المسلمين اتجاههم نحو زيادة سمك جدران اسوار قلاعهم وتأكيد دفاعاتها، وذلك دفعاً لأخطار الزلازل.[٣٨]

ويلاحظ أن بلاد الشام خلال القرنين السادس والسابع هـ/ الثاني عشر والثالث عشرم، قد أصيبت بعدة هزات أرضية وزلازل عنيفة شملت المناطق الساحلية وكذلك بعض المدن الداخلية مثل دمشق وحلب وحمص ونابلس وغيرها من مدن الشام[٣٩] وكانت القلاع الصليبية هي الأخرى قد نالت نصيبها من الآثار المدمرة لتلك الزلازل[٤٠] الأمر لاذي كان يدفع بالصليبيين إلى ضرورة القيام بعمليات ترميم ما قد تهدم من أجزاء قلاعهم.

وتبقى هناك قضية هامة، ألا وهي، ارتباط التنظيمات الدينية المسيحية بالقلاع وملابسات حصول تلك التنظيمات عليها، والأدوار الهامة التي قامت بها من خلال امتلاكها للعديد من القلاع الصليبية على امتداد طول المملكة اللاتينية وأرضها.

والجدير بالإشارة أن تلك التنظيمات كانت تحصل على القلاع عن طريقين: اما ان تمنح القلاع لها وقد حدث ذلك عدة مرات ومن أمثلته ما يتعلق بأسرة مونسير Mansuer وقلعة المرقب،[٤١] وتكرر

ذلك من جانب رايموند صاحب طرابلس Raymond of Tripoli الذي كان مهتماً بأن يجعل من تنظيم الإسبتارية حليفاً عسكرياً مؤثراً(٤٢) في ميزان القوى بين تلك الإمارة الصليبية والقوى الإسلامية المجاورة المناوئة خاصة في دمشق، ومن الطبيعي أن ننوه إلى أن مثل هذه المنح كانت له تبعاته الهامة متمثلة في أن يقوم التنظيم بحماية القلعة والاقطاع المجاور لها.

أما الطريق الآخر الذي حصلت التنظيمات من خلاله على القلاع فقد تمثل في انها اشترت بعضها خاصة تلك التي كانت لها أهميتها الاستراتيجية الكبيرة وقد يسر لها هذا ما تمكنت من تحقيقه من ثراء عظيم هيأ لها شراء ما شاءت من العمائر الحربية الصليبية ومن أمثلة ذلك أن تنظيم الداوية اشترى قلعة صفد من صاحبها راجن صاحب حيفا كما أن تنظيم الاسبتارية قام بشراء قلعة كوكب الهوا من صاحبها ايف فيلوس.(٤٣)

ولامراء في أن التنظيمات الدينية المسيحية قد حرصت على تشييد العديد من القلاع من أجل حماية املاك مملكة بيت المقدس اللاتينية وعلى وجه خاص من هجمات الملك العادل نورالدين محمود كما يقرر ثيودريش،(٤٤) وقد تزايدت تلك القلاع بصفة مستمرة ومن الأمور ذات الدلالة التاريخية الهامة أن الملك الأرميني تورس Thoros of Armenia عندما زار المملكة في أواسط القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، أوضح للملك الصليبي حينذاك أنه عندما سأل عن القلاع في المملكة لم يجد منها إلا نحو ثلاث قلاع فقط يمتلكها الملك الصليبي وأن كافة قلاع المملكة الأخرى خضعت لسيطرة تنظيم الاسبتارية أو تنظيم الداوية وغيرها من التنظيمات،(٤٥) ويحاول أحد الباحثين الحديثين ان يوضح ان فقر المملكة اللاتينية يعلل لنا كيف أن القلاع الجديدة الرئيسة التي تم تشييدها خلال القرن السابع الهجري/القرن الثالث عشر الميلادي، لم ترتبط بالملك ولا بالنبلاء ولكن بتلك التنظيمات ومثال ذلك ما نجده في قلاع عثليث وصفد والقرين وغيرها.(٤٦)

وينبغي أن نلاحظ أن الظروف والملابسات التي أحاطت بحصول التنظيمات الدينية المسيحية على القلاع في القرن المذكور كانت قد تأصلت من قبل ذلك خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، فيلاحظ أنه في خلال القرن الأخير من تاريخ الوجود الصليبي في بلاد الشام كانت القلاع التي سلمت لهم عادة قلاعاً ملكية ولكن حتى ذلك الحين فان بعض النبلاء -مثل صاحب بانياس مثلاً- الذين كانوا عاجزين عن الحفاظ أو الدفاع عن قلاعهم رغبوا في أن يشاركوا في مسئولياتهم الحربية التنظيمات المذكورة وقد صار ذلك الموقف واضحاً بصورة جادة خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، عندما أدى فقدان المنطقة الواقعة خلف الساحل في ظروف موقعة حطين عام ٥٨٣ الهجري/١١٨٧الميلادي،(٤٧) إلى ترك النبالة اللاتينية في فلسطين مزودة بامكانيات محدودة ولعل فقر الموارد هذا هوالعامل الهام الذي ألح في ارتباط تلك القلاع بالتنظيمات الدينية المسيحية.(٤٨)

وتبقى ناحية هامة لاتزال موضع خلاف بين الباحثين وهي أعداد القلاع التي خضعت لسيطرة تلك التنظيمات، فقد رأى "ري" أن تنظيم الداوية امتلك نحو ثمانية عشر حصناً وأن الاسبتارية سيطروا

على خمسة حصون،[٤٩] بينما يعارض "لامونت" هذا الرأي ويرى أن قلاع الإسبتارية قد تفوقت عدداً عن القلاع التي خضعت لسيطرة الداوية،[٥٠] ويرى أحد الباحثين الحديثين أنه حتى عام ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م فإن تنظيم القديس يوحنا قد امتلك حوالي سبع أو ثماني قلاع وذلك بالإضافة إلى إحدى عشرة أواثنتي عشرة قلعة فضلاً عن حقوق معينة على ست قلاع أخرى، وفي عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م كان التنظيم قد سيطر على خمس وعشرين قلعة وازداد العدد ليصبح تسعاً وعشرين قلعة عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م، وفي وقت ما فيما بعد سيطر الاسبتاريون على نحو ست وخمسين قلعة في فلسطين، وسوريا،[٥١] أما تنظيم التيوتون، فلا نعرف أنه امتلك مثل تلك الأعداد الوفيرة من القلاع بل امتلك قلعتين هي قلعة الملك وقلعة القرين،[٥٢] ومن الخطأ البيّن ماذكره أحد الباحثين عندما تصور أن القرين كان الحصن الوحيد الذي يتبع لهم في الشرق،[٥٣] ذلك أن قلعة الملك هي الأخرى احتلت مكانة هامة لدى فرسان التنظيم المذكور.

وبصفة عامة فقد خضعت عدة قلاع لتنظيم الاسبتارية ومن أمثلتها قلاع المرقب، وصهيون، وعرقة، وعكا، وكوكب الهواء، وهُونِين، وتِّبْنين، وأرسُوف، وبيت جبرين، أما تنظيم الداوية فقد خضعت له قلاع بَغراس، ودَربساك، وحجر شغلن، ومرقية، وأنطرطوس، وصافينا، وشقيف أرنون، وصفد، وعثليث، وبيت الأحزان، والفولة، وغزة، والداروم (دير البلح)، أما تنظيم التيوتون فقد خضعت له قلعتا القرين والملك كما اسلفت الإشارة.

وتعد من الجوانب الهامة المتصلة بدراسة قلاع التنظيمات الدينية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية قضية موقع تلك القلاع وأهميتها الاستراتيجية التي تأتت لها جزئياً من خلال أهمية تلك المواقع بالنسبة لمواجهتها لمراكز المسلمين ومدنهم وسأتناول ذلك الجانب وغيره بالنسبة لتلك القلاع وفقاً لموقعها من الشمال إلى الجنوب.

وقد وقعت بغراس في مكان قرية واقعة بين أنطاكية، وكيليكية الأرمينية Armenian Cilicia، خلف جبال اللكام الهائلة وكان بينها وبين انطاكية اثنا عشر ميلا،[٥٤] أما قلعة دربساك فقد وقعت بالقرب من امارة انطاكية في الاتجاه الشمالي الشرقي من بغراس،[٥٥] اما القصير فقد وقعت إلى الجنوب من الإمارة الصليبية المذكورة،[٥٦] ووقعت قلعة حجر شغلن بالقرب من تلك الإمارة وكانت تطل على بحيرة يقال لها اليهرا،[٥٧] وهكذا فقد شكلت تلك القلاع خطاً دفاعياً هاماً عن إمارة انطاكية في شمال الشام قام بحمايتها ضد هجمات المسلمين في مدينة حلب على نحو خاص.

أما قلعة المرقب فقد وقعت إلى الجنوب الشرقي من مدينة بانياس، بالقرب من ساحل البحر المتوسط وبالتالي فقد وصفت بأنها وقعت على ساحل جبله[٥٨] وبالتالي فقد حمت تلك المنطقة وامتدادها حتى الساحل بينما كانت قلعة مرقية قد وقعت في سواحل مدينة حمص،[٥٩] كذلك فقد تمت مقاومة المدينة الأخيرة عن طريق قلعة انطرطوس التي كانت مواجهة لها، ونعرف وفقاً لرواية أحد الرحالة المجهولين أن المسافة بين أنطرطوس وعكا تستغرق رحلة لمدة نحو ستة أيام،[٦٠] أما قلعة صهيون، فنجد أنها

وقعت بين اللاذقية وحماة[٦١] وهذا الموقع قد وفر لها اهمية استراتيجية متميزة حيث قامت بحماية المداخل الشرقية المؤدية إلى إمارة انطاكية،[٦٢] كذلك فقد وقع حصن الأكراد على بعد أربعين كيلو متراً من مدينة حمص،[٦٣] وقد احتل موقعه اهمية متميزة من الناحية الحربية إذ أنه مثل نقطة عسكرية خطيرة تمكنت من الممر الهام الواقع بين سهول نهر العاصي والبحر المتوسط،[٦٤] وقد أشرف على كل الاقليم الواقع بين منطقة انطرطوس وطرابلس من ناحية، وحمص من ناحية أخرى،[٦٥] كذلك فانه اشرف على اقليم البقاع بأكمله الأمر الذي أعطى له أهمية حربية تتعلق بسيطرته على ذلك الاقليم الذي بموارده الاقتصادية،[٦٦] وربما زاد من أهمية موقع حصن الأكراد ان بعض القلاع الصليبية الأخرى كانت تجاوره أو بالقرب منه مثل قلعة بعرين، وقلعة صافينا،[٦٧] وقد قام الحصن بحماية أملاك امارة طرابلس الصليبية حيث وقع على بعد خمسة وعشرين ميلاً إلى الشمال الشرقي من طرابلس،[٦٨] وهكذا فقد قام حصن الأكراد بدور محوري في الدفاع عن امارة طرابلس، وتهديد المدن والمراكز الاسلامية التي كان يطل عليها، اما بالنسبة لقلعة صافينا فقد وقعت على الطريق بين مدينة انطرطوس وحصن الأكراد ووقع بالتالي إلى الجنوب الشرقي من جزيرة أرواد،[٦٩] وكان موقعها على هذا النحو يوفر لها الدفاع عن المخاضة التي وقعت في أقصى شمال نهر الأردن،[٧٠] اما قلعة عرقة فقد وقعت في المنحدرات الشمالية من لبنان على مسافة أسفل الوادي الذي يؤدي إلى حمص وحماه إلى الساحل فوقعت في الاتجاه الشمالي الشرقي منها،[٧١] اما قلعة عكار فقد وقعت في شمال طرابلس[٧٢] وقد أدى موقعها دوراً هاماً حيث كانت بمثابة نقطة اتصال بين حصن الأكراد، وبقية الحصون والقلاع الصليبية في سوريا ولبنان،[٧٣] فضلاً عن أنها وقعت على طريق مدينة حمص[٧٤] ويبدو أن قلعتي عرقة وعكار شكلتا خطاً دفاعياًهاماً في الشمال اللبناني.

أما بالنسبة لقلعة شقيف أرنون فقد وقعت على جبل عاملة وعلى وجه التحديد في القسم الشمالي منه حيث يفصله نهر الليطاني والذي يجاور شمال فلسطين،[٧٥] وقد هيأ موقعها لها هذا القيام بدور دفاعي عن أملاك الصليبيين في المنطقة المجاورة لها حيث وقعت بالقرب من مدينة صور،[٧٦] وفي الجنوب الشرقي من مدينة صيدا، وقد شابهت قلعة صفد قلعة شقيف ارنون من حيث أنها وقعت في القسم الواقع شمال فلسطين، حيث وقعت الأولى على بعد ثمانية أميال من بحيرة طبرية وقد هيأ لها ذلك أن تشرف على كافة الأراضي الواقعة في منطقة الجليل، ثم أنها كانت في المنطقة ما بين مدينة عكا على ساحل فلسطين، ومدينة دمشق عاصمة الشام،[٧٧] ومن الطبيعي أن ذلك قد وفر لها اهمية استراتيجية واضحة.

اما قلعة القُرين فقد كانت تقع على الحدود القريبة من اقليم الجليل في شمال فلسطين شمال شرق مدينة عكا، وقد وفر لها هذا الموقع الاشراف على اقليم صفد[٧٨] الذي مثل بدوره موقعاً متقدماً موجهاً صوب مدينة دمشق ثم أن عن طريقها كان من الممكن الدفاع عن مدينة عكا على الساحل الفلسطيني، كذلك فإن قلعة كوكب الهوا كانت تشرف على إقليم الغور، والطريق المؤدي إلى الناصرة وقد تم تشييدها

على الجبل المطل على بحيرة طبرية، وأشرف على الأردن،[٧٩] وطلت بذلك على منطقة الجولان وبفضل موقعها اعتبرت واحدة من عدة قلاع هامة أقامها الصليبيون فى اقليم الجليل،[٨٠] اما قلعة عثليث فإنها قامت بدور هام في حماية بعض المدن الساحلية التي خضعت في بعض مراحل تاريخها للسيادة الصليبية حيث وقعت على سا حل الشام بين حيفا وقيسارية، وقد قيل أنها بعدت عن قيسارية بنحو خمسة اميال،[٨١] وعن حيفا بنحو ثلاثة عشر ميلاً إلى الجنوب الغربي منها.[٨٢]

أما بالنسبة لقلعة هونين، فقد وقعت في جبال عاملة قرب مدينة بانياس وقد عدها العثماني من توابع اقليم الشقيف،[٨٣] وكان لموقعها أهمية استراتيجية خاصة حيث وقعت على حدود مملكة بيت المقدس وقريبة من مدينة دمشق،[٨٤] ومثلت اهمية أخرى نظراً لوقوعها على طرق التجارة في المنطقة وكونت مع قلعة جسر بنات يعقوب خطا دفاعياً يتحكم فى روافد نهر الأردن العليا، وعوضت الصليبيين عن فقدانهم لبانياس،[٨٥] ووقعت قلعة تبنين على بعد سبعة عشر ميلاً من بانياس إلى الجنوب الشرقي منها في مواجهة ساحل صور،[٨٦] وكثيراً ما رددت المصادر العربية في العصرين الأيوبي، والمملوكي إشارات عن هونين وتبنين معاً نظراً لتقاربهما الجغرافي، بينما امتازت قلعة بيت الأحزان بأهمية استراتيجية واضحة نظراً لوقوعها إلى الجنوب من دمشق على الطريق بين طبرية، وصفد من ناحية، ودمشق من ناحية أخرى[٨٧] وعندها كان ينبع نهر الأردن من بحيرة الحولة صوب بحيرة طبرية.[٨٨]

أما قلعة أرسوف، فقد وقعت على الساحل الفلسطيني بين قيسارية ويافا،[٨٩] وهي بذلك قامت بحماية المنطقة الساحلية المجاورة لها، ومثلت نوعاً من القلاع التي اقامها الصليبيون في بلاد الشام بهدف حماية بعض المدن الساحلية وتأمين قوتهم فيها من خطر عمليات الحصار البري والبحري. وبالنسبة لقلعة بيت جبرين فنجد أنها وقعت بين غزة وبيت المقدس وكذلك بين المدينة الأخيرة وعسقلان،[٩٠] وهذا الموقع قد هيأ لها الدفاع عن الحدود الجنوبية لملكة بيت المقدس، ومثلت مع بعض القلاع الأخرى الجنوبية خطاً دفاعياً هاماً عن حدود المملكة في مواجهة مصر وشابه أمرها أمر قلعة غزة التي وقعت على الساحل وفي جنوب فلسطين،[٩١] والوضع نفسه نجده عند قلعة الداروم التي وقعت إلى الجنوب من مدينة غزة بنحو أربعة أميال وبعدت عن ساحل البحر المتوسط بنحو خمسة أميال،[٩٢] وهكذا يمكن القول بأن قلاع بيت جبرين، والداروم وغزة قد قامت بمهمة واحدة وهي التأمين الحربي للحدود الجنوبية لأملاك الصليبيين.

ومما سبق يتبين لنا أن القلاع التي سيطر عليها الرهبان الفرسان سواء الاسبتارية، أو الداوية، أو التيوتون احتلت اهم المواقع الاستراتيجية وكانت تهدف إلى تأمين الصليبيين في المناطق التي شيدت فيها وتوفير الدفاع اللازم للمدن والقرى التي خضعت لسيادتهم.

ولكن تبقى ناحية هامة في دراسة قلاع التنظيمات الدينية المسيحية وهي التحديدات الزمنية لتواريخ بناء تلك القلاع، وكذلك خضوعها لسيطرة تلك التنظيمات ذلك ان تلك التواريخ لها دلالات هامة فى الدلالة على عجز المملكة اللاتينية عن الدفاع عن املاكها بمفردها دونما الاعتماد على عناصر التنظيمات

الدينية ثم انها مؤشر حقيقي لازدياد قوة تلك العناصر على حساب الصليبيين انفسهم.

وفي هذا المقام، عرف المسلمون قلعة بغراس منذ عهد بعيد حيث لعبت دورها في حرب الثغور بين المسلمين والبيزنطيين،[٩٣] اما عن ظروف حصول تنظيم الداوية عليها فاننا نعرف ان الملك الصليبي عموري الأول كان قد اتجه إلى ان يعهد للتنظيمات الدينية بعدد من القلاع منذ عام ٥٦٣هـ/١١٦٧م وشاركه بوهيمند الثالث في الاتجاه نفسه خاصة عندما تعرض لضغوط قوى المسلمين الحربية. وقد اتجه بوهيمند الثالث إلى اعطاء الداوية العديد من المواقع حول بغراس،[٩٤] اما قلعة دربساك فقد قام رينو شاتيون (ارناط) في عام ٥٥٠هـ/١١٥٥م بمنح الداوية أمر حماية والدفاع عن المنطقة الواقعة فيها القلعة كذلك أعطى التنظيم الحق في اقامة المنشآت الحربية اللازمة.[٩٥]

أما قلعة حجر شغلن، فهناك من يرى أن تنظيم الداوية قد حصل عليها وذلك في عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م،[٩٦] أما قلعة المرقب فقد شاركت قلعة بغراس في قدمها حيث نعرف أن الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٩-٨٠٩م) قد ابتنى تلك القلعة ثم أعيد بناؤها في عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م،[٩٧] وذلك على يد رشيد الدين الاسماعيلي،[٩٨] وقد استمرت قائمة حتى قدوم الصليبيين، اما خضوعها لتنظيم الاسبتارية فنجد أن دوسو، ورايلي سميث يريان أن ذلك قد حدث عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م،[٩٩] أما شيخو فانه يرى ان ذلك حدث عام ٦٠٤هـ/١٢٠٧م،[١٠٠] بينما تصور كافاليرو أن ارتباط الاسبتارية بالقلعة حدث عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م.[١٠١]

ومن الممكن ان نلاحظ أن الرأي الأخير القائل بعام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م ينطوي على مغالطة واضحة ذلك أن العام نفسه كان قد شهد سقوط قلعة المرقب في أيدي المماليك ومن غير المنطقي ان يكون تاريخ سقوط القلعة هو نفسه تاريخ حصول تنظيم الاسبتارية عليها ليتولى الدفاع عنها، اما الرأي القائل بعام ٦٠٤هـ/١٢٠٧م، فمن المرجح أنه لم يكن التاريخ المحدد لذلك فالخطر الذي واجه الصليبيين، وقلاعهم كان أقوى ما يكون في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وبالتالي فان قيام الملوك والأمراء الصليبيين بتقديم تلك القلاع للتنظيمات الدينية المسيحية كان امراً ملحاً خلال القرن المذكور ومن المستبعد ان يكون ذلك قد تعداه إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، كما تصور صاحب ذلك الرأي، اما الاتجاه الذي يحدد الحادث بعام ٥٨٤هـ/١١٦م فربما يكون أرجح الآراء ويبدو أن عجز الأيوبيين عن اسقاط قلعة المرقب فيما بعد موقعة حطين،[١٠٢] كما يرجع إلى المقاومة التي بذلها الاسبتاريون من أجل ان يحولوا دون ذلك.

أما بالنسبة لقلعة أنطرطوس، فعلى الرغم من اتفاق المؤرخين على أن قلعة انطرطوس قد تولى تنظيم الداوية أمر الدفاع عنها إلا أنهم اختلفوا في تحديد تاريخ ذلك الحدث، فعلى حين يذهب أحد الباحثين إلى أن ذلك قد تم في عهد الملك الصليبي بلدوين الثالث[١٠٣] (٥٣٩-٥٥٩هـ/ ١١٤٤-١١٦٥م) فهناك من رأى أن عهد الملك عموري الأول[١٠٤] (٥٦٩-٥٧٩هـ/ ١١٦٣-١١٧٣م) قد شهد حصول الداوية على القلعة المذكورة واتجه ثالث إلى القول بأن ذلك جرى عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م،[١٠٥] وأمام هذا

التباين الواضح فليس من اليسير تحديد تاريخ دقيق بشأن ذلك، ولعل من عوامل ذلك أن وليم الصوري نفسه لا يحدد أية تواريخ في هذا الشأن وربما كان من دوافع المؤرخين السابقين في اتجاههم نحو القول بأن الملكين بلدوين الثالث وعموري الأول قد قاما بذلك ومن المعروف أن عهد هذين الملكين قد شهد تقديم العديد من القلاع للتنظيمات الدينية المسيحية.

وبالنسبة لحصن الأكراد(١٠٦) وهو الذي كان قائماً قبل قدوم الصليبيين فقد اختلف المؤرخون أيضاً في تحديد تاريخ خضوعه لسيطرة تنظيم الاسبتارية فقد ذهب احدهم إلى القول بأن ذلك وقع في عام ٥٠٤هـ/ ١١١٠م،(١٠٧) ورأى آخر تاريخاً مغايراً وهو عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م،(١٠٨) وهناك من اعتقد انه عام ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م،(١٠٩) ويلاحظ ان الاتجاه القائل بعام ٥٠٤هـ/ ١١١٠م رأي يتعارض مع تطور الأحداث التي مر بها تنظيم الاسبتارية في الأرض المقدسة ذلك أن الباحثين قد اتفقوا على ان أول عمل حربي اسند للتنظيم كان عام ٥٣١هـ/ ١١٣٦م،(١١٠) عندما اسند إليه امر حماية قلعة بيت جبرين من أجل مواجهة حامية عسقلان الفاطمية ولا نسمع عن أية اعمال حربية تسبق ذلك النشاط وقد جاء ذلك في وقت احتاجت فيه المملكة بالفعل وبصورة ملحة لعون التنظيمات الدينية المسيحية.

وقد اتفق اغلب الباحثين على أن عام ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م(١١١) كان العام الذي عهد فيه لتنظيم الاسبتارية بأمر الدفاع عن الحصن المذكور، والمناطق المجاورة له والأرجح في هذا المجال أنه بعد ان تمكن الاسبتاريون من تحقيق أهداف المملكة اللاتينية في الدفاع عن قلعة بيت جبرين تجاه عسقلان قدمت لهم المملكة مجالاً ثانياً للدفاع عنه فكان حصن الأكراد.

أما قلعة عرقة فقد عهد الملك عموري الأول بأمر الدفاع عنها للاسبتارية، اثناء فترة وصايته على إمارة طرابلس عندما كان رايموند الثالث في الأسر، وعندما عاد الأخير من أسره ثبت ذلك الأمر للتنظيم، وأضاف إليه بعض الامتيازات الجديدة،(١١٢) ويحدد أحد الباحثين ذلك بعام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م. (١١٣)

أما قلعة عكار، فقد تولى تنظيم الاسبتارية أمر الدفاع عنها عندما عهد بها الملك الصليبي عموري الأول لفرسان التنظيم وذلك عندما كان وصياً على امارة طرابلس والأرجح ان ذلك جرى عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م(١١٤) ومن الخطأ ماذهب إليه أحد الباحثين عندما ذكر أن تنظيم الاسبتارية قام ببناء قلعة عكار عام٥٦٦هـ/ ١١٧٠م(١١٥) غير انه من الواضح وفقاً للمصادر العربية أن القلعة كانت قائمة قبل قدوم الصليبيين إلى بلاد الشام(١١٦) وربما قام الاسبتاريون بإعادة تشييد الأجزاء التي انهارت من القلعة في ظروف بعض الزلازل التي كانت تقع بين الحين والآخر.

ويقع الخلاف بين المؤرخين بشأن قلعة صفد، فعلى الرغم من أن المملكة اللاتينية قد عهدت بها إلى تنظيم الداوية،(١١٧) إلا أن التحديد الزمني لذلك لا توضحه، غير أننا نعرف من خلال ابن شداد الحلبي ان الداوية قد بنوا قلعة صفد في عام ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م(١١٨) ونقل عنه العثماني تلك الرواية دون تمحيص أو نقد فأقر بذلك،(١١٩) ولكن من الواضح تماماً أن كلا من المؤرخين قد وقع في مغالطة واضحة، ذلك أن تنظيم الداوية لم يكن قد ظهر إلى حيز الوجود حينذاك بل انه قد تأسس في عام٥١٣هـ/ ١١١٩م،

وكذلك اختلف المؤرخون الحديثون في تحديد تلك الناحية فهناك من يرى أن ذلك حدث عام ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م[١٢٠] بينما رأى آخر يشير إلى أنه حدث عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م.[١٢١]

ومن الأرجح أن يكون عام ٥٦٣هـ/١١٦٧م هو عام حصول الداوية على قلعة صفد بوصفها اقطاعاً من جانب الملك الصليبي عموري الأول، وبالتالي من الممكن اعتبار عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م الذي أشار إليه براور يعتبر تاريخاً متأخراً، ففي ظروف عام ٥٦٣هـ/١١٦٧م اتجه الملك عموري الأول إلى إقطاع العديد من القلاع للتنظيمات الدينية المسيحية، وذلك بهدف تخفيف عبء المسئوليات الحربية الواقعة على كاهل المملكة اللاتينية سواء من جانب دمشق وقوات الزنكيين بقيادة الملك العادل نور الدين محمود من الشمال وقوات الفاطميين في مصر التي خطط عموري لغزوها في الجنوب وفي خلال تلك الأحداث كانت منطقة شمال فلسطين واقليم الجليل على وجه التحديد في أشد الحاجة إلى الدعم الحربي في صورة دور تشترك به عناصر تلك التنظيمات ومن ثم فقد بادر الملك الصليبي بإعطاء قلعة صفد للداوية حينذاك.

اما قلعة القُرين فعلى الرغم من اتفاق المؤرخين على أنها كانت ضمن نطاق المهام الدفاعية للتيوتون الا ان آراءهم تباينت كما هو الحال بالنسبة للقلاع الأخرى التي سيطرت عليها عناصر التنظيمات الدينية المسيحية، وهناك من يرى أن ارتباط التنظيم المذكور بالقلعة كان في عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م،[١٢٢] بينما رأى آخر ان العام التالي وهو عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م،[١٢٣] هو العام الذي حدث فيه ذلك الحدث الهام، وهناك من حدد تاريخاً مغايراً فرأى أن المقام التالي وهو عام ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م[١٢٤] هو توقيت ذلك، بل ان من الآراء من حاول التوفيق بين الاتجاهات السابقة فقرر ان انشاء قلعة القرين تم في المرحلة من عام ٦٢٥-٦٢٧هـ/١١٢٧-١١٢٩م[١٢٥] والحقيقة أنه ليس من اليسير تحديد تاريخ بعينه لانشاء تلك القلعة وارتباط تنظيم التيوتون بها نظراً لتباين الآراء في هذا المجال.

أما قلعة كوكب الهوا فيرجع تشييدها إلى عهد الملك الصليبي فولك الأنجوي الذي شهدت المملكة اللاتينية في خلال مدة حكمه انشاء عدد من القلاع والحصون الهامة في انحاء متناثرة فيها وقد قام الصليبيون بانشاء القلعة في عام ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م[١٢٦] ويتفق الباحثون على أن الملك عموري الأول قد عهد لتنظيم الاسبتارية بأمر قلعة كوكب الهوا في عام ٥٦٤هـ/١١٦٨م[١٢٧] وذلك ضمن سياسته التي اتجه اليها وهي الحصول على عون التنظيمات الدينية المسيحية من اجل الدفاع عن المناطق الاستراتيجية الهامة في المملكة.

وإذا نظرنا إلى قلعة عثليث أو بليرين نجد ان الداوية قد شيدوها في عام ٦١٥هـ/١٢١٨م بمساعدة عناصر من فرسان التيوتون وكذلك عدد من الحجاج الذين تحمسوا للقيام بأية أعمال في سبيل خدمة الوجود الصليبي في بلاد الشام.[١٢٨]

أما قلعة هونين فلم تحدد المصادر تاريخ بنائها ومع ذلك نعرف أنها صارت فيما بعد ضمن الاقطاع الذي سيطر عليه الأمير الصليبي همفري سيد تورون (تبنين) Humphery of Toron وفي ظروف

ازدياد هجمات المسلمين في عهد الملك العادل نور الدين محمود اضطر همفري إلى إن يجعل لعناصر الاسبتارية في عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م نصف هونين، وكذلك نصف اقطاع بانياس.(١٢٩)

غير أن الاختلاف يقع بين المؤرخين فيما يتصل بقلعة تبنين وتاريخ بنائها حيث اختلفت المصادر العربية بشأنه، ونجد أن ابن شداد الحلبي يورد لنا نصاً يستفاد منه أن القلعة كان بناؤها بعد عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م(١٣٠) وان كان هذا التقريب بطبيعة الحال لا يجدي في تحديد تاريخ انشاء القلعة، ويرى أحد الباحثين الحديثين –اعتماداً على ما أورده ابن القلانسي– ان حصن تبنين قد ارتبط بحصن عال(١٣١) وهوالذي بناه الصليبيون في المنطقة نفسها، وحدد ذلك بعام ٤٩٩هـ/١١٠٥م، ومع ذلك فمن الملاحظ ان كلاً من المؤرخين ابن القلانسي، وابن شداد لا يقدمان ما يفيد في تحديد تاريخ انشاء القلعة المذكورة.

اما المصادر اللاتينية، فنجد ان وليم الصوري مثلاً يقرر ان قلعة تبنين بناها صاحب طبرية في عام ٤٩٨هـ/١١٠٤م بغرض القيام بعمليات حربية ضد مدينة صور(١٣٢) وقد أخذ بهذا الرأي الباحث "ري"،(١٣٣) أما البرت دي اكس، فإنه يوضح أن هيودي سانت اومير، وكان صديقاً للملك بلدوين الأول قد شيد على الطريق من صور إلى بانياس قلعة تبنين وان ذلك قد وقع عام ٥٠١هـ/١١٠٧م حيث قتل بعدها في صدام له مع المسلمين،(١٣٤) وأياً كان الاختلاف بين المصادر اللاتينية فإن أقوالها تنحصر بين عام ٤٩٨هـ/١١٠٤م و ٥٠١هـ/١١٠٠٧م، وهي بالتالي تقدم تحديدات زمنية تتفوق على إشارات المصادر العربية ومع ذلك فمن العسير تفضيل اي الآراء اقرب إلى الحقيقة.

وبالنسبة لقلعة أرسوف فإننا نعرف أن الأمير الصليبي باليان سيد ارسوف Balin Of Arsuf، الذي كان متولياً أمر ارسوف قد اعاد تحصين القلعة في عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م،(١٣٥) ولكن في خلال الأحداث التي صاحبت عجز الصليبيين عن الدفاع عن ارسوف عهدوا بأمر قلعتها لفرسان الاسبتارية من أجل حمايتها، وماحولها من اقطاع وذلك عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م.(١٣٦)

أما قلعة بيت جبرين وهي التي أقيمت لمواجهة خطر حامية عسقلان المصرية، فكانت واحدة من ثلاث قلاع تم بناؤها في الفترة الواقعة من عام ٥٣١-٥٤٤هـ/١١٣٦-١١٤٩م،(١٣٧) وعندما قدم الصليبيون إلى تلك المنطقة عملوا على تشيد قلعة بها عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م،(١٣٨) وقد عهد بأمرها للإسبتارية في عام ٥٣١هـ/١١٣٦م.(١٣٩)

وفيما يتعلق بقلعة غزة فعلى الرغم من اتفاق المؤرخين على أن الداوية تولت أمر الدفاع عنها،(١٤٠) إلا أن الخلاف يقع بينهم في قضية تحديد تاريخ ارتباط التنظيم بها، ويتجه أغلبهم إلى القول بأن عام ٥٤٤ أو ٥٤٥هـ/ ١١٤٩-١١٥٠م هو عام ارتباط الداوية بالقلعة،(١٤١) بينما يقرر براون بأن ذلك حدث عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م،(١٤٢) غير أن المصادر اللاتينية تفند الرأي الذي ذهب إليه براور.

فيلاحظ أن وليم الصوري يقرر صراحة أن الملك الصليبي بلدوين الثالث تفرغ لعملية بناء غزة وقلعتها بعد عودته من دمشق،(١٤٣) ولما كان الشمال قد شهد صراع الملك العادل نور الدين محمود،

ومعين الدين أثّر على عاصمة الشام، وكان الأخير قد توفي في ٢٠ ربيع الاخر ٥٤٤هـ/ ٢٨ اغسطس ١١٤٩م،[١٤٤] فالأرجح والأمر كذلك ان يكون هذا العمل قد تم في فصل الشتاء الواقع في عام ١١٤٩-١١٥٠م وبالتالي يكون تحديد تاريخ عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م تاريخاً متأخراً ومتباعداً عن التوقيت الزمني الأكثر ترجيحاً، ويضاف إلى ذلك، أنه بالاعتماد على أحد نصوص ما ألفه المؤرخ المجهول صاحب تاريخ سلاطين المماليك نعرف أن الصليبيين اكملوا عمارة القلعة في عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م،[١٤٥] ومن ثم فالاحتمال الأقرب أن يكون الملك قد عهد بأمرها لتنظيم الداوية حينذاك خاصة وأن التنظيم كان قد أثبت جدارته الحربية خلال المرحلة السابقة.

ومن القضايا الهامة المتعلقة بقلاع التنظيمات الدينية المسيحية في بلاد الشام خلال ذلك العصر تكويناتها المعمارية، ومناعتها، وحصانتها، وتناول هذا الجانب يبيّن لنا كيف أن تلك التنظيمات امتلكت قلاعاً ضخمة البناء ذات حصانة بالغة اقرتها المصادر اللاتينية، والعربية على حد سواء كذلك احتوت على كافة ما يفي باحتياجات المدافعين.

فيلاحظ أن قلعة المرقب قد بنيت من أحجار سوداء قديمة، وفي ذلك تشابهت مع برج نور الدين محمود في دمشق الذي بنى أيضاً من الأحجار القديمة،[١٤٦] واحتوت ايضاً على اسوار مزدوجة تتخللها الأبراج المستديرة الشكل،[١٤٧] وقد كان البرج الرئيس للقلعة أضخم من أي برج آخر وامتازت الأبراج بارتفاعها الشاهق،[١٤٨] اما القلعة نفسها؛ فإنها كانت في موقع استراتيجي حيث كان البحر يحميها من ناحية، والجبال من ناحية أخرى،[١٤٩] كذلك احاطت بها بعض الوديان الطبيعية.[١٥٠]

وفي داخل القلعة كانت هناك كنيسة مربعة الشكل وبسيطة في تكوينها المعماري،[١٥١] كذلك كانت هناك الحمامات، وصهاريج المياه، ومخازن المؤن، ويقال انها كانت تكفي حاميتها لمدة خمس سنوات ومساكن كبيرة قدر ارتفاعها بنحوتسعة وعشرين متراً يتألف كل منها من طابقين يحويان ألفاًمن الرجال،[١٥٢] ويلاحظ أن طابع المبالغة أمر وارد في الأرقام التي وصلت الينا من عالم العصور الوسطى. ولذلك يجب التعامل معها بالحيطة والحذر، وجدير بالذكر أن ذلك الجانب الذي احتوى على المرافق الحيوية من القلعة كان يقع في القسم الجنوبي منها.[١٥٣]

وفي بناء قلعة مرقبة عمل فرسان الداوية على بناء برج حصين يقارب عرضه طوله، كل جانب منه خمسة وعشرين ذراعاً وعرض سوره سبعة أذرع وقد بنى على مراكب في البحر واستخدمت في بنائه أحجار وأخشاب وفيرة بحيث يتحمل ضربات المنجنيق إذا ضرب على القلعة من البر.[١٥٤]

أما قلعة أنطرطوس فإنها احتوت على خطين للدفاع،[١٥٥] بغرض زيادة تأمين دفاعاتها ضد هجمات المهاجمين، كذلك احتوت القلعة على عدة أبراج، وخندق،[١٥٦] وقد أدى ذلك إلى زيادة حصانتها.[١٥٧]

كذلك فإن قلعة صهيون تم تشييدها بحيث وقعت على جبل له أودية واسعة عميقة[١٥٨] وقد وفر ذلك لها قدراً كبيراً من الحصانة الطبيعية ومن جهة أخرى، وصفت القلعة بأنها شاهقة الارتفاع،[١٥٩] وهناك من يرى أن حكام إمارة انطاكية قد حفروا حولها خندقاً بلغ عمقه نحو ثلاثين متراً وعرضه نحو

اثني عشر متراً، وقد أحاطت بها عدة أسوار كما جهزت بأدوات وآلات الحرب المختلفة،[١٦٠] بما يفي بحاجة المدافعين كذلك فقد احتوت على عنصر معماري حربي هام وهو الساقطات،[١٦١] وقد زاد من تحصيناتها أن الصليبيين زودوها بالمتاريس المدلاة،[١٦٢] وكان لذلك أثره في اعتقاد المعاصرين بحصانتها وصعوبة اقتحامها.[١٦٣]

أما حصن الأكراد فقد أقيم فوق تل حاد الميل من الجهة الشرقية والغربية والشمالية بينما تدرج الميل من الجهة الجنوبية وأحاطه خندق مائي، وكذلك احيط بتكوين من الأسوار القوية التي زودت بالأبراج،[١٦٤] وأحاطت به عدة تحصينات من الجهة الشمالية والغربية وزيد عليها وجود الأبراج المستديرة،[١٦٥] ويلاحظ أن الجهة الجنوبية من الحصن كانت أضعف أجزائه ولذلك فقد أقيمت في تلك الجهة أقوى التحصينات وامتنها، وأقيمت حول الأسوار الخارجية المحيطة به بعض التكوينات المعمارية من اجل تدعيم دفاعات تلك الجهة.[١٦٦]

وقد احتوى حصن الأكراد على ثلاثة أسوار،[١٦٧] وثلاث باشورات،[١٦٨] ونعرف أن أبراج الحصن التي كانت تقوم بمهمة حمايته كانت منحوته على شكل منعطف لا تمكن المهاجمين من أن يصلوا إليها إلا بعد بذل جهد جهيد،[١٦٩] وقد أضاف من صعوبة ذلك، الخندق الذي أحاط الحصن، أما فيما يتصل بالأبواب فنعرف انها كانت ثلاثة مفتوحة على الخندق وكان واحد منها فقط متصلاً بالسور الخارجي عن طريق ممر طويل ملتو ومسقوف،[١٧٠] وكان طبيعياً ان يذكر المؤرخون المسلمون المعاصرون واللاحقون لذلك العصر مدى ما تمتع به حصن الاكراد من منعة وحصانة بالغة فقد وصف أبو الفداء الحصن بالحصانة،[١٧١] وحتى بعد تلك المرحلة وصفه العمري بأنه حصن جليل وقلعة شماء لاتبعد عنها السماء،[١٧٢] واتجه الباحثون الحديثون إلى الاهتمام به على نحو خاص على اعتبار انه اكبر العمائر الصليبية التي لاتزال قائمة.[١٧٣]

اما قلعة شقيف ارنون فقد احتوت على تكوينات معمارية هامة جعلتها واحدة من أحصن القلاع الصليبية في بلاد الشام، وقد كان شكلها مثلث الزوايا وبلغ طولها مائة وسبعين متراً أما عرضها فقد بلغ مائة متر، وقد حفرت عندها صهاريج المياه لتوفيرها للمدافعين، وإلى جانب ذلك حفرت ايضاً آبار في الصخور بالاضافة إلى وجود آبار في داخل القلعة لتوفير المياه عن طريق الأمطار الساقطة، وقد انقسمت القلعة إلى قسمين: قسم منخفض تحده من الشرق هضبة نهر الليطاني وقسم مرتفع مبني على قمة الهضبة على صفحة من الصخر وجدت فيها عدة أبراج وفي داخل القلعة كانت هناك غرف وصالات متصلة ببعضها بعضاً ووجدت في الجهة الجنوبية منها اثار خندق محفور ليعوق تقدم المهاجمين، كذلك احتوت على عدة حظائر للخيول ودواب الفرسان.[١٧٤]

ومن الجوانب المعمارية الهامة التي امتازت بها القلعة أنها كانت مستطيلة الشكل، أما الحجارة التي بنيت بها فلم تكن كبيرة على النحو الذي نجده في بعض العمائر الأخرى كتلك التي في مدينة بعلبك اللبنانية،[١٧٥] كذلك فقد احتوت على عدة ابراج بارزة واحتوت ايضاً على عنصر الساقطات عند الأسوار

والأبراج،(١٧٦) وهي بذلك شأنها شأن حصن الأكراد.

وقد كان من الطبيعي امام تلك التكوينات المعمارية أن صارت القلعة على جانب كبير من الحصانة كغيرها من قلاع التنظيمات الدينية المسيحية وقد اتفقت العديد من المصادر العربية التي كتبها بعض مؤرخي العصرين الأيوبي والمملوكي على حصانة القلعة ومناعتها،(١٧٧) وزاد من أمز حصانتها أن عناصر فرسان الداوية قد حرصوا على إضافة تكوينات معمارية لها من أجل زيادة تحصيناتها.(١٧٨)

أما قلعة كوكب؛ فقد اتسمت عمارتها بصغر الحجم وأحاط بها سور خارجي مربع الشكل تقريباً، واحتوت على عدة أبراج.(١٧٩)

كذلك فقد احتوت قلعة عثليث على خنادق عميقة محفورة في الصخور وكانت تغمر بالمياه(١٨٠) وامتلكت ايضاً العديد من المرافق لسكن فرسان الداوية وكذلك كنيسة كانت تثير دهشة المعاصرين.(١٨١)

أما بالنسبة للقلاع الصليبية التي سيطر عليها فرسان التنظيمات الدينية المسيحية في جنوب المملكة فنعرف عن قلعة غزة مثلاً أنه عندما أعيدت عمارتها تم تشييد العديد من الأسوار بها،(١٨٢) كذلك فإن قلعة الداروم كانت ذات شكل مربع وقد أحاط بها سور مربع وفي كل زاوية من زواياه برج من الأبراج،(١٨٣) وقد وفر ذلك لها قدراً كبيراً من الحصانة والمنعة.

ومن العوامل المتصلة بعمارة قلاع التنظيمات الدينية المسيحية ما اتصل بالزلازل وتأثيرها على تلك القلاع ويلاحظ أن بلاد الشام منيت خلال ذلك العصر بعدة هزات أرضية أودت بحياة الكثيرين وهدمت العديد من الدور، والمباني، والقلاع، والحصون، وقد كان نصيب عدد من قلاع التنظيمات كبيراً في هذا المجال.

وقد تأثر حصن الأكراد بذلك الزلزال الذي تعرضت لها بلاد الشام في عام ٥٥٢هـ/١١٥٨م، وكذلك زلزال عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، وأيضاً عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م،(١٨٤) الأمر الذي أثر ولاريب في تكوينات الحصن المعمارية وان عمل الاسبتاريون على اعادة ترميم الحصن واضافة بعض الجوانب المعمارية الجديدة إليه لمواجهة مظاهر التصدع فيه.

ومن القلاع التي تأثرت بالوضع السابق قلعة عرقة التي اصابها الزلزال في عام ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م،(١٨٥) وكذلك زلزال عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م.(١٨٦)

وفي هذا المقام نعرف من خلال المصادر العربية أن فرسان تلك التنظيمات لم يدخروا وسعاً في سبيل الانفاق على عمارة قلاعهم، فيذكر ابن عبدالظاهر نصاً هاماً عن الاسبتارية ودورهم في عمارة قلعة المرقب "انفق اخوة بيت الاسبتار في عمارتها من الفضة والذهب ما يوزن بالقنطار بعد القنطار وكم كانوا اخوة وما تحاسبوا في الانفاق عليها حساب التجار"(١٨٧) وكذلك انفقوا على عمارة صفد نحو المليون ومائة الف بيزنت شرقي.(١٨٨)

ويبدو في الأفق تساؤل على جانب كبير من الأهمية، وهو الدور الذي لعبته قلاع التنظيمات الدينية المسيحية؟ وفي هذا المجال يلاحظ أن تلك القلاع قامت بدور سياسي، ذلك أن القيادات الصليبية قد

وطدت سيطرتها السياسة على المناطق الخاضعة لها من خلال تواجد تلك القلاع التى كان خروج الهجمات الحربية وشنها عن طريقها يؤدي بالضرورة إلى تهديد حكم قيادات المسلمين، وفي هذا المقام لانغفل ان القلاع التي شيدت، في شمال فلسطين وفي مواجهة دمشق مثلت عاملاً لعدم الاستقرار السياسي على امتداد هجمات عناصر الرهبان الفرسان، كذلك فإن القلاع التي تم تشييدها في حدود المملكة اللاتينية الجنوبية مع مصر الفاطمية أدت دورها كاملاً في تقويض السيادة الفاطمية السياسية عن عسقلان ذات الوضعية الاستراتيجية والاقتصادية المؤثرة.

ومع ذلك، فإن الدور السياسي الذي لعبته تلك القلاع لم يكن منعزلاً عن الادوار الأخرى التي قامت بها ونعني بها الأدوار الحربية والادارية الاقتصادية وعلى المستوى الحربي نجد أن عناصر الاسبتارية والداوية وغيرهم من فرسان التنظيمات لم يكفوا عن جعل قلاعهم مراكز لشن الغارات والهجمات على أملاك المسلمين وأعمالهم وكان هدفهم تخريب اقتصادياتهم والقيام بأعمال السلب والنهب والاسر واجبار الأهلين على اخلاء مناطقهم واجبارهم على النزوح بالقوة القهرية والأمثلة على ذلك عديدة، ففي عام ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م قامت عناصر الاسبتارية في حصن الأكراد بمهاجمة مدينة حماه ولكن الأمير صفي الدين محمود بن الملك المنصور صاحب حماة تمكن من صدهم " وقتل من خيالتهم ورجالتهم خلق كثير "،[١٨٩] ثم أن قلعة بيت الأحزان كانت عناصر الداوية تقوم بشن العديد من الغارات الهجومية عن طريقها[١٩٠] ضد مناطق المسلمين.

وإلى جانب الوضع السابق فإن فرسان التنظيمات كانوا يخرجون من قلاعهم التي سيطروا عليها من أجل المشاركة في العمليات الحربية الكبيرة ضد المسلمين، ولانغفل الاشارة إلى أن عناصر الداوية في قلعة الغولة خرجت منها للاشتراك في معركة عين كريسون عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م وذلك قبيل معركة حطين،[١٩١] وقد دلت تلك الحادثة بجلاء على أن اولئك الفرسان كان يتم حشدهم في تلك القلاع من أجل أن تمثل مراكز عسكرية متقدمة في مواجهة المسلمين يمكن الاستفادة من أعدادهم المتواجدة فيها في خلال المعارك التي تنشب بين الطرفين.

وقد أظهر المؤرخون المسلمون في مؤلفاتهم التي أرخت لذلك العصر مدى الدور الذي لعبته قلاع تلك التنظيمات في الحاق الضرر بالمسلمين ومهاجمتهم وذلك في عبارات ذات دلالة واضحة، من ذلك قول العثماني عن قلعة صفد أنها "أشد ضرراً على المسلمين وأشنعها"،[١٩٢] واعتبرها مؤرخ آخر " عش البلية ".[١٩٣]

أما الدور الاداري الاقتصادي الذي قامت به تلك القلاع، فإنه من الممكن ملاحظته من خلال الإشارة إلى أن بعضها قد شيد في مناطق ذات ثراء اقتصادي على المستوى الزراعي والتجاري ويكفي أن نضرب مثلاً على ذلك القلاع التي وجدت في امارة طرابلس ذات الثراء الزراعي على نحو خاص وكذلك في إمارة أنطاكية بشمال الشام، وحيث ان تلك القلاع كان وجودها الدفاعي، والهجومي استند إلى كونها أداة سياسية، لذا فقد قامت بدورها الإداري الاقتصادي من خلال تلك الوضعية السياسية. وفي

نفس الحين دعمت الوضعية الأخيرة.

ويقدم وليم الصوري إشارات عامة عن ذلك الدور الإداري والاقتصادي الذي لعبته تلك القلاع، فهو يذكر مثلاً أن قلعة الداروم والتي خضعت لسيطرة فرسان الداوية عندما تم تشييدها أمكن عن طريقها فرض المكوس على المسافرين المارين بالطريق الذي وقعت فيه،(١٩٤) ثم ان موقعها كان يمكن الملك الصليبي في يسر وسهولة من جمع الدخول المالية اللازمة والمستحقة سنوياً من السكان المسلمين في القرى المحيطة الواقعة في المنطقة التي أطلق عليها الصليبيون اسم كاساليا Casalia،(١٩٥) ونجد الوضع نفسه بالنسبة لقلعة تبنين التي خضعت لسيطرة عناصر الاسبتارية،(١٩٦) وكانت القلعة الأخيرة قد بلغت من الأهمية أن اسماها الفارس ارنول "قلعة الملك".(١٩٧)

والمثال الآخر الذي يتضح فيه ذلك الدور نجده بالنسبة للقلعة الأخيرة، فقد كانت المنطقة المجاورة لها ثرية بمصادر نشاطها الاقتصادي المتعدد(١٩٨) زراعياً وتجارياً، وكانت الأرض التابعة للقلعة تدر دخلاً سنوياً كبيراً ومما يذكر انه في عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م كانت تلك الأرض تدر مقدار ستين الف بيزنت شرقي،(١٩٩) وحيث ان الاسبتارية والداوية وغيرهم كانوا ملاكاً للأراضي ومقتطعين اياها من الملوك الصليبيين لذا فقد كانت قلاعهم بمثابة المركز الاداري لإدارة نشاطهم الاقتصادي.

وهناك جانب هام يتصل بدراسة قلاع التنظيمات الدينية المسيحية في بلاد الشام خلال ذلك العصر وهي مدى اتفاقها مع قلاع الاسماعيلية النزارية والدور الذي قامت به قلاع كل جانب.

وفي هذا المجال ينبغي أن نلاحظ أن قلاع التنظيمات الدينية المسيحية تشابهت مع قلاع الاسماعيلية النزارية من حيث الدور الدفاعي الذي لعبته تلك القلاع ضد هجمات المسلمين وعمليات الحصار التي تعرضت لها تحت قيادة سلاطينهم وزمرائهم وقد قاومت عدواً مشتركاً في الغالب الأعم المتمثل في جيوش المسلمين، ومع ذلك ينبغي أن نلاحظ ان ثمة بعض عوامل الاختلاف بين الجانبين فعلى حين تركزت قلاع الدعوة في بلاد الشام في منطقة واحدة وهي امارة طرابلس الصليبية فان قلاع التنظيمات الدينية المسيحية تناثرت لتشمل إمارة انطاكية في شمال الشام، وإمارة طرابلس على الساحل اللبناني ومملكة بيت المقدس اللاتينية بامتداد فلسطين وحتى حدودها مع مصر، ثم ان قلاع الاسماعيلية لم تكن على مثل هذا النحو من الضخامة المعمارية التي كانت لقلاع التنظيمات ولم نسمع عن أن إحداها بلغت ضخامة ومناعة المرقب أو حصن الأكراد على سبيل المثال. ثم أن قلاع الإسماعيلية قامت بدور ديني مذهبي يتمثل في خروج الدعاة منها -بالإضافة إلى مناطق تركزات الاسماعيلية النزارية- لنشر الدعوة الجديدة في صفوف المسلمين وكذلك الفداوية الذين قاموا بعمليات الاغتيال.

ومهما يكن من أمر، فأمام تلك الأنشطة المتعددة التي قامت بها قلاع التنظيمات الدينية المسيحية وما شكلته من خطر داهم على المسلمين كان طبيعياً أن يسعى حكامهم من أجل إسقاطها، وقد شمروا عن ساعد الجد لتحقيق ذلك الهدف المنشود.

ومن الممكن أن نقسم محاولات إسقاطها بنحو أربع مراحل نذكر منها عهد الملك العادل نور الدين

محمود والسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي والسلطان الظاهر بيبرس البندقداري ثم السلطان المنصور قلاوون وابنه السلطان الأشرف خليل وتجدر الاشارة هنا إلى أن من تلك القلاع ما سقط بأعداد كبيرة عقب موقعة فاصلة بين المسلمين والصليبيين ومنها ما سقط نتيجة لعمليات حربية قام بها سلاطين المسلمين، ومن امثلة الموقف الأول ما حدث في اعقاب موقعة حطين عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، اما الموقف الثاني فهو ما نجده في عمليات سلاطين المماليك الحربية ضد الصليبيين.

ومن أهم محاولات الملك العادل نور الدين محمود لاسقاط قلاع التنظيمات ما قام به ضد حصن الأكراد عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م فعندما اتجه إلى مهاجمة امارة طرابلس عزم على اسقاط ذلك الحصن حيث كانت عناصر الاسبتارية قد احكمت قبضتها عليه ومن العوامل التي شجعت نور الدين على مهاجمة تلك الإمارة في ذلك الوقت بالذات ما استشعره من فتور العلاقات بين رايموند الثالث امير طرابلس، والامبراطور البيزنطي عمانويل بعد قيام الأول بمهاجمة الاملاك البيزنطية لرفض الامبراطور الزواج من اخته ميلسندا Melisend[٢٠٠] وقد اتجه نور الدين إلى غزو الامارة وبدأ في تجهيز عملياته الحربية ضدها وقد تصدى له ولقواته عدة عناصر حربية مشتركة من الصليبيين وكذلك البيزنطيون تحت قيادة قسطنطين كارلومان Carloman، دوق كليكيا وفصيلة من عناصر فرسان الداوية تحت قيادة جبيرت دي لاسي[٢٠١] Gilbert de Laci، وبينما كان المسلمون قد خلدوا إلى الراحة من عناء المعارك التي خاضوها، شن الصليبيون هجوماً عنيفاً مباغتاً، مما أدى إلى إلحاق الهزيمة بقوات نور الدين محمود وتمكن الأخير من الفرار بأعجوبة.[٢٠٢]

كذلك قد حاول هذا المجاهد اسقاط قلعة صافينا في عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م في اثناء مهاجمته لامارة طرابلس وقد شاركت قوات من الموصل وحلب في العمليات الحربية التي جرت ضدها وتم الاستيلاء عليها عنوة[٢٠٣] غير أن الصليبيين استردوها فيما بعد.

أما السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي فقد تمكن المسلمون تحت قيادته من اسقاط عدد كبير من قلاع التنظيمات الدينية قبل وبعد موقعة حطين ومن امثلة ما سقط قبلها قلعة بيت الأحزان التي سقطت في عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م،[٢٠٤] أما قلعة كوكب الهوا فقد حاصرها المسلمون في عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م،[٢٠٥] ولكنها لم تسقط في ذلك العام بل في عام ٥٨٤هـ/١١٨٨م،[٢٠٦] وعقب معركة حطين سقطت عدة قلاع من امثلتها قلعة شقيف ارنون، وهونين، وتبنين، وبيت جبرين، وغزة، والداروم، وانطرطوس، ودربساك، وبغراس، وكافة تلك القلاع سقطت خلال المدة من عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وعام ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م.[٢٠٧]

ويلاحظ أن التبرير المنطقي لظاهرة تساقط قلاع التنظيمات الدينية المسيحية على مثل هذا النحو الواضح عقب حطين يرجع إلى أن أولئك الرهبان الفرسان سقطت منهم أعداد كبيرة في خلال المعركة ولم يبق في تلك القلاع إلا أعداداً قليلة، ثم انها لم تكن لتستطيع مواجهة عمليات حصار مشددة وطويلة خاصة بعد سقوط مملكة بيت المقدس نفسها وتمزق طرق المواصلات والامدادات بين تلك القلاع

الصليبية نتيجة لانتصار المسلمين، هذا بالاضافة إلى استبسال المسلمين في اسقاط تلك القلاع بعد انتصار معركة حطين الحاسمة.

أما عهد السلطان الظاهر بيبرس فقد سقطت في خلال سني حكمه العديد من تلك القلاع وذلك على نحو نهائي ومن امثلتها قلاع بغراس التي سقطت عام ٦٦١هـ/١٢٦٨م،[٢٠٨] ودربساك، وصفد عام ٦٦٤هـ/١٢٦٦م،[٢٠٩] وشقيف ارنون عام ٦٦٦هـ/١٢٦٨م،[٢١٠] وحصن الأكراد وعكار في عام ٦٦٩هـ/١٢٧١م،[٢١١] وعرقة عام ٦٦٩هـ/١٢٧٠م،[٢١٢] وصافينا عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م.[٢١٣]

وعند اسقاطه لقلعة صفد[٢١٤] وقعت حادثة لم تكن لتتكرر في عملياته الحربية؛ فقد قام بيبرس بقتل أفراد الحامية التي بلغت وفق تقدير البعض نحو ألفين من الفرسان[٢١٥] كانوا في غالبيتهم بطبيعة الحال من عناصر الداوية، وقد عد احد المؤرخين الحديثين هذا الملك من جانب السلطان المملوكي دليلاً على غدره وتحلله من وعوده لهم بالأمان،[٢١٦] ولكنه في الحقيقة نسي أو تناسى انهم وفق التفاصيل الهامة التي قدمها لنا ابن عبدالظاهر قد خرقوا اتفاقهم معه حيث انه طلب منهم الا يخرجوا من القلعة بشيء من متعلقاتهم أو اموالهم غير أنهم خرجوا ومعهم اسلحتهم وكذلك بعض الفضيات واخفوها في ملابسهم واخرجوا بعض الأسرى المسلمين على أنهم من الصليبيين،[٢١٧] وازاء ذلك أمر الظاهر بيبرس بضرب رقابهم فتم ذلك على تل يقع بالقرب من صفد في المكان نفسه الذي كانوا قد اعتادوا أن يضربوا فيه رقاب اسراهم من المسلمين،[٢١٨] ويوضح المصدر نفسه أن القتلى كانوا من عناصر الاسبتارية والداوية؛[٢١٩] وهذا يدل بالطبع على أن قلعة صفد عندما حاصرها واسقطها المسلمون في عهد بيبرس لم تكن تحوي عناصر الداوية فقط بل أن فرسان الاسبتارية شاركوا بجهد في الدفاع عنها، ويلاحظ أنه لم يستثن من ذلك المصير سوى اثنين احدهما كان قد سقى السلطان فعفا عنه وخيره بين الانضمام إلى زملائه من الرهبان الفرسان أو الارتباط بالمسلمين فوافق على الأمر الأخير واعتنق الاسلام وثم الاحسان اليه وأقطع أما الآخر فإنه ذهب إلى زملائه لاخبارهم ماحل بالتنظيمين من خسارة بشرية فادحة.

ومهما يكن من أمر فقد كان لفقد تنظيم الداوية لقلعة صفد آثاره الخطيرة من حيث اضعاف الوجود السياسي والحربي للتنظيم في الأرض المقدسة.[٢٢٠]

ومن بعد السلطان الظاهر بيبرس وجدت مرحلة هامة تحققت فيها عدة انتصارات للمسلمين على عناصر التنظيمات الدينية المسيحية من خلال ابعاد نفوذها عن عدة قلاع منيعة، وكان ذلك في عهد اسرة قلاوون فقد قام السلطان المملوكي المنصور سيف الدين قلاوون باسقاط حصن المرقب وذلك بعد عقد معاهدة لم يحقق لها الالتزام من جانب الاسبتارية في عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م،[٢٢١] ومن الخطأ ماقد تصوره أحد الباحثين عندما اعتقد أن تلك القلعة سقطت في عهد السلطان الظاهر بيبرس،[٢٢٢] إذ أن هذا القول لايجد أي شعاع من تدعيم المصادر المعاصرة أو اللاحقة. كذلك فإن قلاوون تمكن من السيطرة على حصن مرقبة في عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م،[٢٢٣] أما ابنه السلطان الاشرف خليل فانه بعد

اسقاط مدينة عكا عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م عمل على اخضاع قلعة انطرطوس،(٢٢٤) وعثليث؛(٢٢٥) في نفس العام المذكور وبذلك انتهت فصول سيادة التنظيمات الدينية المسيحية على تلك القلاع.

هكذا كانت تلك القلاع التابعة للتنظيمات الدينية المسيحية قد امتدت في انحاء المملكة اللاتينية لتعكس من بعد مدى القوة الحربية والنفوذ السياسي الذي حققته ويلاحظ ان تلك القلاع مثلت جانباً هاماً من تاريخ فرسان تلك التنظيمات فقد خرجوا منها للاشتراك في المعارك الحربية الكبيرة ضد قوات المسلمين أو للقيام بعمليات حربية صغيرة كان هدفها الرئيس القيام بالسلب والنهب لانزال الخراب الاقتصادي بالمناطق والبقاع الاسلامية العامرة بالمزروعات والممتلكات وقد عكس العرض السابق كيف ان ارتباط التنظيمات بالقلاع كان في خلال ظروف سياسية معينة مر بها الوجود اللاتيني في بلاد الشام فمع اشتداد قوة رد الفعل الاسلامي وعدم قدرة الأمراء الصليبيين على الدفاع عن اقطاعاتهم وقلاعهم عهدوا بأمرتلك القلاع لعناصر فرسان التنظيمات الدينية المسيحية خاصة وأنها ادت دورها على المستوى الحربي بكفاءة كانت المملكة اللاتينية في أمس الحاجة اليها فوقعت في أمرتلك التحصينات ومن خلال تواجدهم فيها استمر وجود وتاريخ التنظيمات في بلاد الشام حتى أخريات القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

غير أن ذلك كله لم يكن يعني أن تؤدي تلك القلاع البالغة الحصانة والمنعة إلى أن توقف منطق الأشياء ومنطق التاريخ في انه في دحر الغزاة الذين قدموا إلى بلاد الشام التي امتلكت صفات الاختصاص والفتوة ثم اللفظ ولذلك وجدنا في مرحلة من مراحل تاريخ الصراع الاسلامي–الصليبي تساقط تلك القلاع التي امتلكتها التنظيمات الدينية المسيحية.

وجدير بالذكر ان تلك القلاع شهدت عدة مراحل لاسقاطها، منها مرحلة في عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي خاصة بعد انتصاره في موقعة حطين الحاسمة عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، ثم مرحلة اخرى في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري، ثم من بعد ذلك مرحلة أخيرة في عهد اسرة قلاوون السلطان المنصور قلاوون وابنه الأشرف خليل من بعده.

ومجمل القول أن قلاع التنظيمات الدينية الحربية في بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية قد مكنتهم من تدعيم نشاطهم على المستويين الحربي والسياسي.

هوامش الفصل الثاني

(١) السيد غلاب، "سكان فلسطين ودراسة تاريخهم الجنسي"، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية م(٥)، لعام ١٩٥٦م، ص١٢٧.

(٢) شكري مقبل، الاحوال السياسية والحضارية في فلسطين خلال عصر دولة المماليك الأولى، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة الملك سعود بالرياض، لعام ١٤٠٢هـ، ص٩.

(٣)عن ذلك بالتفصيل انظر: عبدالرحمن الشرنوبي، جغرافية السكان، ط.القاهرة ١٩٧٨م، ص٢٠٧-٢١١، غلاب وصبحي عبدالحكيم، السكان ديموغرافيا وجغرافيا، ط.القاهرة١٩٧٨م، ص٢١٥-٢١٩، فتحي ابوعيانه، جغرافية السكان، ط. الاسكندرية ١٩٧٧م، ص٧٧-٨٢.

(٤) يسرى الجوهري، مبادىء جغرافية السكان، ط. بيروت ١٩٦٩م، ص٩٤-٩٥، عبدالغني سعودي، الجغرافية والمشكلات الدولية، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ص٦.

(٥) قاسم عبده قاسم، صورة المقاتل الصليبي، ص٢٥، ويشرح سمايل الموقف قائلاً: "إن كافة الحكومات تقوم إلى حد ما على أساس القوة، وربما كان هذا هو الأساس الرئيس للسيطرة الفرنجية على سوريا فلم يكن احتمال خطر غزو وشيك شبه متواصل وحسب، وانما كان العديد من الشعوب التابعة لا يوافق ابداً بصورة تامة على الحكم اللاتيني وكان عليه أن يظهر في المناسبات الهامة اما ولاءً مشكوكاً فيه أو عداء فعلياً وتجسمت تلك القوة في الاداتين التوأمين: الجيش الميداني والأماكن المسورة "انظر: سمايل، الحروب الصليبية ص٢٠٩.

(٦) مونتجومري، الحرب عبر التاريخ، ت. النمر، ط. القاهرة ١٩٧٢م، حـ٣، ص٢٥٢.

(٧) Deschamps, La Defnse du Royaume de Jerusalem, Paris 1939, Vo.II,p.5

(٨) Deschamps, Le Crae des Chevaliers, Paris 1938, p.5

(٩) عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٥٣.

Fedden, Crusader Castles, London 1950, p.13

(١٠) عبدالرحمن زكي، "العمارة العسكرية في العصور الوسطى بين العرب والصليبيين"، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م(٧) لعام ١٩٥٨م، ص١٢٤.

(١١) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص٧٣. انظر ايضاً: شكري مقبل، الاحوال السياسية والحضارية في فلسطين، ص٤.

(١٢) عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٦٢، الحويري، الأوضاع الحضارية، ص١٩٨.

(١٣) Abbot Daniel,p.9. اشار الحاج الاوروبي سايولف Saewulf الذي قام برحلته بين عامي ٤٩٥-٤٩٦هـ/ ١١٠٢-١١٠٣م إلى الأعمال التي يقوم بها المسلمون، عبر طرق جبلية وعرة جداً بقوله: "اعتاد المسلمون على نصب الكمائن والمصائد للمسيحيين، إذ كانوا يختبئون في الأماكن الجوفاء من الجبال والكهوف الصخرية، ويراقبون ليلاً ونهاراً، حتى تسنح لهم الفرصة لمهاجمة مجموعة من المسافرين، أو الهجوم على اولئك الذين يتخلفون وراء جماعتهم بسبب التعب والارهاق، وفي لحظة ما يمكن رؤيتهم في كل مكان ثم يختفون كلية، ويمكن لأي شخص يقوم بمثل هذه الرحلة ان يرى ذلك، كم هو كبير عدد الجثث الملقاة أو الممزقة من قبل الوحوش في الطريق أو على جانبه؟ ويمكن للبعض أن يندهش؟ لأن الجثث المسيحية ملقاة هناك غير مدفونة. ولكن يجب أن لا يندهش المرء بتاتا، حيث انه لا يوجد الا القليل من التراب، ولا يمكن الحفر في الصخور الصلبة، وحتى لو وجدت التربة، من هو الاحمق الذي سيكون بوسعه ترك جماعته، والقيام بمفرده بحفر قبر لأحد رفاقه؟ لو فعل ذلك فانه سيكون مستعداً لحفر قبر لنفسه بدلاً من قبر لرفيقه. انظر: رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٧م، ص٢٣، سعيد عبدالله البيشاوي، المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة الصليبيين ٤٩٢-٥٨٣هـ/ ١٠٩٩-١١٨٧م، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد ١٥،

ب، حزيران ٢٠٠١م، ص٣٧٠-٣٧١.

(١٤) عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٦٢.

(١٥) فكرة المجال الحيوي Lebenstoaum ابتكرها عالم الجيوبوليتيكا الالماني كارل هاوسهوفر Karl Haushofer، عنه وعن فكرته انظر: محمود الديب، الجغرافية السياسية، ط.القاهرة ١٩٧٩م، ص٦، ص٢٣، السيد غلاب وصادق والديناصوري، الجغرافية السياسية، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص١٨-٢١، صلاح الدين البحيري، "الصهيونية وحدود الكيان"، مجلة كلية الآداب- الجامعة الاردنية، م(٢)، ١٩٧١م، ص١٣.

(١٦) عدنان البخيت، مملكة الكرك في العهد المملوكي، ط. عمان ١٩٧٦م، ص٦.

(١٧) عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٥١.

(١٨) Smail, The Crusaders in Syria and The Holy land, p.91

(١٩) مونتجومري، الحرب عبر التاريخ، جـ٣، ص٢٤١.

(٢٠) سعيد عبدالفتاح عاشور، اوروبا العصور الوسطى، جـ٢، ص٦٩، اسحق عبيد، الفرسان والاقتان في مجتمع الاقطاع، ط. بيروت ١٩٧٥م، ص٥٦، فايز اسكندر، فن الحرب والقتال، ص٩٠.

(٢١) Smail, Op. Cit., p.94

(٢٢) ويلاحظ ان نظام الاسوار المزدوجة وجد في تحصينات عمارة مدينة الاسكندرية انظر: سالم، تخطيط مدينة الاسكندرية وعمرانها في العصر الاسلامي، ط. بيروت ١٩٦٣م، ص٩٦. وتطور امر تلك الأسوار بعد ذلك عند الموحدين حيث وجد لديهم نوعاً منها عرف باسم الابراج البرانية وكانت تقع خارج السور وترتبط به عن طريق ستارة من البناء عرفت في المغرب والأندلس باسم قورجة Caracha، وكان الهدف منها اغلاق الطريق في مواجهة الأعداء المهاجمين وذلك في اكثر اجزاء السور ضعفاً، عن ذلك انظر: السيد عبدالعزيز سالم، "التخطيط ومظاهر العمران في العصور الاسلامية الوسطى"، مجلة المجلة، العدد (٩) لعام ١٩٥٧م، ص٦٢، تخطيط مدينة الاسكندرية، ص٢٤.

(٢٣) نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص١٠٦، أحمد رمضان، شبه جزيرة سناء، ص١٧٥، فايز اسكندر، فن الحرب والقتال، ص٩٣.

(٢٤) عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٦٩. ويلاحظ أن حفر الخنادق في عمارة المدن التي وقعت في أملاك المسلمين كان أمراً معهوداً ومن امثلته ان مدينة الاسكندرية كان هناك خندق عند سورها الشمالي من جهة البحر وكذلك خندق يحيط بالسور الغربي، انظر: السيد عبدالعزيز سالم، تخطيط مدينة الاسكندرية وعمرانها، ص٩٦، الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص١٢٤، كذلك نجد عنصر الخندق في عمارة قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة، انظر: كازانوفا، تاريخ ووصف قلعة القاهرة، ت. احمد دراج، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ص٨١-٨٢، كمال سامح، العمارة الإسلامية في مصر ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٢٤.

(٢٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٤-١٣٥، ابن العديم، زبدة الحلب، جـ٢، ص١٣٢.

(٢٦) من امثلة ذلك ما نجده في قلاع كوكب وصفد وعثليث وصهيون وغيرها، انظر: ابن الأثير، الكامل، جـ١٢، ص١٠، البنداري، سنا البرق الشامي، ص٢٤٢، الحنبلي، شفاء القلوب، ورقة (٣١).

(٢٧) عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٦٨.

(٢٨) Fedden, Crusader Castles, p.23.
Rey, Etudes sur les mounuments de l'architecture des croises en Syrie et en Chypre,p.28

(٢٩) أنظر تعليق سامي الدهان في الأعلاق الخطيرة ومن انتحى نحوه مثل الطراونة: ابن شداد الحلبي، الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ص١١٢، حاشية (٦)، طه ثلجي الطراونة، مملكة صفد، ص٤٨، حاشية (١٧).

(٣٠) فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص١٩١، عبدالرحمن زكي، العمارة العسكرية في العصور الوسطى، ص١١١، حاشية (١).

(٣١) هناك أمثلة لها وتؤرخ بين عامي ٢٦٢٥، ١٧٨٨ق.م أنظر: فريد شافعي، العمارة العربية، ص١٩١.

(٣٢) عنها انظر: Creswetl, Short account of early Islamic architecture, London 1958,pp.131-122.

Oman, Hist. of The art of war, London 1924, Vo.II, p.24, Fedden, Crusader Castles, p.25.
عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٧٠، العمارة العسكرية، ص١٢٥، زكي حسن، فنون الاسلام، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ص٦٦١، عبدالمعطي الجلالي، عاديات حلب- معهد التراث العلمي العربي جامعة حلب ١٩٧٥م، حـ١، ص٢٢٧، سعيد عبدالفتاح عاشور، المدنية الاسلامية، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص١٩٩، زكي حسن، فنون الإسلام، ص٦٦١.

(٣٣) فريد شافعي، العمارة العربية، ص١٩٣.

(٣٤) نفسه، نفس المرجع، ص١٩٥.

(٣٥) نفسه، نفس المرجع، ص١٩٧، كريزويل، وصف قلعة الجبل، ت. جمال محرز، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ص٤٠.

(٣٦) فريد شافعي، المرجع السابق، ص١٩٦، عبدالرحمن زكي، العمارة العسكرية، ص١٢٨.

(٣٧) رنسيمان، الحروب الصليبية، حـ٢، ص٧٦٠-٧٦١.

(٣٨) Fedden, Crusader Castles, p.29

(٣٩) عن ذلك أنظر: محمد مؤنس عوض، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٥٥-١٥١.

(٤٠) عبداللطيف البغدادي، الافادة والاعتبار، نشر سلامة موسى، ط. القاهرة ب-ت، ص٧٣، ابو شامة، الذيل، ص٢٩، ابن الجوزي، المنتظم، جـ١١، ص٧٦، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص٢٨٠.

(٤١) فرديناند توتل، "زيارة إلى قلعة المرقب"، مجلة المشرق، م(٣٧)، جـ(٤) لعام ١٩٣٥م، ص٥٤٠.

(٤٢) Bradford, The Shield and The Sword,p.27.

(٤٣) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص٧٥.

(٤٤) Theoderich, p.64

(٤٥) Ernoul,p.26-27

(٤٦) La Monte, Feudal Monarchy, p.265-266

(٤٧) Ibid, p.266

(٤٨) La Monte, Feudal Monarchy, p.266

(٤٩) Ibid, p.220, note(2)

(٥٠) Ibid, p.220, note(2), Archer, The Crusades, p.179

(٥١) Riley-Smith, The knights of St. John, p.69. Prawer, The Latin Kingdom, p.269

(٥٢) اميدي لوريول اليسوعي، الفرسان الألمان في سوريا، ص٩٧٢، عبدالحفيظ محمد علي، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين، ص١٧١. عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٦١، العمارة العسكرية، ص١٣٢.

(٥٣) شكري مقبل، الأحوال السياسية والحضارية، ص١٧٢.

(٥٤) عن موقعها: ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص٤٦٧، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٥٨-٢٥٩، ابن عبدالحق البغدادي، مراصد الاطلاع، جـ١،ص٢٠٩، العمري، التعريف، ص١٩٥، المقريزي، السلوك، جـ١/ق١، ص١٠٠، حاشية (٨).
حامد زيان، الامبراطور فردريك باربا روسا، ص٦٥.
Le Strange, Palestine,p.407. Runciman, Vol.II,p.471.

(٥٥) عن موقعها: ياقوت، المصدر السابق، جـ٢، ص٦٤٦، ابو الفداء، المصدر السابق، ص٢٦٠-٢٦١، ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص١٩٧، حاشية (٥)، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص١٢٢، Le Strange, Ibid., p.428.

(٥٦) عن موقعها: ابن بطوطة، الرحلة، ص٧٥، الخالدي، المقصد الرفيع المنشا، ورقة (٩١)، ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية، ص١٧٧، Le Strange, Ibid., p.483

(٥٧) عن موقعها: العمري، التعريف، ص١٨١، الخالدي، المقصد الرفيع المنشا الحاوي، ورقة (٩١)، Le Strange, Ibid.,p.447

(٥٨) عن موقعها: معجم البلدان، جـ٤، ص٥٠٠، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٥٥، ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص٨٥، حامد غنيم، الجبهة الاسلامية، حـ٣، ص١٩٨، شيخو، جولة في الدولة العلوية، ص٤٩٠.

(٥٩) ابن عبدالحق البغدادي، مراصد الاطلاع، جـ٣، ص١٢٦٠، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٣، ص٣١٥.

(٦٠) Anonymous pilgrims, Anonymous pilgrim V, PPTS, Vol. VI,p.27

(٦١) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص١٤٥

Dussaud, Topographie Historique, p.149.

(٦٢) عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٥٦.

(٦٣) عن موقعه انظر: مصطفى طلاس ومحمد وليد الجلاد، قلعة الحصن، حصن الاكراد، ط. دمشق ١٩٩٠م، مولر، القلاع ايام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، ط. دمشق ١٩٨٤م، ص٧٦.

(٦٤) يوسف سمارة، جولة في الإقليم الشمالي، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص٦٢.

(٦٥) شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر، ص٢٠٨، عبدالنعيم حسنين، دولة السلاجقة، ص٩١.

(٦٦) عبدالعزيز عبدالدايم، امارة طرابلس الصليبية، ص٤١. وبوجود وصف هام لحصن الاكراد لدى نيقولا زيادة، صور من التاريخ العربي، ط. القاهرة ١٩٤٦م، ص١٠٥.

(٦٧) حسين مؤنس، نور الدين محمود، ص١٠١.

(٦٨) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٥، ص٦٧.

(٦٩) Uden, Dictionary of Chivalry, p.106

(٧٠) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٦٧، النويري، نهاية الأرب، جـ٢١، ورقة (١٠٠)، شيخو، جولة في الدولة العلوية، ص٤٩٠، جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص٢٣٥، حاشية (١)، العش، آثارنا في الاقليم السوري، ص٩٧.

(٧١) عبدالرحمن زكي، العمائر العسكرية، ص١٣١.

(٧٢) عن موقعها انظر: ياقوت، معجم البلدان، جـ٦، ص١٥٥-١٥٧، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٥٤-٢٥٥، ابن شداد الحلبي الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ص٩٣، ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٤٨، الياس ديب، العقود الدرية، ص٩٤، فيليب دي طرازي، أصدق ما كان عن تاريخ لبنان، جـ١، ص٢٥.

Nantet, Hist. de Liban, paris 1963, p.61.

(٧٣) عن موقعها انظر: ابن شاهين، المصدر السابق، ص٤٨، ابن عبدالظاهر تشريف الأيام والعصور، ص٩٧، حاشية (١)، ابن حبيب، تذكرة النبيه، ص٥٨، حاشية(٧)، عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص١١١، حاشية (٢).

Le Strange, Palestine, p.80

(٧٤) عبدالله عنان، "قلاع الصليبيين والمسلمين في سوريا ولبنان"، مجلة الهلال، السنة (٤٢)، جـ(٥) لعام ١٩٣٢م، ص٥٥٤، سالم طرابلس الشام، ص١٥-١٦.

(٧٥) عبدالله عنان، المرجع السابق، ص٥٥٤.

(٧٦) سليمان مظهر، "قلعة شقيف ارنون"، مجلة المجمع العلمي بدمشق، مجلة عام ١٩٤٤م، ص٤٢٤.

Le Strange, Ibid.,p.76

وعنها بالتفصيل انظر: سرور عبدالمنعم، الدور السياسي لحصن شقيف ارنون في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة طنطا، عام ١٩٩٧م.

(٧٧) ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، م٥/ط١، ص٢٢١، حاشية (٩٠٠)، فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص٣٥٨.

(٧٨) سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص٦٠٠-٦٠١، الطراونة، مملكة صفد، ص٨٦.

(٧٩) عن موقعها انظر: العثماني، تاريخ صفد ص٤٨٤، نقولا زيادة، سوريا زمن الصليبيين، ص١٩٦، حاشية (٩)، مزمل حسنين، نيابات الشام، ص٢٨.

Le Strange, Palestine, p.495, Conder, The Latin Kingdom, p.311, Parker, Hist. of Palestine, p.127, King, The Knights Hospitallers, pp.271,305

(٨٠) ابن عبدالحق البغدادي، مراصد الاطلاع، جـ٣، ص١١٨٨، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، جـ١، ق٥، ص١٠٨، حاشية (٢٩٩).

(٨١) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص٨٣، حامد غنيم، الجبهة الإسلامية، حـ٢، ص٦١.

(٨٢) عن موقعها انظر: ياقوت، معجم البلدان، جـ٣، ص٦١٦، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٤، ص٨٦، حاشية (٢)، المقريزي، السلوك، جـ١/ق١، ص٥١٣.

The City of Jerusalem, in PPTS, Vol. VI, p.22. Le Strange, Palesine, p.403, Archer, The Crusades,p.179.

(٨٣) عبدالرحمن زكي، العمارة العسكرية، ص١٢١، حاشية (٣).

(٨٤) عن موقعها انظر: ابن جبير، الرحلة، ص٣٠٠، العثماني، تاريخ صفد، ص٤٨١، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١١، شاكر ابو بدر، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، ص٢٩٦، صلاح عبدالمنعم، قلاع مملكة بيت المقدس الصليبية في الفترة ١٠٩٩-١١٩٢م/٤٩٢-٥٨٨هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م، ص٤٦.

(٨٥) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص٨٦.

(٨٦) نفس المرجع والصفحة. وعن أهميتها في القيام بالدفاع عن حدود المملكة اللاتينية في مواجهة دمشق انظر:

King, The knights Hospitallers, p.132.

(٨٧) عن موقعها أنظر: ياقوت، معجم البلدان، جـ١،ص٨٢٠، ابن جبير، المصدر نفسه، ص٢١٠، ابن شداد الحلبي، الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ص١٥٢، العثماني، المصدر السابق، ص٤٨٢، الطراونة، مملكة صفد، ص٩٥، محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص٢٨٨، حاشية (١).

Jipejian, Sidon, p.104

(٨٨) نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص١١٥-١١٦.

(٨٩) Lucie Elise, The Knights Templars, p.68

(٩٠) ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص٢٠٧، شافع بن علي، حسن المناقب السرية، تحقيق الخويطر، ط. الرياض ١٩٧٦م، ص٨٩، حاشية (٢)، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٣.

Guide Book to palestine, trans. by J.H. Bernard, PPTS, Vol.BI, London 1894, p.34

(٩١) عن موقعها انظر: ياقوت، المصدر السابق، حـ١، ص٧٧٦، شيخ الربوة، المصدر السابق، ص٢٠١، عاشور، الحركة الصليبية، حـ٢، ص٦٠١. Le Strange, Palestine, p.414.

حسن عبدالقادر، أسماء المواقع الجغرافية في الأردن وفلسطين، ط. عمان ١٩٧٣م، ص١٩.

(٩٢) عن موقعها انظر: ياقوت، المصدر نفسه، حـ٣، ص٣٩٩، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٣٨، ٢٣٩، ابن شداد الحلبي، الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ص٢٦٤، حاشية (١).

(٩٣) عن موقعها انظر: ياقوت، المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٣٤، ابن العديم، زبدة الحلب، جـ٣، ص٧٣، ابن عبدالحق البغدادي، مراصد الاطلاع، جـ٣، ص١٠٤٧، شيخ الربوة، المصدر نفسه، ص٢١٣. Le Strange, Ibid., p.441

(٩٤) شعيرة، "من تاريخ التحصينات العربية في القرنين ١، ٢ هـ"، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص٤٣٦، هاشم اسماعيل، دراسات تاريخية وعسكرية عن الدولة البيزنطية منذ الفتح العربي للشام حتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٧٧م، ص٩٩.

(٩٥) سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص٦٩٣، حامد غنيم، الجبهة الإسلامية جـ٢، ص٦١، وعن قلعة بغراس انظر: علي عودة الغامدي، حصن بغراس ودوره الحربي في عصر الحروب الصليبية"، ندوة الاطار التاريخي للحركة الصليبية، اتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة: ١٩٩٥م.

(٩٦) ابراهيم خميس، العلاقات السياسية، ص٤٩.

(٩٧) Le Strange, Palestine, p.447

(٩٨) القزويني، آثار البلاد، ص٢٦١، ابن عبدالظاهر، تشريف الايام والعصور، ص٨٥، مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص٢٤٢.

(٩٩) عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٨٠.

(١٠٠) Dussaud, La Syrie Antique et medievale, p.152. Riley-Smith, Feudal Nobility, p.29.

فايز اسكندر، فن الحرب والقتال، ص٧٨، حاشية (٢).

(١٠١) شيخو، جولة في الدولة العلوية، ص٤٩٠.

(١٠٢) Cavaliero, The last of the Crusaders, p.2

(١٠٣) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص١٠٢.

(١٠٤) سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص٦٤٨.

(١٠٥) حامد غنيم، الجبهة الاسلامية، جـ٢، ص٦١.

(١٠٦) ابو الفرج العش، اثارنا في الاقليم السوري، ص٦٧.

(١٠٧) يلاحظ أنه بالنسبة لتسممية حصن الأكراد يذهب عنان إلى القول بأن التسمية نسبة إلى صلاح الدين ورجاله وهم اكراد (عبدالله عنان، قلاع الصليبيين والمسلمين، ص٥٥٤) غير أن هذا الرأي يحوي مغالطة واضحة ذلك أن تلك التسمية كانت موجودة وسابقة على عهد الأيوبيين ونجدها في مؤلفات العصر السلجوقي (ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٢) والحقيقة ان التسمية ترجع إلى الحادثة التي عهد فيها شبل الدولة نصر الرداسي عام ٤٢٤هـ/١٠٣٣م إلى جماعة من الأكراد بمهمة الدفاع عن تلك القلعة فعرفت بقلعة الأكراد أو حصن الأكراد، انظر:

ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ص١٥٣، حاشية (١)، السخاوي، الذيل على رفع الاصر، تحقيق جودة هلال واخرون، ط. القاهرة، ص١٢٣، حاشية (٢)، دائرة المعارف الإسلامية، مادة "حسن الأكراد"، جـ٧، ص٤٤٨.

(١٠٨) محمود سعيد عمران، معركة حارم، ص٩٠.

(١٠٩) Samail, The Crusaders in Syria, pp.54-55.

(١١٠) سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص٦٩٣.

(١١١) Smail, Ibid. p.55. Stevenson, The Crusaders, p.136.

سامي سعد، الاسبتارية في رودس، ص٤٥.

(١١٢) King, "The Taking of le krak des Chevaliers in 1271" in Antiquity, XXIII, p.83.
Riley-Smith, The knights of St. John, p.55. Fedden Crusader Castles, p.50

يوسف غودار، "معبد سيدة القلعة في بلاد عكار" المشرق، السنة (٢)، العدد رقم (١٣)، ص٦٠٠، الحويري، الأوضاع الحضارية، ص٥١، عمر كمال توفيق، مملكة بيت المقدس، ص١٠٨، مونتجومري، الحرب عبر التاريخ، جـ٣، ص٢٥٣.

ويلاحظ أن المؤرخ ابن قاضي شهبه قد جانبه الصواب عندما تصور أن حصن الأكراد قد تولى أمر الدفاع عنه الداوية حيث أن ذلك التنظيم لم يتول ذلك في أي مرحلة من مراحل تواجده في بلاد الشام بل كان ذلك للاسبتارية، انظر إشارة المؤرخ في الكواكب الدرية، ص١٧٣.

(١١٣) سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص٧١٤.

(١١٤) Runciman, Vol. II, p.389, note(2)

(١١٥) رنسيمان، الحروب الصليبية، حـ٢، ص٦٢٨، نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص٢٠٦.

(١١٦) عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٥٩.

(١١٧) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠٨.

(١١٨) Ernoul, Account of Palestine, p.51

(١١٩) ابن شداد الحلبي، الأعلاق الخطيرة، حـ٢، ص١٤٦، وقد أيده في ذلك الباحث طه ثلجي الطراونة في كتابه مملكة صفد، ص٨٥.

(١٢٠) العثماني، تاريخ صفد، ص٤٧٩.

(١٢١) سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، حـ٣، ص٦٩٢.

(١٢٢) Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem p.260

(١٢٣) King, The Knights Hospitallers, p.305

(١٢٤) أميدي لوريول اليسوعي، الفرسان الألمان في سوريا، ص٩٧٣.

(١٢٥) عبدالحفيظ محمد علي، الحياة السياسية والاجتماعية، ص١٧١.

(١٢٦) عبدالرحمن زكي، العمارة العسكرية في العصور الوسطى، ص١٣٢، القلاع في الحروب الصليبية، ص٦.

(١٢٧) عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٥٩.

(١٢٨) Boase, Kingdoms and strongholds,p.82.

عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٥٩، سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ١، ص٦٩٢، الخالدي، اهل العلم والحكم، ص٧٦.

(١٢٩) Fedden, Crusader Castles, p.56.

(١٣٠) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص٨٦.

(١٣١) ابن شداد الحلبي، الاعلاق الخطيرة، جـ٢، ص١٥٢.

(١٣٢) سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ١، ص٣٠٦.

(١٣٣) William of Tyre, Vol. I,p.469

(١٣٤) Rey, Les Colonies Franques de Syrie, Paris 1883, p.499

(١٣٥) Albert d'Aix, pp.635-636.

(١٣٦) Riley-Smith, Feudal Nobiltity, p.60, The Knights of St. John, pp.133-134.

(١٣٧) The City of Jerusalem, p.33

Riley-Smith, The knights of St. John, p.32.

(١٣٨) Smail, Crusading Warefare, p.211.

(١٣٩) دائرة المعارف الإسلامية، مادة "بيت جبرين"، م(٨)، ص٤٩٧.

(١٤٠) Prawer, The Latin kingdom of Jerusalem, p.265, Archer. The Crusades, p.172, Stevenson, The Crusaders, p.136, Bradford, the Shield and the Sword, p.25, Smail, The Crusaders in Syria, p.54, King, The Knights of St. John. p.8

(١٤١) Prawer, The Latin Kingdom, p.265. Stevenson, The Crusoders, p.167

حامد غنيم، الجبهة الإسلامية، جـ٢، ص٦١، الدبس، تاريخ سوريا، جـ٦، ص٧٦، صبحي طوقان، الموسوعة الفلسطينية، ط. الاسكندرية ١٩٦٩م، ص٣٦٦.

(١٤٢) Stevenson, The Crusaders, p.173. Baldwin, The Latin States, p.534. Archer, The Crusades, p.173. Lucie Elise, The Knights Templars, p.41.

(١٤٣) Prawer, Op. Cit., p.265

(١٤٤) William of Tyre, Vol.II, p.203

(١٤٥) William of Tyre, Vol.II,p.203, note (27)

(١٤٦) مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص٢٤٥.

(١٤٧) وقع هذا البرج في الطرف الجنوبي الغربي من سور مدينة دمشق وقد بناه الملك العادل نور الدين محمود في عام ٥٦٤هـ/١١٦٨م ويلاحظ انه بني بأحجار قديمة مستعملة اخذت كما يعتقد من سور مدينة دمشق انظر: سليم عادل، مشاهد دمشق الأثرية، ط. دمشق ١٩٥٠م، ص٤

(١٤٨) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص٨٧.

(١٤٩) الحويري، الأوضاع الحضارية، ص٢٢٣.

(١٥٠) فايز اسكندر، فن الحرب والقتال، ص٧٨، حاشية (٢).

(١٥١) المعالم الأثرية في البلاد العربية، جـ٢، ص٢٩٥.

(١٥٢) توتل، زيارة إلى قلعة المرقب، ص٥١٢، يوسف سمارة، جولة في الاقليم الشمالي، ص٧٣.

(١٥٣) Rey, Les Colonies Franques de Syrie aux XII et XIIe siecles, Paris 1883, p.120.

المحمود، فن الحرب عند العرب، ص٣٦٣-٣٦٤.

(١٥٤) توتل، زيارة إلى قلعة المرقب، ص٥٣٢.

(١٥٥) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص٨٨.

(١٥٦) عبدالرحمن زكي، العمارة العسكرية في العصور الوسطى، ص١٣١.

(١٥٧) يوسف سمارة، جولة في الاقليم الشمالي، ص٧٦.

(١٥٨) Le Strange, Palestine, p.894

(١٥٩)ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٣، ابن الأثير، الكامل، جـ١٢، ص١٠، ابو شامة، الروضتين، جـ٢، ص١٣٩، ابن واصل، مفرج الكروب ، جـ٢، ص٢٦١، الحنبلي، شفاء القلوب، ورقة (٤٣)، سعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص٢٠٨، التكريتي، الأيوبيون في شمال الشام، ص١٨٣.

(١٦٠) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٢، ص٢٦١.

(١٦١) شيخو، جولة في الدولة العلوية، ص٤٩١.

(١٦٢) أحمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٣٢٥.

(١٦٣) عبدالرحمن زكي، العمارة العسكرية، ص١٢٨.

(١٦٤) رنسيمان، الحروب الصليبية، جـ٢، ص٧٦٠-٧٦١.

(١٦٥) فايز اسكندر، فن الحرب والقتال، ص٩١.

(١٦٦) دائرة المعارف الاسلامية، مادة "حصن الأكراد"، حـ٣، ص٤٤٨.

(١٦٧) نفسه، نفس المرجع والصفحة.

(١٦٨) مفضل بن أبي الفضائل، النهج السديد، ص٥٢٨.

(١٦٩) King, The Taking of le kerak des chevaliers, p.89

Lawerence, Crusader Castles, London 1936, Vol.I, p.47.

(١٧٠) شيخو، جولة في الدولة العلوية، ص٤٠.

(١٧١) المعالم الاثرية في البلاد العربية، حـ٢، ص٢٩٢.

(١٧٢) تقويم البلدان، ص٢٥٩.

(١٧٣) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٨٢.

(١٧٤) Boase, kingdoms and strongholds, p.80, Bradford, The Shield and the sword, p.27, Runciman, Vol. II, P.471.

(١٧٥) سليمان مظهر، قلعة شقيف ارنون، ص٤٢٩.

(١٧٦) نفسه، نفس المرجع، ص٤٣٠.

(١٧٧) أحمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٣٢٥.

(١٧٨) ابن الأثير، الكامل، جـ١٢، ص٢٧، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٤، ص٣٠١، العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٨٢، ابن عبدالحق البغدادي، مراصد الاطلاع، جـ٢، ص٨٠٧، العثماني، تاريخ صفد، ص٤٨١.

Le Strange Palestine, p.534, Rey, Etudes sur les monuments de l'architecture militaires des Croises en Syrie, Paris 1871, p.127 Sqq.

(١٧٩) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٢٩٦ سليمان مظهر، قلعة شقيف ارنون، ص٤٣١.

(١٨٠) عبدالرحمن زكي، العمارة العسكرية، ص١٢٦.

(١٨١) نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص١٠٧.

(١٨٢) Archer, The Crusades, p.179

(١٨٣) William of Tyre, Vol.II,p.202

Jacques de Vitry, p.14

(١٨٤) Smail, Crusader Warefare, p.230

(١٨٥) أبو شامة، الذيل، ص٢٩، ابن الجوزي، المنتظم، ص١٧٦، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص ٢٨٠، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٠٨، ابن الراهب، تاريخ ابن الراهب، ص٧٤،

Jipejian, Byblos Through the ages, Beirut 1968, p.145.

(١٨٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٣١٨.

(١٨٧) ابو شامة، المصدر نفسه، ص٨٩.

(١٨٨) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص٨٥.

(١٨٩) Riley-Smith,Feudal Nobility, p.28

(١٩٠) ابن واصل، مفرج الكروب، حـ٤، ص٣٠٣.

(١٩١) سعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص١١٦. حامد غنيم، الجبهة الاسلامية، جـ٢، ص١٠٠.

(١٩٢) عن ذلك أنظر الفصل الثالث.

(١٩٣) العثماني، تاريخ صفد، ص٤٨٧.

(١٩٤) الفتح البنداري، سنا البرق الشامي، ص١٦٨. وانظر عبارات اخرى عن القلعة وردت في رسالة ارسلها السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي إلى أخيه سيف الاسلام صاحب اليمن حفظها لنا القلقشندي، انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، حـ٧، ص٣٤٠-ص٣٤٤.

(١٩٥) William of Tyre, Vol.II,p.373

(١٩٦) William of Tyre, Vol.II,p.373

(١٩٧) ابن جبير، الرحلة، ص٢١٠، نقولا زيادة، سوريا زمن الصليبيين، ص٢١.

(١٩٨) Ernoul, p.51

(١٩٩) William of Tyre, Vol. I,p.469

(٢٠٠) Riley-Smith, Feudal Nobility, p.32

(٢٠١) محمود سعيد عمران، معركة حارم، ص٩٠-٩١.

(٢٠٢) Lucie Elise, The Knights Templars, p.73

(٢٠٣) عن هزيمة نور الدين محمود ضد حصن الأكراد انظر:

William of Tyre, Vol.II,p.306

ابن الأثير، الباهر، ص١٢٤-١٢٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٥، ص١٨٧-١٨٨.

Gibb, The Career of Nur-Ad-Din. P524. Deschamps, Le Crac des Chevaliers p.36,118

وأنظر أيضاً: محمد مؤنس عوض، في الصراع الاسلامي الصليبي السياسة الخارجية النورية، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص١٨٠.

(٢٠٤) ابن العديم، زبدة الحلبي، جـ٢، ص٣٢٤، رشيد الجميلي، "كفاح الموصل وحلب ضد الصليبيين"، مجلة المؤرخ العربي، عدد عام ١٩٧٤م، ص١٣٥.

(٢٠٥) المقريزي، السلوك، جـ١، ق١، ص٦٧.

(٢٠٦) ابن شاهنشاه الأيوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، ص٦٥-٦٦.

(٢٠٧) العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص١٢٥.

(٢٠٨) عن سقوط تلك القلاع انظر بالتفصيل:

ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨٠، ص٩٣، ص٩٧، وما بعدها، العماد الاصفهاني، المصدر نفسه، ص١٢٥، ٢٤٢-٢٤٣، ص٢٥٨ وما بعدها، ابن الأثير، الكامل، جـ١٢، ص٣، ص١٧، ص٢٣، وما بعدها، ملكوم ليونز وجاكسون، صلاح الدين، ت. علي ماضي، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص٣١٣، ستانلي لين بول، صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس، ت. فاروق ابو

جابر، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٢٠١، عبدالعزيز سيد الاهل، ايام صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٦١، ص٢٠١.

(٢٠٩) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٣٢٥، بيبرس الدوادار، التحفة الملوكية، ورقة (٢٠)، عاشور، المماليك داوية الاسلام، ص٥٧.

(٢١٠) ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، جـ١، ق٢، ص٢٦٢؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٥١.

(٢١١) ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ص٢٩٨،

Rochricht,"Etude sur les derniers Temps de Royaume de Jerusalem, les combates de Sultan Bibars Contre les Chretiens en Syrie", AOL,II, p.390-391.

(٢١٢) ابن شداد الحلبي، الاعلاق الخطيرة، حـ٢، ص١١٧، المغربي، الظاهر بيبرس، مجلة المجمع العلمي بدمشق، م(٢١)، حـ(٥)،(٦)، لعام ١٩٤٦م، ص٢٣٥.

(٢١٣) ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ص٢٥١، ابن بهادر، فتوح النصر، ورقة (١٠٩).

(٢١٤) ابن عبدالظاهر، المصدر السابق، ص٣٧٥.

(٢١٥) يلاحظ أنه ليس صحيحاً ما ذهب إليه الباحث ابراهيم خميس عندما ذكر أن ابن شاكر الكتبي ويسميه المؤرخ الكتبي قد انفرد بذكر تفاصيل استرداد الظاهر بيبرس لقلعة الداوية في صفد في عام ٦٦٤هـ/١٢٦٦م والحقيقة ان هذا القول ينطوي على مبالغة واضحة فهناك من المؤرخين المعاصرين للحادثة من قدم لنا تناولاً مفصلاً لذلك ولا نغفل ان ابن شاكر الكتبي لم يكن معاصراً لذلك الحدث فقد توفي عام ٧٦٤هـ/١٣٦٢م اي بعد نحو سبعين عاماً من وقوعه ولكن هناك من المؤرخين المعاصرين من تفوق عليه في تناول الحادثة مثل ابن عبدالظاهر رئيس ديوان الانشاء في عهد الظاهر بيبرس في كتابه الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر وكذلك عز الدين بن شداد الحلبي في كتابه الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة وامام غزارة المادة التاريخية التي نجدها في هذين المصدرين المعاصرين الهامين اجدني لا اتفق في مبالغتهم بشأن قيمة النصوص التي قدمها ابن شاكر الكتبي وذلك بعد اطلاعي عليها في مخطوطته "عيون التواريخ" وحتى اشارات المخطوطة عن صراع بيبرس البندقداري مع الداوية لاتقارن بالمصادر المعاصرة، انظر: ابراهيم خميس، العلاقات السياسية، ص٣١.

(٢١٦) King, The knights·Hospitallers, p.261

يوسف الدبس، تاريخ سوريا، جـ٦، ص٢٨٧.

(٢١٧) Ibid, 261

(٢١٨) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٢٦١.

(٢١٩) نفسه، نفس المصدر، ص ٢٦٢.

(٢٢٠) نفسه، نفس المصدر والصفحة.

(٢٢١) انظر الحادثة في النقش الذي تركه بيبرس على جدار القلعة يخلد حادثة اسقاطها في القسم الخاص بالملاحق. عن موقف بيرس عن حامية القلعة انظر: ابن شداد الحلبي، الاعلاق الخطيرة، جـ٢، ص١٤٩، مفضل بن أبي الفضائل، النهج السديد، ص٤٩٠، ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٤٧، ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، حـ(٢)، ورقة (٢٧٠)، (٢٧٢)، شيخ الربوة، مجلة الدهر، ص٢١٠، المقريزي، السلوك، جـ١، ق١، ص٥٤٣، ابن الشحنة، روضة المناظر، ص١٣٢.

(٢٢٢) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص٨٦، ابن حبيب، تذكرة النبية، ص٩٦.

(٢٢٣) ابو الفرج العشي، آثارنا في الاقليم السوري، ص ٩٤.

(٢٢٤) ابن حبيب، المصدر نفسه، ص٩٦.

(٢٢٥) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، جـ٤، ص٢٦.

(٢٢٦) عبدالرحمن زكي، العمارة العسكرية، ص١٣١، حاشية (٣).

الفصل الثالث

الدور الحربي للتنظيمات الدينية الحربية
في بلاد الشام ومصر

يمثل الدور الحربي الذي لعبته التنظيمات الدينية المسيحية في بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية جانباً هاماً من تاريخ المملكة اللاتينية في الشرق، فلأمد طويل صار الدفاع عن الوجود اللاتيني بأسره مرتبطاً بتلك التنظيمات، الأمر الذي جعلها تحتل ثقلاً مؤثراً في كيان الجيش الصليبي المقاتل للجيوش الاسلامية، وَمثَّلُ ذلك الدور الخطير الذي لعبته جعل بعض المؤرخين ينظرون إليها من خلال تاريخ المملكة الصليبية فيجدون ارتباطاً وثيقاً بين الجانبين، فلم يوجد- تقريباً- حدث تاريخي هام ارتبط بالوجود الصليبي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني والثالث عشر الميلاديين، إلا ونجد ان تلك التنظيمات قد أسهمت في الجانب الحربي فيه، وهذا الأمر جعل المؤرخين يدركون أهمية ذلك الدور فنجد أن آرشر يرى "ان تاريخ المستعمرات اللاتينية في الشرق هو في الحقيقة تاريخ فرسان المستشفى (الاسبتارية)، وفرسان المعبد (الداوية)"[1] مع النظر بطبيعة الحال إلى ذلك الدور الذي لعبته التنظيمات الأخرى خلال الصراع الإسلامي الصليبي، بالاضافة إلى كافة القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية الفاعلة الأخرى في تاريخ الصليبيين في المنطقة.

وقد اتفقت المصادر التاريخية اللاتينية والعربية على تحديد أهمية الدور الحربي الذي قامت به تلك التنظيمات، ففي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي كانت تشارك في الدفاع عن بعض المناطق والمدن الخاضعة للسيادة الصليبية مثل الكرك في عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م، وبانياس في عام ٥٥٢هـ/١١٥٣م، وصيدا في عام ٥٥٨هـ/١١٦٢م، وعسقلان في عام ٥٧٣هـ/١١٧٧م،[2] فكانت القوة الحربية للمملكة تتمثل حقاً في تلك التنظيمات[3] ولم تكن أهميتها مقصورة على حراسة القلاع الصليبية الكبرى بل انها اخذت على عاتقها ايضاً حراسة قطاعات من أسوار المدن[4] وكما يرى لامونت: ان التنظيمات كان في وسعها أن تكون جيشاً وافر العدد مثله في ذلك مثل جيش مملكة بيت المقدس مع ملاحظة عدم تماثل أعداد الجيشين بطبيعة الحال، وقد أبقى كل تنظيم على نحو ثلاثمائة مقاتل تحت السلاح في المملكة[5] واحتلوا في المعارك التي خاضوها ضد المسلمين أكثر المواقع الحربية خطورة[6] ونجد أن مؤرخاً آخر يرى أهمية الدور الحربي الذي قامت به تلك التنظيمات على اعتبار أنهم سدوا حاجة سياسية هامة، اذ كان الشرق اللاتيني في حالة قصور مستمر في الجند وفي القوة البشرية[7] ورأى ايضاً أنها قدمت للملكة دعماً ثابتاً ومتواصلاً من الجنود المخلصين الذين لم يكن الملك الصليبي يتكلف نفقات مادية لتكوينهم وإعدادهم بل انهم كانوا على درجة كبيرة من الثراء لكي يبتنوا ويمتلكوا القلاع الحربية والحصون.[8]

وتقدم المصادر اللاتينية سواء فيما كتبه الرحالة أو المؤرخون اللاتين اشارات هامة بشأن الدور

الحربي الذي قامت به، فيورد لنا أحد الحجاج اللاتين المجهولين ما يفيد بأن فرسان الداوية عندما كان يصل إلى علمهم أمر الحرب فانهم يذهبون في هدوء ويكون هجومهم الأول هو الهجوم الأكثر رعباً وفزعاً لأعدائهم (المسلمين) وعند الحرب نجدهم أول من يتقدم للنزال وعند الانسحاب كانوا آخر من ينسحب ونجدهم في انتظار أوامر وتعليمات مقدمهم من أجل إطاعتها وتنفيذها [٩] واختتم اشارته بقوله بشأن قدرتهم الحربية بأنهم اكفاء إلى درجة بالغة، وذكر أنه في ساحة القتال كان الداوية يقاتلون في الجناح الأيمن، والاسبتارية في الجناح الأيسر[١٠] ويبدو الجانب الدعائي واضحاً في مثل تلك العبارات، بينما اثبتت الأيام لتلك العناصر الحربية الصليبية أن اعداءهم المسلمين سببوا لهم رعباً متوازياً لا يستهان به، أما يعقوب (جاك) الڤيتري فإنه يورد لنا نصاً هاماً عنهم -وان غلبت عليه روح المبالغة- حيث يشير فيه إلى حجم الرعب الكبير الذي يبعثه الرهبان الفرسان خاصة الداوية في نفوس أعدائهم، وفي ميدان القتال كانوا جنوداً شرسين، وفي الكنائس كانوا أشبه بالنساك والمتبتلين أو الرهبان، لقد كانوا متوحشين بالنسبة لأعداء المسيح لكنهم عطوفون بالنسبة لتعاملهم مع المسيحيين.[١١]

أما إذا نظرنا إلى المؤرخين المسلمين فنجد أنهم أدركوا قوة شأن تلك التنظيمات الدينية المسيحية في مواجهتها للمسلمين في ساحات الوغى، ويقرر العثماني قاضي قضاة صفد ان الداوية.. مُعَدّونَ للغارات على البلدان، تصل غاراتهم من جهة دمشق إلى داريا وما يليها ومن بيت المقدس إلى كرك وما يليها.[١٢]

ومهما يكن من أمر فربما تكون أولى المعارك التي خاض غمارها أولئك الرهبان الفرسان في بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية معركة حصن الأتارب[١٣] في عهد الأتابك عماد الدين زنكي، فلدينا إشارة هامة وردت عند ابن الاثير تؤكد اشتراك التنظيمات الدينية خاصة الداوية في تلك المعركة، ويبدو أن حصن الأتارب كان قد شكل خطراً داهماً على أعمال بلاد الشام الشمالية، وخاصة في حلب، وقد اتخذه الصليبيون قاعدة لهم من أجل مهاجمة المدينة وسلب مواردها الاقتصادية.[١٤]

ومن خلال وصف المصادر التاريخية العربية ندرك أن الصليبيين في إمارة انطاكية انتهزوا قرب الحصن من مدينة حلب لتدمير مواردها الاقتصادية وتخريبها تماماً خاصة الموارد الزراعية على نحو يؤدي بالضرورة إلى اضطراب اقتصادي، وسياسي على نحو أو آخر داخل مدينة حلب ولضمان تحقيق ذلك الهدف فإن غاراتهم تواصلت على المدينة بل وصل الأمر انهم كانوا يقاسمون حلب؛ على جميع اعمالها الغربية حتى على رحى لأهلها كانت تقع بين الجانبين،[١٥] ووصف ابن الأثير الحصن بأنه كان من المسلمين في نحورهم.[١٦]

وفي خلال أحداث معركة حصن الأتارب التقت قوات الزنكيين مع الجيش الصليبي وأشار المؤرخ نفسه إلى موقف الصليبيين وقواتهم المشتركة في المعركة بقوله " صال ملوكهم وقمامصتهم وفرسانهم وداويتهم وقاتلوا من آيس من النجاة بالانهزام "[١٧] ولكن المسلمين تمكنوا من الحاق الهزيمة بهم.[١٨]

وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وقوع ذلك الصدام، وتراوحت الآراء بين أعوام ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م،[١٩] ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م،[٢٠] ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م[٢١] ومن المحتمل أن يكون عام ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م

أقرب التواريخ إلى الحقيقة اعتماداً على نصوص ابن الأثير -المؤرخ الحجة في تاريخ دولة اتابكة الموصل الزنكيين- ثم مشاركة أغلب المؤرخين لذلك التحديد الزمني.

ومن ناحية أخرى، نجد دوراً للتنظيمات الدينية المسيحية على وجه خاص فرسان الداوية في خلال احداث محاولة جوسلين الثاني استرداد مدينة الرها بعد أن تمكن عماد الدين زنكي من انتزاعها من قبضة الصليبيين في عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م ويلقى المؤرخ ميشيل السرياني أضواء هامة على هذا الدور، ذلك أن عماد الدين زنكي كان قد بدأ في حصار الرها وعلى الرغم من أن مملكة بيت المقدس ارسلت قواتها لمساعدة جوسلين فان المدينة سقطت في أيدي المسلمين في جمادى الآخر ٥٣٩هـ/ ديسمبر ١١٤٤م، وتجدد الأمل في نفس جوسلين مرة أخرى لانتزاع المدينة من أعدائه عندما توفي زنكي فجأة في عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م وتقسم ملكه بين أولاده قطب الدين مودود، وسيف الدين ايلغازي، ونور الدين محمود، وكان زنكي قد ترك في الرها قوة حربية من الجند الأتراك، وبدأ العنصر الأرميني في التخطيط لطرد الأتراك من المدينة واعادة امير الرها اليها.

وتوضح المصادر العربية أن جوسلين الثاني قد راسل اهل الرها وكان عامتهم من الأرمن وواعدهم يوماً يصل إليهم فأجابوه إلى ذلك،[٢٢] ويذكر ابن القلانسي أنه قصد الرها على حين غفلة بموافقة من النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها وقتل من فيها من المسلمين،[٢٣] وقد اشترك في تلك العملية الحربية جوسلين الثاني وبلدوين أمير مرعش وطلب الاثنان الدعم والعون الحربي من جانب رايموند امير طرابلس، وفي الوقت نفسه قدم نور الدين محمود من حلب ووقع الصدام بين الجانبين، وحاول جوسلين ومن معه من قوات صليبية من ضمنها فرسان الداوية الاستمرار في القتال دون جدوى حيث لحقت بهم الهزيمة وهرب جوسلين إلى سميساط.[٢٤]

ويلاحظ أن هناك بعض النتائج الهامة التي يمكن أن ندركها من خلال اشتراك فرسان التنظيمات الدينية المسيحية في صورة الداوية في معركة حصن الأثارب عام ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م ومحاولة جوسلين الثاني استرداد الرها عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م ذلك أن تلك التنظيمات اشتركت بقواتها وفرقها العسكرية ضمن قوات مملكة بيت المقدس الصليبية في معارك حربية كبيرة ضد قوات المسلمين، وتتضح أهمية الإشارة السابقة من خلال أنه لفترة ساد الاعتقاد بين بعض الباحثين بأن أول ظهور للتنظيمات الدينية المسيحية كان في مرحلة تالية على تلك الأحداث، فتصور أحد الباحثين أن الصدام الأول الذي اشترك فيه الداوية قد وقع في صورة معركة حربية جرت عند مدينة بزاغة في شمال الشام في عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م[٢٥] واعتقد آخر أنه لم يكن قبل عام ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م دور حربي لعناصر الداوية في المشروعات الحربية لمملكة بيت المقدس،[٢٦] كذلك رأت إحدى الباحثات أن أول ظهور للتنظيمات الدينية كقوة عسكرية لها مكانتها بين أمراء ونبلاء الصليبيين قد حدث من خلال مجلس الحرب الذي عقد في مدينة عكا تمهيداً للحملة الصليبية الثانية،[٢٧] غير أنه من الواضح من خلال الإشارات الصريحة للمصادر العربية والأرمينية أن ذلك الدور يعود إلى مطلع الثلاثينات من القرن الثاني عشر الميلادي، وقد تم تدعيمه على امتداد تاريخ الوجود الصليبي في الشام.

وقد شهدت احداث الحملة الصليبية الثانية دوراً حربياً لفرسان الاسبتارية والداوية حيث اجتمع مقدمو التنظيمين مع الملك الفرنسي لويس السابع وملك المانيا كونراد الثالث في خلال الاجتماع الذي عقد في مدينة عكا في عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م[٢٨] وكان مقدم الاسبتارية حينذاك هو رايموند دي بوي ومقدم الداوية هو ايفرار دي باري وكان قد انتخب حديثاً في منصب المقدم.[٢٩]

وقد قام الداوية بإقراض الملك الفرنسي لويس السابع ألفين من القطع الفضية ونحو ثلاثين الفاً من السوليد Solds وقد أرسل إلى اتباعه في فرنسا يطلب منهم سرعة تسديد هذا المبلغ للداوية[٣٠] وبذلك يكون ذلك التنظيم قد قام بدوره في الدعم المالي للنشاط الصليبي حينذاك وربما تكون هذه الحادثة بمثابة الاشارة المبكرة على نمو الداوية من الناحية المالية حتى صارت فيما بعد من أكبر المراكز المصرفية في القارة الأوروبية بأسرها.

ويذهب أحد الباحثين إلى القول بأن فرسان الداوية قد شاركوا في مواجهة الهجوم السلجوقي الذي شنه السلاجقة على قوات الملك الفرنسي خلال عبورها لآسيا الصغرى،[٣١] معتمداً في ذلك على وليم الصوري ولكن بالرجوع إلى الأخير في تاريخه تبين أنه لم يذكر قط اشتراكهم في خلال ذلك الصدام مع السلاجقة.

وقد وصل فرسان التنظيم السابق إلى الأرض المقدسة في خلال عام ٥٤٢-٥٤٣هـ/١١٤٧-١١٤٨م[٣٢] مدعمين عناصر التنظيمات الدينية المسيحية ونشاطهم في بلاد الشام.

وتوضح المصادر العربية أن الصليبيين عملوا على حصار مدينة دمشق لكن المدينة صمدت في مواجهة الحصار واستطاع أهلها صد هجماتهم على أسوارها،[٣٣] وقد اضطر المهاجمون إلى أن يغيروا موقع معسكرهم من الغوطة إلى شرق دمشق، وكان ذلك من أسوأ القرارات العسكرية التي اتخذت في خلال أحداث الحملة الصليبية الثانية إن لم يكن من أسوأ القرارات على امتداد العمليات العسكرية الصليبية في بلاد الشام، إذ في حالة تمكن الصليبيون من اسقاط دمشق اثناء تلك الأحداث لتغيرت موازين قوى الصراع إلى امد بعيد لصالح اعداء المسلمين، غير أن الموقع الجديد لم يكن يتوافر فيه المياه اللازمة لتموين الجيش الصليبي فضلاً عن مناعة اسوار المدينة المحاصرة في تلك المنطقة[٣٤] ومع الامدادات العسكرية التي أرسلها الملك العادل نور الدين محمود اضطر الصليبيون إلى الانسحاب بعد فشل مشروعهم الحربي ضد دمشق.

ويتجه المؤرخ وليم الصوري إلى ارجاع مسئولية فشل الحملة إلى الأمراء الصليبيين وهم وحدهم يشتركون مشاركة مباشرة في أمر فشل النشاط الصليبي الموجه حينذاك صوب مدينة دمشق عاصمة الشام فيما يتصل بنقل المعسكر الصليبي إلى الموقع الجديد ويوجه اللوم على وجه الخصوص إلى رايموند امير طرابلس، وكذلك إلى أمير فلاندرز وتتحمل الداوية جانباً من المسئولية[٣٥] ولم يحدد أية اتهامات مالية اتصلت بمسلكهم حينذاك، ومع ذلك فاننا نجد أن الرحالة الألماني يوحنا ڤورزبورج يقول ما نصه "أنه لا يعرف ما اذا كان ذلك صدقاً ام كذباً، ذلك انه سمع أن الداوية قد تلقوا رشوة من جانب المسلمين لكي يجعلوا الملك الألماني كونراد يرفع الحصار عن مدينة دمشق في الحملة الصليبية

الثانية في يونيو ١١٤٨م ".[٣٦]

ويلاحظ أن تاريخ الملكة اللاتينية في بيت المقدس قد أثبت في المراحل التاريخية التالية أن هيئة الداوية كانت تفضل مصلحتها الخاصة دون النظر إلى الاعتبارات المتصلة بالصالح الصليبي العام وأنها ارتبطت بالمال والجشع البالغ في جمعه واكتنازه بوسائل شتى وذلك باعتراف المؤرخين اللاتين انفسهم، ومن ناحية أخرى فإن ذلك الرحالة وهو الذي قام برحلته إلى المحارم المسيحية المقدسة فيما بين عامي ٥٥٥-٥٦٦هـ/ ١١٦٠-١١٧٠م أي بعد ما يقرب من العشرين عاماً من وقوع أحداث الحملة الصليبية الثانية وإيراده لمسئولية الداوية وتحالفها مع المسلمين وحصولها على الرشوة على الرغم من طول تلك المدة -يدل على أن عامة الصليبيين اعتقدوا بالفعل بأن الداوية تتحمل جانباً من المسئولية في خيانة قضية الصليبيين في صراعهم مع المسلمين حينذاك بحيث أن يوحنا ڤورزبورج عندما حج إلى الأرض المقدسة وجد ذلك الرأي سائداً فأورده في رحلته على هذا النحو الصريح والواضح.

وقد ظهر لعناصر الاسبتارية والداوية دور هام في خلال حصار واسقاط مدينة عسقلان،[٣٧] ففي عهد الملك الصليبي الطموح بلدوين الثالث (٥٣٩-٥٦١هـ/ ١١٤٤-١١٦٥م) كانت الظروف السياسية التي أحطات بالخلافة الفاطمية من تسلط الوزراء على الخلفاء وضعف الخلافة بصفة عامة وعجزها عن مواجهة الخلافات الداخلية لها كل ذلك جعلها عاجزة عن مواجهة الخطر الصليبي المجاور لها، وقد سعى بلدوين الثالث إلى توطيد نفوذ مملكته من جهة الجنوب حيث الحدود المصرية الفاطمية مع الصليبيين، وقد قرر أن ينهي ويحسم لصالح الأخيرين مشكلة عسقلان التي أرّقتْ المملكة ومثلت تهديداً قائماً للمملكة اللاتينية من الحد الجنوبي لها،[٣٨] وكانت الخلافة الفاطمية تمدها بالإمدادات الحربية كل ستة أشهر[٣٩] واعتبرت عسقلان مركزاً لشن الهجمات على مناطق الخليل، وبيت لحم، والرملة، ويافا، وعن طريقها يمكن فصل بيت المقدس عن الساحل،[٤٠] ويصف أحد المؤرخين الحديثين أهميتها الاستراتيجية بقوله: "كانت عسقلان نقطة عسكرية أمامية، ومركزاً متقدماً يسمح بتركيز الامدادات والقوات في قاعدة ممتازة عبر الصحراء"،[٤١] ثم أنها كانت قاعدة بحرية هامة للأسطول الفاطمي على ساحل الشام.[٤٢]

ومن الطبيعي أن اشتراك التنظيمات الدينية المسيحية في عمليات حصار واسقاط عسقلان قد استمد أهميته من خلال أهمية المدينة العسكرية، ودورها خلال أحداث الصراع الإسلامي الصليبي، خاصة خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

وقد كانت عناصر الرهبان الفرسان التابعة لتلك التنظيمات ضمن الجيش الصليبي الذي احتوى ايضاً على الأمراء والبارونات الصليبيين، وعلى رأسهم الملك بلدوين الثالث،[٤٣] وقد قام الصليبيون بفرض الحصار على عسقلان وقد استمر لمدة سبعة اشهر، ويبدو أن الجيش الصليبي قد تدعمت صفوفه نتيجة انضمام عناصر من الحجاج اللاتين إليه،[٤٤] وفي خلال الأحداث التي وقعت عند أسوار المدينة تم إحداث ثلمة في الحوائط عن طريق آلات الحصار الضخمة، وانهار أحد الأبراج، وتمكن مقدم الداوية ومعه أربعون فارساً من فرسان التنظيم من دخول عسقلان عبر تلك الفجوة، وعندئذ شن المسلمون

المدافعون عنها هجوماً مباغتاً أصابهم جميعاً بالقتل، والذبح، وتم إلقاء جثث القتلى من المهاجمين من فرسان الداوية من فوق أسوار المدينة على المعسكر الصليبي،(٤٥) وذلك لإشاعة الاحباط واليأس في صفوف عناصر ذلك المعسكر المعادي حيث عرف ذلك العصر ظاهرة الحرب النفسية في عدد من المواقف.

ويبدو أن تلك الأحداث وغيرها وطول مدة الحصار دون تحقيق انتصار عسكري حاسم يعقبه تفوق سياسي واضح للمملكة اللاتينية، ثم النفقات التي انفقها الصليبيون لتموين الاستمرار في حصار عسقلان، كل ذلك قد دفع الملك الصليبي بلدوين الثالث إلى التفكير الجدي في الانسحاب والعودة إلى بيت المقدس، ويعيد الكرة فيما بعد محاصراً وغازياً لها في خلال ظروف عسكرية وسياسية أفضل، وهنا تقرر المصادر اللاتينية ان مقدم تنظيم الاسبتارية رايموند دي بوي قد قام بدوره في سبيل اقناع الملك بضرورة الاستمرار في العمليات العسكرية، وبالفعل فقد استجاب لذلك وقرر مواصلة الحصار.(٤٦)

ومع ذلك فقد تدعم موقف الصليبيين عندما شب النزاع بين ابناء المدينة لخلافهم حول من صاحب الفضل في صد الهجوم الصليبي السابق؟ فأرجع كل فريق الدور الدفاعي لنفسه(٤٧) منكراً حق الفريق الآخر وقد وجدت بعض المحاولات الفاطمية لانقاذ المدينة دون جدوى بل كان مصيرها نفس مصير العديد من المدن الشامية الساحلية التي كانت في حوزة الفواطم من قبل وسيطر عليها الصليبيون، وبالفعل فان عسقلان سقطت في ٢٧ جمادى الأولى ٥٤٨هـ/ ١٢ أغسطس ١١٥٣م(٤٨) ومن بعد سقوطها اظهر تنظيم الداوية الجشع المادي الذي أشار إليه وليم الصوري نفسه فقد حرص مقدم التنظيم على أن يقتحم فرسانه المدينة دون غيرهم من أجل كسب الوفرة الوفيرة من الأسلاب(٤٩) دعماً لثرواتهم وتراثهم الذي عرف عنهم.

ويلاحظ أن التنظيمات الدينية المسيحية قد حققت العديد من المكاسب الهامة من وراء اشتراكها في حصار واسقاط المدينة فإذا كانت المملكة اللاتينية قد حققت العديد من الامتيازات السياسية والعسكرية، فإن تلك التنظيمات هي الأخرى قد اكتسبت ثقة ملوك الصليبيين بوصفها قوة حربية فعالة لها شأن وأي شأن في مجريات الصراع الحربي الإسلامي الصليبي.

ومن الممكن إدراك أهمية اشتراك الاسبتارية والداوية في ظروف احداث سقوط عسقلان من خلال تناول أهمية ذلك الحدث التاريخي الهام، فيقرر الباحثون أن بسقوطها سقطت آخر القلاع الفاطمية في الشام(٥٠) وامتدت السيادة الصليبية على الساحل القائم من الاسكندرونة شمالاً إلى غزة جنوباً على امتداد نحو اربعمائة ميل من المناطق الساحلية،(٥١) وقد أدى ذلك بدوره أن أوجد اتصالاً في الحدود الساحلية للمملكة اللاتينية وصارت أملاك الصليبيين تمتد إلى صحراء النقب(٥٢) ويعلق احد الباحثين على ذلك بقوله أنه بذلك يكون غزو فلسطين قد اكتمل، وصار الانتصار الذي أحرزه الصليبيون في الجنوب يتعادل مع هزائمهم تجاه الملك العادل نور الدين محمود في الشمال، ودل ذلك على نجاح السياسة التي اتبعها ملوك مملكة بيت المقدس تجاه الحدود الجنوبية من المملكة(٥٣) كذلك فقد كان الاستيلاء على عسقلان يعتبر بحق آخر ما حققه ملوك بيت المقدس الصليبيين من انتصارات كبرى وبفضله ازدادت مكانتهم حيث ذاع نجاحهم هناك،(٥٤) وقد زادت قوتهم على أثر ذلك فعبر المؤرخون

المسلمون عن الموقف بقولهم إن بسقوطها قويت شوكة الافرنج[٥٥] اما المقريزي المؤرخ الحصيف فقد ربط في فطنة وذكاء بين ما حلّ بعسقلان، وبين ضعف الخلافة الفاطمية الداخلي، وظهور مظاهر الخور والانحلال فيها فقال " في عهد الظافر بأمر الله أخذت عسقلان فظهر الخلل في الدولة ".[٥٦]

وقد ظهر لفرسان التنظيمات الدينية المسيحية دور هام في معركة بانياس[٥٧] التي جرت أحداثها بين الملك العادل نور الدين محمود وبلدوين الثالث، وقد اشتركت فيها عناصر الاسبتارية والداوية ضمن صفوف الجيش الصليبي ومثلت واحدة من أهم المعارك التي شهدتها بلاد الشام حينذاك وقد اشتركت فيها هيئتا الاسبتارية والداوية بأعداد كبيرة من الفرسان.

وتبدأ ملابسات الصدام الحربي بين الطرفين عندما كانت هناك معاهدة مبرمة بين المسلمين والصليبيين لمدة عامين ثم من خلالها تحديد المناطق الخاضعة لكل طرف وفي عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م كان الرعاة المسلمون يقومون برعي أغنامهم في أمان مرتكنين إلى نصوص تلك المعاهدة على اعتقاد أن الصليبيين سوف يلتزمون بها، وذلك في المنطقة الواقعة في السهل المتواجد شمال بحيرة الحولة[٥٨] وقد فوجيء الرعاة بأن بلدوين الثالث والجيش الصليبي يشنون هجوماً كبيراً على المنطقة وأعملوا القتل في المسلمين ونهبوا وسبوا الكثيرين على حد تعبير احد المؤرخين،[٥٩] ويبدو أن بلدوين كان يطمع في الاستفادة من أهمية موقع بانياس الاستراتيجي المتميز، ويجعل من الاستيلاء عليها مقدمة لشن هجمات حربية موجهة لمدينة دمشق عاصمة الشام، وكذلك تخريب المناطق المجاورة لبحيرة الحولة ثم استغلال قطعان الماشية الوافرة في المنطقة وضمها ضمن الاسلاب والمغانم التي ينتزعها فرسانه من الرعاة المسلمين.

وعلى اثر نقض الهدنة من جانب الملك الصليبي علىٰ مثل هذا النحو السافر، قام الملك العادل نور الدين محمود بطلب الاجتماع مع امرائه وعساكره وتمكن من استدعاء أمراء النواحي الخاضعة له وتوجه إلى بعلبك ليرهب اميرها تحسباً لهجوم من جانب امارة طرابلس الصليبية ومملكة بيت المقدس، وكان الصليبيون قد أغاروا على نواحي حمص وحماة،[٦٠] ومعنى ذلك أن خلال تلك المرحلة تعرضت الأعمال الاسلامية للعديد من الهجمات، والإغارات الصليبية بهدف بعثرة قوى المسلمين عن مواجهة الهجوم الأساسي الموجه صوب بانياس وعندما أدرك الصليبيون خطورة تحركات نور الدين محمود اتجهوا إلى تجهيز قوات كبيرة العدد لمواجهته، وقد اشتركت التنظيمات الدينية المسيحية ممثلة في الاسبتارية والداوية بأعداد كبيرة من فرسانها ونجد أن ابن القلانسي وهو المؤرخ المعاصر لتلك الأحداث يقدر أعدادهم بقوله " سبعمائة فارس من أبطال الداوية والاسبتارية "،[٦١] ويذهب أحد المؤرخين الحديثين إلى تقدير عدد فرسان الداوية بنحو ثلاثمائة،[٦٢] غير أن مصدرنا المذكور لانجد فيه مثل هذا التحديد بل ان تقدير ابن القلانسي قد اشتمل على فرسان التنظيمين معاً، ومهما يكن من أمر فهذه كانت المرة الأولى –تقريباً– التي نجد فيها أحد المؤرخين المسلمين المعاصرين لتلك المرحلة يقدر فيها أعداد فرسان تلك التنظيمات وان دل اشتراكهم بتلك الأعداد الكبيرة على أنها القت بثقلها العسكري في مشروعات مملكة بيت المقدس الصليبية عند حدودها الشمالية مع أملاك نور الدين محمود.

وتذكر المصادر العربية أن الصليبيين قد أقاموا في قلعة الصبيبة وقد توالت الامدادات عليهم حيث امتلكوا حينذاك خطوط تموين جيدة متصلة بمراكزهم في الجليل الأعلى وقد عمل نور الدين من ناحية على تنظيم قواته وجعلها تحت قيادة أخيه الأمير نصرة الدين أمير ميران،[٦٣] وقد جرى الصدام بين الجيش النوري والصليبي في ٢٧ ربيع الأول عام ٥٥٢هـ/ ٢٦ ابريل عام ١١٥٧م،[٦٤] وأسفرت المعركة عن الحاق الهزيمة المنكرة بالصليبيين ثم اقتياد الأسرى والتشهير بهم في شوارع مدينة دمشق.

وبعد عدة أيام قليلة من المعركة السابقة قام الملك الصليبي على ما يبدو بإعادة الكرة ومعه قواته المشتركة في العمليات الحربية من أجل الاستيلاء على بانياس لكن المسلمين عملوا على تجهيز كمين لقوات الصليبيين عند بحيرة طبرية، وقد كانت المفاجأة كاملة بالنسبة للأخيرين الأمر الذي بعث الفوضى، والاضطراب في صفوفهم وأسفر ذلك عن قتل نحو ثلاثمائة من الداوية، وكذلك فإن مقدم التنظيم وقع في قبضة المسلمين أسيراً،[٦٥] وقد فر الكثيرون من الفرسان من الموت عن طريق الاستسلام لقوات المسلمين،[٦٦] ويوضح المؤرخ وليم الصوري في إشارة هامة له أن القتل والذبح كان من نصيب العديد من الفرسان الصليبيين[٦٧] وقد أكد أبو شامة في عبارة موجزة فداحة خسائر الصليبيين في المعركة بقوله "لم ينج منهم إلا القليل، وصاروا بأجمعهم بين قتيل، وجريح، ومسلوب، وأسير ".[٦٨]

وقد استغل نور الدين محمود ذلك الانتصار وزحف بقواته إلى بعلبك رغبة منه في استنزال بانياس وقد أبلغ وهونازل عليها بأخبار انتصار المسلمين في منطقة هونين ضد الصليبيين وقد تمكن بقواته من الاستيلاء على بانياس،[٦٩] ولكن الصليبيين وعلى رأسهم همفري الثاني امير بانياس تحصنوا في القلعة التابعة للمدينة، وعندما أدرك بلدوين الثالث أمر حصارهم اتجه إلى نجدتهم فرفع المسلمون الحصار عن القلعة.

وتفيد معركة بانياس بصفة خاصة في تاريخ التنظيمات الدينية المسيحية من أكثر من ناحية أولها: اننا نستطيع أن نعتبر منتصف القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي بداية لاشتراك تلك التنظيمات بأعداد كبيرة من فرسانها في المعارك التي خاضوا غمارها ضد المسلمين، وهذا يعني بالضرورة ازدياد اعتماد مملكة بيت المقدس اللاتينية على تلك العناصر، وان المقدمين حرصوا على تعويض حجم الخسائر البشرية في المعارك من خلال قبول متطوعين جدد من الغرب الأوروبي.

وقد ظهر دور حربي هام للتنظيمات الدينية المسيحية خلال حملات الملك عموري الأول أو أمالريك أومري[٧٠] -كما يرد في المصادر العربية- وقد مثلت حملاته على مصر حلقة هامة من تاريخ تلك التنظيمات حيث اختلفت نظرتها للوضع السياسي القائم في المنطقة، وظهر الاختلاف بين الاسبتارية من ناحية والداوية من ناحية أخرى فيما يتعلق بمساعدة الملك الصليبي في مشروعاته الحربية الطموحة على حساب مصر الفاطمية، وخلال تلك الأحداث تكرر ذكر اشتراك اعداد كبيرة من الرهبان الفرسان في معارك ذلك الملك الصليبي.

وقد اقترن بالملك عموري الأول اسم مقدم تنظيم الاسبتارية جيبرت داسيلي وكان قد انتخب عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م بوصفه قائداً لصور وكان واحداً من مساعدي الملك الصليبي في عام ٥٤١هـ/

١١٤٦م واعتبر واحداً من أكبر القادة الحربيين الصليبيين الذين انجبهم التنظيم[٧١] في الأرض المقدسة، وقد تزايد ارتباط ذلك المقدم بالملك عموري من خلال أن الأخير اعتمد اعتماداً اساسياً على التنظيمات الدينية المسيحية،[٧٢] وقد تمكن من اقناع عموري بتجهيز حملة صليبية ضد مصر وترى إحدى الباحثات أن من العوامل التي ساعدت تنظيم الاسبتارية على الإقدام على ذلك أنها امتلكت بعض القلاع الحربية بالقرب من الحدود مع مصر مثل قلعة بيت جبرين،[٧٣] ومع ذلك فان هذا لم يكن ليؤثر تأثيراً رئيساً في قبول التنظيم خوض غمار معارك جديدة بل ان العديد من الاعتبارات السياسية، والعسكرية، والرغبة في تكوين قوة منافسة لتنظيم الداوية من خلال دعم نشاط المملكة الحربي قد أدت دوراً أساسياً في التحالف الحربي مع عموري الأول، غير أن تنظيم الداوية رفض الاشتراك في تلك العمليات الحربية ضد مصر التي شاركت فيها عناصر الاسبتارية،[٧٤] وقد اعتبر احد المؤرخين هذا الموقف من الداوية بمثابة خسارة كبيرة لقوة الغزو الصليبي حينذاك.[٧٥]

ويلاحظ في خلال حملة الملك عموري على مصر عام ٥٦٣هـ/١١٦٧م أنه رحل إلى المملكة بعد أن فرض على مصر أتاوة بلغت نحو مائة الف دينار وقيل نحو المليون دينار وأن يتم دفع المائة الف مقدماً، اما العام التالي وهو ٥٦٤هـ/١١٦٨م فانه عقد معاهدة على جانب كبير من الأهمية مع تنظيم الاسبتارية تعهد فيها مقدم التنظيم جيبرت داسيلي بتقديم مبالغ وافرة من أجل تمويل النشاط الحربي من بنوك فلورنسا وجنوة،[٧٦] واتفق أيضاً على أن يقوم بتقديم عدد خمسمائة من الفرسان للملك الصليبي العدد نفسه من عناصر التركبولي،[٧٧] وفي مقابل ذلك الدعم الحربي الذي حرص التنظيم على تقديمه للصليبيين فان الملك عموري كافأه بأن قرر له في حالة نجاح المشروع الصليبي أن يعطيه مدينة بلبيس[٧٨] وما حولها، وكانت تلك المناطق كافية لأن تنتج سنوياً دخلاً يقدر بنحو مائة ألف بيزنت بالإضافة إلى منح التنظيم خمسين الفاً من البيزنت الاضافية، ونصت الاتفاقية على أحقية هيئة فرسان الاسبتارية في امتلاك العديد من المدن المصرية الأخرى مثل دمياط والاسكندرية،[٧٩] وقد تمكن الجيش الصليبي من الوصول إلى الحدود وتوجه صوب بلبيس واقتحمها وسار في اتجاه القاهرة وقد سلم الملك عموري الأول تنظيم الاسبتارية مدينة بلبيس وذلك تنفيذاً للاتفاق السابق بين الجانبين، وقد دخل الملك الصليبي في مفاوضات مع المصريين وتحرك الدمشقيون فأرسل الملك العادل نور الدين محمود، أسدالدين شيركوه ومعه ثمانية آلاف من المقاتلين، وعندما وصلت هذه الأنباء إلى عموري وما وجده من مقاومة في المدينة اتجه إلى رفع الحصار عنها وترك بلبيس تحت سيطرة عناصر فرسان الاسبتارية.[٨٠]

وبينما وقف تنظيم الاسبتارية إلى جانب الملك الصليبي في حملته عام ٥٦٣هـ/١١٦٨م[٨١] – والتي لم تكلل بالنجاح– فإن الداوية لم تقف إلى جانب المشروع الصليبي، أما تعليل ذلك فهناك عدة اعتبارات يمكن أن توضح الموقف فلا نغفل أمر المنافسة بين الاسبتارية من ناحية والداوية من ناحية أخرى، وقد أرادت كل قوة أن تستأسد في دعم مشروعات الصليبيين الحربية على حساب القوة المناوئة، وقد أدرك مقدم الداوية أن القيادة ستكون بأيدي الاسبتارية فأبى الاشتراك في حملات الملك عموري على مصر الفاطمية، ويضاف إلى ذلك أن العلاقات السياسية بين الداوية والملك الصليبي لم تكن على ما

يرام على ما يبدو حيث يورد لنا المؤرخ وليم الصوري إشارة هامة مؤداها أنه في عام ٥٦١هـ/ ١١٦٥م قامت عناصر من فرسان الداوية بتسليم كهف استراتيجي في منطقة ما وراء الأردن إلى القائد اسدالدين شيركوه، وقد حمل عموري مسئولية ذلك التهاون والاخفاق العسكري على كاهل اثني عشر فارساً من الفرسان التابعين للتنظيم وذلك على الرغم من أن اولئك الفرسان تمكنوا من أن يطلبوا الحصانة أو المناعة الكنسية.(٨٢)

وفي خلال أحداث حملة الملك عموري على مصر في عام ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م ظهر دور للداوية وان كان على المستوى السياسي والدبلوماسي وان لم يتطور هذا إلى مشاركة فعلية في ميادين القتال، ذلك أن الملك الصليبي ارسل مقدم الداوية وهو يومئذ اودو دي سانت اماد في بعثة دبلوماسية إلى مدينة القسطنطينية من أجل التفاوض مع الامبراطور عمانويل كومنين للمشاركة في المشروع الصليبي المرتقب وقد تم توقيع معاهدة بشأن المساعدة البيزنطية،(٨٣) واذا كان هذا هو دور المقدم إلا أنه لم يشترك مع الملك الصليبي في تحالف عسكري على غرار تحالفه مع الاسبتارية.

ومن ناحية أخرى، فإن التنظيمات الدينية المسيحية قامت بدور حربي له أهميته مع الفارس الصليبي رينالد شاتيون،(٨٤) في مشروعه الصليبي على المحارم الاسلامية المقدسة بغرض ضرب المسلمين في مقدساتهم وتحويل طريق تجارة آسيا عن طريق باب المندب ففي عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م عمل رينالد إرناط على تكوين اسطول من عدة سفن(٨٥) حملت اجزاؤها مفككة على ظهور الجمال حتى خليج العقبة حيث تم تركيبها وكذلك تجهيزها بالفرسان والآلات اللازمة وقد جعل اثنين من المراكب تجاه جزيرة القلعة (ايلة) من أجل ان يمنع أهلها من الحصول على حاجتهم من المياه،(٨٦) ثم قام بشن الغارات على ميناء عيذاب،(٨٧) وعندما علم السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي بذلك، أرسل إلى أخيه العادل يطلب منه مواجهة ذلك الموقف العصيب خاصة أنه كان في شغل شاغل من أمره بسبب قتاله للصليبيين في الشام وقد كلف العادل حسام الدين لؤلؤ قائد الأسطول الأيوبي أمر مواجهة مغامرة ارناط المتكررة(٨٨) وبالفعل تمكن من اللحاق بقوات الصليبيين ومعهم فرسان التنظيمات الدينية المسيحية فوقع بقواته عند رابغ بساحل الحجاز،(٨٩) ولم يكن بينه وبين بلوغ المدينة المنورة سوى مسيرة يوم واحد(٩٠) وقد تمكن ارناط من الفرار ومعه بعض قواته وان قُتل من الفرسان التابعين لتلك التنظيمات وأُسر العدد الكبير،(٩١) وقد تم تقديم بعضهم كأضحيات في منى في موسم الحج وتم التشهير بهم في مصر ولدينا وصف هام من جانب الرحالة ابن جبير لتلك الحادثة.

ولا مراء في أن اشتراك فرسان الاسبتارية والداوية في حملة ارناط على الحجاز دل على حقد التنظيمين الدفين على الإسلام ومحاربته في مقدساته، وقد أدى الحادث إلى رغبة السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى معاقبة أولئك الفرسان حتى الذين لم يشتركوا في تلك المغامرة الفاشلة، ولذا فإنه في خلال أحداث معركة حطين عاقبهم -على ما يبدو- على دورهم القتالي ضد المسلمين على امتداد المعارك بين الجانبين ثم لاشتراكهم على نحو خاص في تلك الحادثة.

ومن المعارك الهامة التي اشتركت فيها عناصر الفرسان التابعين للتنظيمات الدينية المسيحية معركة

عين كريسون[٩٢] التي جرت عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م وعُدّتْ مقدمة لمعركة حطين حيث وقعت أحداث الأخيرة بعدها بقليل، ويلاحظ أن السلطان صلاح الدين الأيوبي عندما عقد العزم على مهاجمة أملاك الصليبيين في داخل فلسطين اتجه إلى أن يستأذن الأمير الصليبي رايموند صاحب طرابلس من أجل المرور في المناطق الخاضعة لسيادته، حيث كان قد وقع هدنة معه وقد وافق على مطلبه هذا على أن تقوم القوات الأيوبية بالمرور بطبرية ولايكون ذلك في مدة زمنية تتجاوز الاثني عشرة ساعة وألا يصاحب مثل هذه التحركات أعمال تتصل بالسلب والنهب والتخريب.[٩٣]

وقد كان طبيعياً أن يقوم الأمير الصليبي باحاطة باقي أقرانه بتلك التطورات التي تمر بها مناطق نفوذه وبالفعل فانه اخبر التنظيمات الدينية المسيحية بأمر مرور قوات الأفضل بن صلاح الدين، وكان مع مقدم الداوية اكثر من سبعمائة من الفرسان بالاضافة إلى عدد من الاسبتارية[٩٤] وقد التقى الطرفان فانتصر المسلمون على فرسان التنظيمات الدينية المسيحية[٩٥] فكانت حقاً معركة عنيفة وصفها المؤرخ المعاصر ابن الأثير بقوله " جرت بينهم حرب تشيب لها المفارق السود " [٩٦] أما المؤرخ الحديث رنسيمان فقد وصفها بأنها كانت مذبحة بالنسبة لفرسان الداوية[٩٧] وعبر عنها مؤرخ آخر بقوله انها كانت معركة طاحنة.[٩٨]

ولدينا نص هام يورده يعقوب (جاك) الڤيتري يذكر فيه أن قوات المسلمين في المعركة كانت قد بلغت نحوعشرة آلاف من المقاتلين،[٩٩] غير أن هذا القول على ما يبدو يحوي مبالغة واضحة وربما كان عددهم أقل من ذلك بكثير ومن المحتمل أن يكون هدف المؤرخ المذكور وهو الذي تحمس للداوية تحمساً واضحاً -أن يبرر انكسارهم في عين كريسون بأن اعداد اعدائهم كانت تفوقهم وقد وجد من المؤرخين الحديثين من تصور أن اعداد القوات الأيوبية قد بلغت سبعةآلاف [١٠٠] وربما شايعوا في ذلك اتجاه المصادر اللاتينية التي كتبها مؤرخوها في القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي، وأرادوا من خلالها تبرير بعض هزائم الصليبيين الفادحة أمام قوات المسلمين المتحمسة لجهادهم ويضاف إلى ذلك أن طبيعة حملة الأفضل وأهدافها العسكرية المحدودة تتعارض مع الأرقام المبالغ فيها لأفراد تلك الحملة على ذلك النحو الذي وجدناه لدى يعقوب (جاك) الڤيتري.

وتبقى قضية هامة لاتزال موضعاً للجدل بين المؤرخين الحديثين نظراً لاختلاف نصوص المصادر التاريخية المعاصرة وهي تدورحول مصير مقدمي التنظيمين أي مقدم الاسبتارية ومقدم الداوية، فنجد أن العماد الأصفهاني قد ذهب إلى القول بأن مقدم الداوية قد هرب،[١٠١] اما ابن الأثير فقد ذكر ان مقدم الاسبتارية قد قتل،[١٠٢] وانتقل الأمر إلى المؤرخين الحديثين، فقد ذهب طرخان إلى تأييد رأي العماد الأصفهاني في قوله بأسر المقدم المذكور، أما مقدم الداوية فقد لاذ بالفرار،[١٠٣] بينما تصور نظير حسان سعداوي ان مقدم الاسبتارية قد مات وأفلت مقدم الداوية،[١٠٤] مشاركاً في ذلك ما ذهب إليه فولر،[١٠٥] ولم يشأ كنج أن يقطع بقول في الأمر وذكر أنه من المحتمل أن يكون مقدم الاسبتارية قد قتل،[١٠٦] أما عنان، فقد رأى أن مقدم الداوية قد قتل خلال المعركة الطاحنة في عين كريسون،[١٠٧] غير أن الرأي الأخير لا يقف على قدميه لأمر يسير وهو أن معركة عين كريسون كانت قبيل معركة حطين

وتصور أن مقدم الداوية كان مصيره القتل في المعركة الأولى يعني بالضرورة انه لم يشترك في حطين إلا إذا تم انتخاب مقدم آخر بدلاً منه أو تولى أمر منصبه نائب له وهو أمر لا تذكره المصادر فلا نعرف أن مقدم الداوية حينذاك قد تغير أو وجد من يتولى سلطاته بدلاً منه، وانفرد أحد الباحثين بالقول انه قد أسر وأن السلطان صلاح الدين الأيوبي قد أطلق سراحه فيما بعد،(١٠٨) وان لم يوضح الظروف والملابسات التي ارتبطت باطلاق سراحه، وهل كان ذلك قبل موقعة حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م بعد ذلك والواقع ان هذا القول لايجد أية مصادر تدعمه سواء العربية أو اللاتينية.

وأمام اختلاف المصادر العربية المعاصرة ممثلة في ما ألفه العماد الأصفهاني وابن الأثير فمن الطبيعي أن نتجه إلى المصادر اللاتينية من أجل توضيح الموقف ولدينا نص صريح يقدمه يعقوب (جاك) الڤيتري يذكر فيه صراحة ان مقدم الاسبتارية قد قتل وان مقدم الداوية قد تمكن من الفرار.(١٠٩)

ومع ذلك فينبغي الا نغفل، دور اولئك المقدمين وفرسانهم في أحداث المعركة، وقد أظهرت الداوية خلال احداثها حماساً زائداً في القتال،(١١٠) غير أن نتيجة المعركة اتت على غير ما اشتهى فرسان التنظيمات الدينية المسيحية.

كذلك فقد قامت تلك التنظيمات بدور حربي له أهميته خلال أحداث معركة حطين الحاسمة عام ٥٨٣/١١٨٧م، ويذكر الفارس أرنول ويعقوب (جاك) الڤيتري ان الاسبتارية والداوية اشتركوا في احداثها(١١) وعقب المعركة عمل السلطان صلاح الدين الأيوبي على قتل الأسرى من فرسان التنظيمين،(١١٢) وقد أقرت وقوع تلك الحادثة الهامة المصادر العربية المعاصرة واللاحقة، وكذلك المصادر اللاتينية ويلاحظ أنه اعفى مقدم الداوية من القتل وهو جيرارد اوف ريدفورت Gerard of Ridfort وذلك بناء على طلب شخصي من الملك جي لوزينيان،(١١٣) وقد جانب ابن العديم الصواب عندما اعتقد أن مقدم الداوية قتل ايضاً(١١٤) ومما يذكر ان السلطان الأيوبي كان يخير الفرسان بين اعتناق الاسلام أو القتل، ويلاحظ ان المصادر العربية المعاصرة واللاحقة لاتذكر مكان قتل الاسبتارية والداوية عقب المعركة بصورة دقيقة ولكن اعتماداً على المصادر اللاتينية امكن معرفة أن ذلك كان عند منطقة عرفت بجسر طبرية.(١١٥)

وقد عرض لتلك الحادثة المؤرخون الغربيون الحديثون من وجهة نظرهم، حيث وجد منهم من إعتبر أن فرسان الاسبتارية والداوية أبطال لقوا مصرعهم فداء لواجبهم في قتال المسلمين وعقيدتهم(١١٦) غير أن ستيڤنسون يقرر أن الحادثة نفسها لامجال لانكارها ولكنها لاتزال تحتاج إلى تعليل (١١٧) ويبدو أن هذا المؤرخ قد نسي أو تناسى الدور الحربي الذي قام به أولئك الفرسان ضد المسلمين طوال المرحلة السابقة وأنهم سعوا ما وسعهم السعي لمحاربة الإسلام وجنده بل وأقدس مقدساته وقد سبق أن اشتركوا في مغامرة الفارس الصليبي ارناط (رينالد شاتيون)، وقد أورد لنا أبو شامة تعليلاً منطقياً لذلك الموقف من السلطان الأيوبي حيث ذكر انهم كانوا أشد أهل الكفر وطأة على المسلمين وأنه لم تجر عادتهما بالمفاداة ولا يقلعان عن المعاداة ولا ينفعان في الأسر،(١١٨) ويقرر أحد الباحثين الغربيين الحديثين أن اولئك الفرسان كانوا في نظر صلاح الدين الأيوبي بمثابة الأعداء القساة ضد عقيدته وينبغي ألا

يجدوا شفقة أو رحمة من جانبه، ثم أنه لو أطلق سراحهم لعادوا لقتال المسلمين بنفس السياسة العدائية السابقة إن لم تكن أشد عنفا.[119] ويبدو أن هناك بعض المواقف التي واجهها المسلمون وأظهر فيها الصليبيون العودة إلى قتالهم بعد إطلاق سراحهم، ومثال ذلك ارناط نفسه الذي ظل اسيراً لديهم في المدة من ٥٥٥-٥٧٢هـ/ ١١٦٠-١١٧٦م وعندما تم اطلاق سراحه عاد لقتالهم على نحو أعنف وأشرس من قبل.

ولكن كيف نظر المؤرخون اللاتين لتلك الحادثة وتعليلهم للموقف الأيوبي؟ الواقع أنهم أدركوا هدف السلطان الأيوبي من ذلك، وحسبنا أن نذكر ان يعقوب (جاك) الفيتري رأى أن هدفه كان القضاء على التنظيمات الدينية المسيحية ممثلة حينذاك في الاسبتارية والداوية.[120]

وقد تركت الحادثة السابقة عدة نتائج هامة على مجريات الأحداث حينذاك، وكذلك في المرحلة المقبلة فبالنسبة لباقي عناصر الرهبان الفرسان من الاسبتارية والداوية امتلأت نفوسهم بالمرارة ضد السلطان الأيوبي وقواته، واعتبروا زملاءهم الذين سقطوا عند جسر طبرية بمثابة الابطال الصناديد الذين قتلوا دفاعاً عن عقيدتهم، ومن الممكن أن نتصور أن الدور الحربي الذي قام به عناصر التنظيمين قد ازداد وطأة بتأثير الحادثة السابقة، ومن الدلالات الهامة ان نلاحظ ان ذلك الموقف كان الأول من نوعه الذي تعرضت له التنظيمات الدينية المسيحية وان تكرر فيما بعد في عهود كل من السلطان الظاهر بيبرس البندقداري والسلطان الأشرف خليل بن قلاوون حيث تم القضاء على العديد من الأسرى من فرسان الاسبتارية والداوية.

ومهما يكن من أمر فإن السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد حطين تمكن من دخول مدينة بيت المقدس،[121] وقد عمل على تخريب بيت الداوية وما وجد فيه من تماثيل وايقونات وكانوا قد بنوا محراباً غربي المسجد الأقصى،[122] وان ابقى مستشفيات الاسبتارية في العمل الخيري والعلاجي.[123]

وقد كانت النتيجة المباشرة لسقوط مدينة بيت المقدس في أيدي المسلمين على التنظيمات الدينية المسيحية انتقال مركزهم من هناك إلى مدينة عكا الساحلية،[124] الأمر الذي هيأ لهم سرعة وصول الامدادات البحرية لفرسانهم، وكانت عكا من أحصن مدن الصليبيين واستمر ذلك الوضع حتى أخريات القرن السابع الهجري/القرن الثالث عشر الميلادي.

وقد قدر لفرسان الاسبتارية والداوية ان يشتركوا في أحداث حصار المسلمين لمدينة صور ومقاومة الصليبيين لذلك الحصار، وكان ذلك بمثابة أول عمل حربي يقومون به في أعقاب معركة حطين الحاسمة فبعدها شارك الرهبان الفرسان في الدفاع عن المدينة وساعدهم في ذلك ما عرف عنها من حصانة ومنعة طبيعية.[125]

وعندما قدمت الحملة الصليبية الثالثة إلى بلاد الشام شاركوا في أحداث حصار مدينة عكا[126] من جانب الصليبيين والذي شكل جانباً هاماً من وقائع الحملة ونشاطها الحربي بالنسبة للجانبين الاسلامي والصليبي، وقد ظهر الاسبتارية والداوية بآلات حصار تشابه تلك الآلات التي جلبها معه الملك الانجليزي ريتشارد قلب الأسد،[127] ويلاحظ أن الداوية كانوا مقربين من الملك ريتشارد، والمقدمين في مساعدته

خلال تلك العمليات الحربية.(١٢٨)

ومع ذلك فان تنظيم الاسبتارية قد احتفظ بعلاقات وطيدة معه ومن المحتمل انه بسبب النفوذ الشخصي للملك الانجليزي فإن مقدم الاسبتارية جرينيه دي نابلس Granier de Nablus، قد انتخب مقدماً للتنظيم وكان في انجلترا عندما وصلت إليه أخبار انتخابه مقدماً وعندما قدم إلى الشرق تقابل مع الملك ريتشارد وصار محلاً لمشورته وموضعاً لنصحه.(١٢٩)

ومن الأحداث الهامة التي جرت خلال العمليات الحربية التي قام بها الصليبيون بغرض اسقاط مدينة عكا، ذلك الهجوم الذي شنه فرسان الداوية وقد أشار إليه أمبروز وذكر أنهم خسروا فيه عدداً من القتلى،(١٣٠) وإذا كانت خسائر الصليبيين قد تزايدت في خلال مدة الحصار فإنه من المرجح أن نصيباً من تلك الزيادة في الخسائر البشرية قد لحقت أيضاً فرسان التنظيمات الدينية.

ويلاحظ أنه خلال تلك الأحداث أراد السلطان الأيوبي تضمين الداوية(١٣١) في ظروف التفاوض حول مصير الحامية المسلمة داخل المدينة، ولكن التنظيم رفض ذلك وانتهى الأمر باعدام ريتشارد لحامية المدينة.(١٣٢)

وخلال أحداث الحملة جرت معركة أرسوف،(١٣٣) التي وقعت احداثها في ١٤ شعبان ٥٨٧هـ/ ٧ سبتمبر١١٩١م،(١٣٤) وقد كان على رأس تنظيم الاسبتارية مقدمها جارنييه دي نابلس،(١٣٥) ويلاحظ أن الملك ريتشارد الأول عندما تقدم صوب يافا قاومته القوات الأيوبية، وكان الجيش الصليبي على مقربة من أرسوف عندما عمل صلاح الدين الأيوبي فجأة على أن يوجه الرماة الخيالة ضد مؤخرة الجيش الصليبي بغرض عزلها عن الجيش نفسه، وكانت تحوي عناصر فرسان الاسبتارية،(١٣٦) وتوضح المنظومة الشعرية التي ألفها امبروز وكذلك ما ألفه جود فري دي فينزوف ان اثنين من قادة الاسبتارية بادرا بالهجوم على المسلمين مخالفين بذلك تعليمات الملك الانجليزي الذي أراد أن يأخذوا جانب الدفاع والاحتياط في بداية الاصطدام،(١٣٧) ومن ثم كان عاملاً هاماً على بعث الاضطراب في صفوف الجيش الأيوبي على نحووصفه شاهد عيان هو القاضي بهاء الدين بن شداد،(١٣٨) وقد لعب الملك ريتشارد قلب الأسد دوراً هاماً في قيادة الجيش الصليبي في المعركة عقب هجوم الاسبتاريين وهكذا فبعد ان احاط المسلمون باعدائهم وكادوا أن ينالوا منهم على نحو ما حدث في واقعة حطين(١٣٩) تحولت المعركة على غير ما اشتهى المسلمون بل وصارت لصالح الصليبيين بفضل دور تنظيم الاسبتارية، وقد سقط عدد كبير من المسلمين في ساحة القتال وفق ما ذكره شاهد عيان مسلم معاصر(١٤٠) ومع ذلك فإن السلطان الأيوبي بذل غاية جهده في سبيل اعادة حشد قواته ضد أعدائه(١٤١) غير أن هجوم فرسان التنظيم كان قد حسم الأمر على ما يبدو لصالحهم.

أما بالنسبة للمصادر العربية ومدى عرضها لأحداث المعركة فهي لاتشير إلى دور الاسبتاريين في تحويل دفة الصدام لصالح الصليبيين وان اجمعت تلك المصادر على أن الهزيمة قد لحقت بالمسلمين،(١٤٢) وان انفرد الذهبي بالقول بعكس ذلك عندما أقر بأنه "انكسرت الفرنج"(١٤٣) غير أن هذا القول بالطبع لا تؤيده اية مصادر لاتينية أو عربية معاصرة أو لاحقة وقد اختلط الأمر على المؤرخ

بمعركة من المعارك التي دارت بين المسلمين والصليبيين وهزم فيها الأخيرون.

وقد مثلت معركة أرسوف حادثاً هاماً في تاريخ الصراع الإسلامي الصليبي حينذاك، ولاريب في أن اهمية اشتراك عناصر الاسبتارية والداوية تتجلى من خلال ابراز أهمية نتائج تلك المعركة.

ويوضح أحد الباحثين أن معركة أرسوف كان لها دورها في بعث الثقة في نفوس الصليبيين بعد هزائمهم الفادحة في حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م(١٤٤) وقد اعتبرها البعض من المواقع الحاسمة في تاريخ الحروب الصليبية وبالغوا في ذلك إلى حد بعيد، وهناك من اعتقد انها تعد نقطة تحول في تاريخ تلك الحروب لأنها تشير على حد قولهم إلى أن ميزان الحرب الذي كان منذ عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م في صالح المسلمين قد تحول بعد ارسوف لصالح الصليبيين(١٤٥) بينما خالف لامب ذلك القول فلم يعتقد بأن موقعة أرسوف كانت موقعة حاسمة وأن لم ينكر أهميتها وأن الصليبيين اثبتوا فيها ان بامكانهم تحت قيادة ريتشارد قلب الأسد من هزيمة المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي،(١٤٦) اما هانز ماير فقد نظر إلى الموقعة على اعتبار أنها قضت على أسطورة صلاح الدين وتفوقه الحربي(١٤٧) أما شارلز اومان فإنه ذهب إلى المبالغة في حجم النتائج العسكرية التي أحرزها الصليبيون عقب ارسوف فهو يرى أن تلك المعركة اعطت لهم كل الأراضي الساحلية الواقعة جنوبي فلسطين(١٤٨) وقد رفض جب تلك الفكرة على اعتبار أن قوات صلاح الدين الأيوبي كان بمقدورها العمل الحربي، وكانت لاتزال محتفظة بقوتها وتستطيع القيام بعملياتها الحربية ضد الصليبيين لمنعهم من القيام بعمليات حربية للتوسع على حسابهم خاصة في المناطق الساحلية.(١٤٩)

وقد وجد دور حربي هام لعناصر التنظيمات الدينية المسيحية في خلال أحداث الحملة الصليبية الخامسة وقاموا بدورهم في تعضيد ودعم المشروع الصليبي الذي ترأسه ملك مملكة بيت المقدس حنا دي برين John de Brienne (٦٠٧-٦٢٢هـ/ ١٢١٠-١٢٢٥م) في حملته على مصر(١٥٠) التي دعا إليها البابا هونوريوس الثالث HonoriousIII (٦١٣-٦١٤هـ/ ١٢١٦-١٢١٧م).

ومما يذكر أن الملك الصليبي قبل دعماً من جانب تنظيمات الاسبتارية والداوية(١٥١) وكذلك التيوتون(١٥٢) في خلال الاعداد للحملة، وقد قام البابا بدفع اموال طائلة لمساعدة الصليبيين وكانت مهمة فرسان الاسبتارية والداوية جمع المال اللازم لاحتياج المشروع الصليبي المرتقب،(١٥٣) وبالفعل فإنه بعد جمع الدعم المالي الذي أسهمت به القوى الصليبية قام مقدمو تلك التنظيمات وكبار القادة بتوزيع ذلك على أغراض الحملة المتعددة.(١٥٤)

وقد أعد الصليبيون عدتهم وتكامل عددهم فأبحروا وعلى رأسهم الملك الصليبي والأمراء ومقدمو تنظيمات الاسبتارية والداوية والتيوتون من ميناء عكا إلى مصر وبالتحديد دمياط.(١٥٥)

وفي خلال أحداث مهاجمة الصليبيين لدمياط أظهرت التنظيمات الدينية المسيحية قدرة مؤثرة في مجريات الصراع عند المسلمين وخاصة تنظيم الداوية والذي كان على رأسه مقدمة بطرس مونتاجو(١٥٦) Peter Montaigu (٦١٦-٦٣٠هـ/ ١٢١٩-١٢٣٢م) وقد اشتركت تلك التنظيمات في المعارك الحربية التي خاضوا غمارها بأسلحة ضخمة، فكان لها أثرها في ميدان القتال،(١٥٧) اما التيوتون، فمن

الأمور المقررة أن ذلك التنظيم لعب دوراً نشطاً من خلال الحملة، وربما نستدل على ذلك جزئياً من خلال الرجوع إلى وثائق المملكة اللاتينية ذاتها؛ فلدينا وثيقة على جانب كبير من الأهمية مؤرخة بعام ٦١٦هـ/ ١٢١٩م من جانب الملك الصليبي حنا دي برين إلى هرمان فون سالزا Herman Von Salza مقدم تنظيم التيوتون يؤكد فيها على تسليم نصيب كبير من الغنائم والأسلاب التي يتمكن الصليبيون من استلابها والاستيلاء عليها خلال الحملة الصليبية الخامسة على دمياط.[١٥٨]

وقد قاومت المدينة هجوم الصليبيين غير أنها سقطت أخيراً في أيديهم في ٢٥ شعبان عام ٦١٦هـ/ ٥ نوفمبر ١٢١٩م،[١٥٩] وقد كان فرسان الداوية في مقدمة القوات الصليبية التي تمكنت من اقتحام المدينة ودخولها، ولكن ما لبث النزاع أن نشب بين الصليبيين حول المغانم والأسلاب التي اغتنموها وفي هذه الأثناء ارسل البابا هونوريوسن الثالث خطاباً إلى مقدمي التنظيمات الدينية المسيحية يحثهم ويحضهم على نبذ الشقاق ورأب الصدع بينهم.[١٦٠]

ومن المعروف أن الأحداث لم تسر فيما بعد على ما اشتهى الصليبيون وفشل مشروعهم بل ووقع قادتهم في الأسر ومن بينهم مقدمو التنظيمات الدينية المسيحية،[١٦١] وعندما تم الاتفاق فيما بعد بين السلطان الكامل الأيوبي، والصليبيين تمردت تلك التنظيمات على الاتفاق،[١٦٢] غير أن ذلك التمرد لم يؤد بهم إلى نتيجة وانهاء الملك الصليبي.

اما بالنسبة للحملة الصليبية السادسة والتي حمل لواءها الامبراطور الألماني فردريك الثاني Frederich II (٥٩١-٦٤٨هـ/ ١١٩٤-١٢٥٠م) بعد منازعات متعددة مع البابوية فقد وقفت التنظيمات السابقة-باستثناء التيوتون- موقفاً سياسياً مناوئاً للامبراطور، فبالنسبة للداوية حدث نزاع بين الجانبين بشأن قلعة عثليث،[١٦٣] وقد ازداد عداء التنظيمات عقب توصل الامبراطور إلى عقد اتفاق مع الكامل الأيوبي في عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، حيث نص الاتفاق على أن يحصل الامبراطور على بيت المقدس من المسلمين ويبقيها على ماهي عليه من الخراب وأن يكون الحرم بما فيه الصخرة والمسجد الأقصى بأيدي المسلمين ولا يدخله أعداؤهم إلا بهدف الزيارة ويتولاه المسلمون، وأن تكون القرى الواقعة بين عكا ويافا وجبلة والقدس بأيدي الصليبيين دون ماعداها من قرى القدس.[١٦٤]

وقد نظر مقدمو الاسبتارية والداوية إلى هذا الاتفاق على أنه بلا قيمة ما دام الامبراطور قد طرده البابا من رحمة الكنيسة الكاثوليكية،[١٦٥] وقد أبلغ مقدم الاسبتارية بطرس مونتاجو ومقدم الداوية برتراند دي نيس بعدم رغبتها في العمل تحت لواء الامبراطور الألماني[١٦٦] وقد غضبت الداوية عليه بسبب انه سمح للمسلمين بالاحتفاظ بالمسجد الأقصى وكان مركزاً لهم،[١٦٧] وقد أشار مؤرخ معاصر هو سبط بن الجوزي إلى أن الداوية تآمرت على فردريك الثاني وأنه انتقل من بيت المقدس بعد زيارته إلى يافا خوفاً منهم ذلك انهم سعوا إلى قتله[١٦٨] وفي هذا دليل واضح على انحراف تلك التنظيمات عن الأهداف الدينية التي قامت من أجلها واخلاصها للصالح الصليبي العام، ويلاحظ أن بيت المقدس الذي احتوى على مقر الداوية لم يعد لهم حيث هاجمة الخوارزميون -فيما بعد- واستولوا على المدينة في أوائل صفر ٦٤٢هـ/ ١١ يوليو ١٢٤٤م.[١٦٩]

كذلك فقد شاركت التنظيمات الدينية المسيحية مشاركة فعالة في خلال أحداث معركة هربيا التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بظهور قوة الخوارزميين في منطقة الشرق الأدنى حينذاك، وكان الصالح نجم الدين أيوب قد استعان بهم في مواجهة القوى السياسية الإسلامية المناوئة له والتي كونت محوراً سياسياً وحربياً خطيراً تجاه مصر الأيوبية، الأمر الذي جر إلى الصدام الكبير الذي وقع بالقرب من غزة(١٧٠) عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م وقد اشتركت التنظيمات الدينية بكل ثقلها في تلك المعركة من أجل تدعيم الوجود الصليبي في بلاد الشام بصفة عامة وكذلك حلفائه في المنطقة وقد هدفت من وراء اشتراكها خاصة الداوية إلى العمل ضد مصر وأن تمد النفوذ المسيحي إلى منطقة المعبد في المدينة المقدسة والمكاسب السياسية التي تعود عليها من وراء التفوق الحربي في ذلك الصدام وربما طمعت الداوية ايضاً في بناء قلعة جديدة لحماية بيت المقدس(١٧١) بالإضافة إلى القلاع الأخرى التي سيطرت عليها حينذاك.

وفي تلك المعركة كان هناك التحالف المصري-الخوارزمي وعلى رأسه من الناحية الحربية الأمير ركن الدين بيبرس،(١٧٢) بينما كان على الجانب الآخر التحالف الشامي-الصليبي متمثلاً في الصالح اسماعيل صاحب دمشق والمنصور صاحب حلب ومن بين القوى الصليبية كانت هناك عناصر الاسبتارية والداوية(١٧٣) والتيوتون ويتضح من وصف المصادر العربية لتلك المعركة مدى ضخامة العتاد الحربي والتجهيزات الخاصة التي كانت للقوات المشتركة في القتال(١٧٤) وتقرر تلك المصادر أن التحالف الشامي الصليبي لقي هزيمة منكرة في خلال تلك المعركة، اما قوات التنظيمات الدينية فيقرر ابن العميد في نص هام " ثبتت الديوية والاسبتار قبالة العساكر المصرية والخوارزمية وقاتلوا إلى ان قتلوا جميعهم ولم يبق منهم إلا يسير وأسروهم وحملوهم إلى مصر ".(١٧٥)

ويذهب أحد الباحثين إلى القول بأن عدد فرسان الداوية الذين اشتركوا في المعركة قد بلغ سبعة وستين فارساً(١٧٦) غير أن هذا الرأي لا ينطبق على الحقيقة في شيء فمن غير المنطقي ان تشترك الداوية في معركة كبيرة بكافة المقاييس وفق ما توضحه المصادر العربية بمثل هذا العدد الهزيل من الفرسان فنحن الآن قرابة منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، بعد أن توطدت دعائم التنظيم وترسخ دوره الحربي في تاريخ الوجود اللاتيني في الشرق على امتداد المرحلة السابقة، ومن المتوقع بعد كل هذه الاعتبارات ان تكون حجم مشاركة الداوية اكبر من تقدير الباحث بكثير، والقول الأقرب إلى الحقيقة ما ذهب إليه ستيفنسون الذي ذكر أن عدد الذين اشتركوا في المعركة من الرهبان الفرسان بلغ نحو ثلاثمائة من الداوية ومائتين من الاسبتارية وعناصر التيوتون(١٧٧) ولم يبق من تلك الأعداد سوى ثلاثة وثلاثين فارساً من الداوية ونحو ستة وعشرين من الاسبتارية(١٧٨) وفي تقدير البعض سبعة وعشرين من الاسبتارية،(١٧٩) وثلاثة فرسان من التيوتون،(١٨٠) وقد تمكن عدد من أولئك الفرسان الفرار وقد قدر هاملتون جب عددهم بنحو خمسين فارساً(١٨١) ويذهب باحث آخر إلى تقدير عدد الفارين من الداوية بثمانية عشر،(١٨٢) غير أن الرأي الأخير جانبه الصواب على اعتبار أن التقدير الأصلي لعدد المشتركين من فرسان التنظيم لدى صاحب هذا الاتجاه لم يحالفه التوفيق.

وأياً كان الاختلاف بين الباحثين في تقدير اعداد القتلى من الرهبان الفرسان وعدد الفارين منهم، إلا أن هناك اجماعا بين المؤرخين على أن تلك المعركة قد أدت إلى خسائر فادحة بالنسبة للصليبيين في فقدهم لبعض المناطق التي كانت تحت سيطرتهم(١٨٣) ثم الخسائر البشرية التي لحقت بالتنظيمات الدينية المسيحية.

وتبقى ناحية هامة بشأن معركة غزة الثانية وهي مصير المقدمين، ويلاحظ هنا أن المعارك الحربية التي كانت تلقى فيها تلك التنظيمات هزائم منكرة مثل معركة حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م هي التي تثار عندها قضية مصير المقدمين كأن يكونا ضمن القتلى أو الأسرى، وهذا الجانب هنا يدل على أن خسائرها في معركة غزة الثانية كانت كبيرة على نحو أثار التساؤل بشأن مصير القادة الكبار الذين قادوا عملياتها الحربية ضد التحالف المصري-الخوارزمي.

وفي هذا المجال يقرر لامونت ان كلاً من مقدمي الاسبتارية والداوية وقع في الأسر وسيق إلى القاهرة(١٨٤) وأيده ريدفورد في ذلك الاتجاه(١٨٥) اما بوس فقد تصور أن مقدم الداوية كان من بين الذين قتلوا في المعركة(١٨٦) اما ستيفنسون فقد اعتقد ان مقدم الاسبتارية كان من بين الأسرى أما مقدم الداوية فقد قتل(١٨٧) وقد أيد رنسيمان رأي الأخير.(١٨٨)

ويلاحظ أن المصادر العربية لاتقدم لنا نصاً واضحاً يقطع في أمر المقدمين ومصيرهما، فيقول سبط بن الجوزي على سبيل المثال " حصدتهم الخوارزمية بالسيوف حصداً "،(١٨٩) اما ابن واصل فيقرر أن المسلمين " افنوهم قتلاً وسبياً "(١٩٠)، اما ابن تغرى بردى فيذكر أن المسلمين " افنوهم قتلاً وأسرا "،(١٩١) ومن ثم فان تلك المصادر لاتذكر شيئاً البته من مصيرهما سواء بالقتل أو الأسر، غير أن المصادر اللاتينية تقدم ما يفيد في هذا الجانب؛ فاعتماداً على نص صريح ورد في تاريخ هرقل تبين أنهما تعرضا للأسر من جانب المسلمين.(١٩٢)

وإذا كانت معركة هربيا قد الحقت أضراراً كبيرة بالصليبيين حتى أنها اعتبرت من جانب البعض بأنها كانت بمثابة معركة حطين الثانية،(١٩٣) فإنها على الرغم من ذلك لم تؤد إلى تغيير التنظيمات الدينية المسيحية لمقرها في عكا مثلما أدت إلى ذلك موقعة حطين الحاسمة.

وقد ظهر دور حربي هام للتنظيمات الدينية خلال الحملة الصليبية السابعة التي حمل لواءها الملك الفرنسي لويس التاسع، وفي هذا المجال تفوق دور فرسان الداوية وفي الأحداث التي تلت عودته إلى بلاد الشام برز دور فرسان تنظيم القديس لعازر.

ونعرف مدى تحمس التنظيمات الدينية المسيحية للمشاركة في النشاط الصليبي تحت قيادة الملك الفرنسي عندما كان لايزال في جزيرة قبرص؛ حيث ارتحل اليه الزعماء الصليبيون وكان من بينهم مقدمو التنظيمات لمقابلته هناك والبحث عن تفاصيل الدور الذي يمكن أن تلعبه قواتهم في النشاط الصليبي المرتقب.(١٩٤)

ويلاحظ انه في خلال تلك الحملة أفاضت المصادر الأصلية وفي مقدمتها ما كتبه جان دي جوانفيل في الإشارة إلى الدور الذي قام به فرسان الداوية،(١٩٥) ومع ذلك يبرز تساؤل هام هو حجم دور

الاسبتارية في المعارك التي جرت، ويذهب أحد الباحثين إلى القول اعتماداً على بعض المؤرخين الحديثين الغربيين إلى القول أن الاسبتارية كان لهم دورهم خلال تلك الأحداث،(١٩٦) على الرغم من أن النصوص الصريحة والمفصلة التي قدمها لنا كاتب سيرة القديس لويس لاتشير إلى ذلك وباستثناء اشارة ضئيلة عن مقدم الاسبتارية الذي ذكر جوانفيل ان اسمه "هنري"(١٩٧) لانجد ما يفيد.

وأمام الاعتبارات السابقة، فليس من اليسير الاعتقاد بوجود دور حربي للتنظيم وينبغي أن نحاذر من أقوال بعض المؤرخين الحديثين الغربيين الذين حرصوا على اقحام دور تلك التنظيمات في كل حين من أجل تدعيم دورهم الحربي دون وجود سند من المصادر الأصلية لذلك، ومن جهة أخرى من الممكن تدعيم ذلك بالقول بأنه لو كان للاسبتارية دور حربي حينذاك لما تردد جوانفيل من الاشارة اليه، والاسهاب فيه على مثل ذلك النحو الذي اتبعه بالنسبة للداوية ولذا فمن الممكن الاعتقاد دون مغالاة في الرأي أن النشاط الصليبي للويس التاسع شهد تفوقاً لدور الداوية دون الاسبتارية.

وبالنسبة لتقسيم الجيش الصليبي تحت قيادة الملك الفرنسي فقد انقسم إلى ثلاثة اقسام: القسم الأول وقد اشتمل على فرسان الداوية بقيادة مقدمهم وليم دي سيناك William de Sennac والفرقة الانجليزية وعلى رأسها وليم من سالزبوري وفرقة الخيالة الملكية الفرنسية أما القسم الثاني فقد احتوى فرسان شمبانيا وعلى رأسهم شارل الانجوي وبالنسبة للقسم الثالث كان فيه الملك لويس التاسع وفرسانه.(١٩٨)

ويلاحظ أنه وفقاً لما ورد في تاريخ هرقل فإن الداوية قادوا الهجوم الصليبي على دمياط،(١٩٩) كذلك فإن مقدم التنظيم قد عارض روبرت شقيق الملك عندما رغب في التقدم صوب المنصورة دون انتظار القوات القادمة مع لويس التاسع وقد شارك مقدم الداوية رأيه هذا وليم من سالزبوري دون جدوى(٢٠٠) وفي المعركة التي جرت وقائعها في ٤ ذي القعدة ٦٤٧هـ/٨ فبراير ١٢٥٠م كان من الضحايا جميع فرسان الداوية تقريباً وكان عددهم نحو ثلاثمائة فارساً.(٢٠١)

وقد عاد مقدم الداوية للاشتراك في معركة أخرى دارت في ٧ ذي القعدة عام ٦٤٧هـ/١١فبراير ١٢٥٠م على الرغم من الخسائر البشرية الفادحة التي مني بها التنظيم من قبل ثلاثة أيام، وفي المعركة الأخيرة قتل وليم دي سوناك(٢٠٢) والعدد القليل من الفرسان الذين اشتركوا معه في القتال.

وبعد اجهاض المشروع الصليبي في المنصورة أظهرت الأحداث مدى جشع تنظيم الداوية الذي بلغ حينذاك مبلغاً كبيراً من الثراء، وقد رفض ان يدفع فدية الملك الفرنسي لويس التاسع عندما أسر ووضع في بيت ابن لقمان في المنصورة على الرغم من أن خزائن التنظيم كانت مكتظة بالأموال الطائلة،(٢٠٣) ولعل في تلك الحادثة التي أوردها لنا شاهد عيان من صفوف الصليبيين وهو جوانفيل ما يدل على صحة الاعتقاد السابق ويدعمه وقد تمكن جوانفيل بالقوة من الحصول على الفدية اللازمة من أموال الداوية، ومع ذلك فان احد الباحثين دافع بحماس عن سمعة الداوية،(٢٠٤) ويبدو أن صاحب ذلك الاتجاه قد تأثر من قريب أو بعيد بالاشارات التي وردت لدى اسامة بن منقذ في كتابه "الاعتبار" عن صداقته للداوية وانهم سمحوا له بالصلاة في المسجد الأقصى، غير أن مثل تلك الحالة الفردية يمكن أن

تمثل استثناءً واضحاً وسط العداء الشديد الذي كنه فرسان التنظيم ضد المسلمين وليس من اليسير أن يكون بذلك اساساً للاعتقاد بصورة أخلاقية ما للداوية ويضاف إلى ذلك أن المؤرخين اللاتين أنفسهم مثل وليم الصوري وجوانفيل شككوا في سلامة تصرفات ذلك التنظيم وكشفوا بجلاء مطامعه خلال العمليات الحربية التي قام بها الرهبان الفرسان.

ومن ناحية أخرى فإنه بعد عودة لويس التاسع إلى الشام ظهر دور هام لفرسان القديس لعازر الأمر الذي نجده مفصلاً فيما كتبه جوانفيل في مرحلة زمنية حددها ما بين ربيع الأول والثاني ٦٥٠هـ/ مايو ويونيو ١٢٥٢م وقد أشار إلى أن معركة قد نشبت بين فرسان التنظيم والمسلمين في يافا وملابسات ذلك أن مقدم التنظيم قد عثر بالقرب من المدينة المذكورة على بعض قطعان الماشية وعمل على استلابها، الأمر الذي أثار المسلمين فهاجموه وتمكنوا من الحاق الهزيمة المنكرة بفرسانه ولم ينج من رجاله سوى أربعة فرسان فقط. وقد عمل الاسبتاريون والداوية على مواجهة المسلمين وتمكن رئيس فرقة رماة السهام الملكية من الحاق الهزيمة بأعدائهم.[٢٠٥]

ومن الممكن ان نستنتج بعض النتائج الهامة من خلال تلك الحادثة:

أولاً: إن منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي يعتبر تاريخاً هاماً تورده المصادر الأصلية عندما تشير إلى معارك حربية مستقلة تخوضها عناصر فرسان تنظيم القديس لعازر، وهذا لم يتأت له طوال المرحلة السابقة وربما دل ذلك على أن التكوين الحربي للتنظيم ربما اكتمل بنيانه خلال ذلك التاريخ.

ثانياً: يلاحظ أن صمت المصادر الصليبية عن القاء الضوء على أدوار حربية أخرى لذلك التنظيم في المرحلة السابقة لايعني أن ذلك الدور كان مختفياً وانما يمكن أن يفسر بأن نشاط التنظيم قد اندمج مع أنشطة باقي التنظيمات مثل الاسبتارية والداوية والتيوتون وغيرهم بدليل انه عندما قام التنظيم بدور حربي مستقل برز في تلك المصادر على هذا النحو.

ثالثا: اشارة جوانفيل السابقة تعتبر من أهم ما يتصل بالدور الحربي لتنظيم القديس لعازر ويفند زعم أحد الباحثين في قوله بعدم تواجد ما يتعلق بالتنظيم ودوره الحربي في المصادر المعاصرة.[٢٠٦]

والجدير بالذكر أنه بعد حملة القديس لويس على مصر والشام فان نشاط التنظيمات الدينية المسيحية قد ظهر بوضوح وعلى نحو أكدته المصادر اللاتينية والعربية في خلال معركة عكا الأخيرة ومن ثم فان من الضروري تناول جهود المماليك من أجل القضاء على الوجود الصليبي في المدينة.

وبالنسبة لمدينة عكا فان السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري كان قد شن العديد من الاغارات عليها مستهدفاً إسقاطها في عام ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م،[٢٠٧] غير أن جهوده في هذا المجال لم تكلل بالنجاح، اما السلطان المنصور سيف الدين قلاوون والذي كان يراوده ذلك الهدف كان قد وقع معاهدة بينه وبين الصليبيين مدتها عشرة اعوام، ولكن الأخيرين نقضوها بالاعتداء على بعض قوافل المسلمين

ومن ثم اتجه إلى قتالهم،(٢٠٨) ولكن ما كاد السلطان يفرغ من كافة استعداداته لتحقيق ذلك حتى عاجلته المنية(١) غير أن ابنه الأشرف خليل بن قلاوون سعى سعياً حثيثاً لتحقيق مالم يتمكن والده من انجازه.

في ذلك الحين كان قد تزايد نفوذ التنظيمات الدينية المسيحية في مدينة عكا سواء في ذلك الاسبتارية والداوية والتيوتون وتنظيم القديس لعازر خاصة إذا ما عرفنا ان عكا حينذاك كانت تعد مركز الصليبيين في بلاد الشام وتزايدت في حجمها وأهميتها منذ الحملة الصليبية الثالثة ثم انها كانت المدينة التجارية الرئيسية في شرق البحر المتوسط،(٢٠٩) ومن ناحية أخرى، فقد تحصنت تحصيناً قوياً ومنيعاً كما جددت تحصيناتها بأمر الملك هنري الثالث لوزينيان، وقد أحاط بها سوران ضخمان يضمان كل شبه الجزيرة التي تقع عليها مدينة عكا والناحية المتصلة بها من جهة الشمال كما أحاط بها خندق متسع.(٢١٠)

وفي الإمكان أن نوضح على نحو تقريبي أعداد فرسان الاسبتارية والداوية والتيوتون وفرسان القديس توما والقديس لعازر الذين اشتركوا في معركة عكا الأخيرة ضد جيوش المماليك(٢١١) وهناك من يقرر أن مجموع عدد المدافعين الصليبيين قد بلغ نحو أربعة عشر الفاً أو ثمانية عشر الفاً، ومن المقاتلة الراجلة ونحو سبعمائة او خمسمائة فارس(٢١٢) وذلك وفق ما يذكره ستيفنسون، اما كنج فانه يقدم لنا جانباً احصائياً هاماً وتحديداً للمواقع التي احتلتها عناصر التنظيمات الدينية المسيحية في عكا وذلك من خلال وثيقة هامة عبارة عن الرسالة التي أرسلها مقدم الاسبتارية جان دي فليير إلى احد أصدقائه واصفاً له ظروف سقوط المدينة ويرى أن حاميتها قد تكونت من سبعمائة فارس وأربعة عشر الفاً من المشاة وكان حوالي اثنين وأربعين من الداوية ونحو مائة وأربعين من الاسبتارية تحت قيادة مقدمهم وكانت التنظيمات الثلاثة الأخرى فرسان التيوتون وفرسان القديس لعازر وفرسان القديس توما متواجدة ضمن تلك القوات غير أنه لم يكن في مقدورهم أن يمدوا القوى الصليبية بأكثر من خمسين فارساً منهم.(٢١٣)

أما عن توزيعات تلك القوات عن طريق مقدم الداوية وليم دي بوكييه فقد وزعها على النحو التالي: الحائط الشمالي من البحر إلى حائط القديس لعازر عهد به إلى فرسان الداوية وفرسان القديس لعازر(٢١٤) هذه النقطة إلى حائط القديس توما وعهد بالحائط إلى متى المنتسب إلى مدينة كليرمون Mathew de Clermont مقدم الاسبتارية وعهد بحائط ماليديس إلى الفرسان التيوتون وقوات ملك بيت المقدس وبقية الحائط الشمالي الشرقي والحائط الشرقي إلى البحر عهد به إلى قوات فرنسية وانجليزية،(٢١٥) ولانغفل ان الداوية كانت تقوم بالدفاع عن مقرها داخل عكا الكائن في الجزء الشمالي الغربي من المدينة.(٢١٦)

ولكن على الرغم من تلك الأعداد وتجهيزات القوى الصليبية داخل المدينة الا ان عكا كانت تحوي جانباً كبيراً من عوامل الوهن في داخلها،(٢١٧) إذ أن السقوط دائماً وأبداً يأتي من الداخل قبل الخارج.

مهما يكن من أمر فان المماليك عملوا على أن يجلبوا أدوات الحصار المتعددة التي كان لها أثرها في تحطيم اسوار المدينة، وقد قرر ابن بهادر انه قد اجتمع عليها من المجانيق الصغار والكبار مالم يجتمع على غيرها،(٢١٨) وقد بلغ عدد المجانيق نحو اثنين وخمسين منجنيقاً وتم تجهيزها خلال أربعة ايام،(٢١٩)

والى جانب ذلك كانت هناك الدبابات والكبابيش وغيرها من أدوات الحرب في الجيش المملوكي.

ويلاحظ انه قد اشتد ساعد التنظيمات الدينية المسيحية مع غيرها من القوى الفرنجية الصليبية خاصة مع مقدم الملك هنري الثالث ملك قبرس،[٢٢٠] ونعرف أن الفرنجة الصليبيين داخل المدينة راسلوا ملوكهم وطلبوا منهم تقديم الامدادات اللازمة وقد كان لمقدم تلك المساعدات الحربية أثرها في تقوية صفوفهم ودفاعاتهم ضد المماليك حتى أنهم "ثبتوا ثباتاً كلياً وقاتلوا قتالاً عظيماً" كما يذكر الحريري.[٢٢١]

ويهمنا هنا تناول أهمية الأدوار الحربية التي قام بها فرسان التنظيمات الدينية المسيحية في ظروف حصار عكا، ففي أول الأمر قام الداوية بشن هجوم عنيف على حامية حماه، ولكن المسلمين تمكنوا من صد هجومهم، وأسر بعضهم وعاد البعض الآخر إلى مواقعه بعد ان اصيب التنظيم بخسائر فادحة من الناحية البشرية،[٢٢٢] وقام الاسبتاريون بعد ذلك بهجوم آخر في جنح الظلام غير أن المسلمين اشعلوا المشاعل من فورهم فأحبطوا الهجوم وقتلوا وأسروا عدداً كبيراً من المهاجمين، ولما ايقن هؤلاء الأخيرون مدى فداحة خسائرهم اتجهوا إلى اتباع سياسة دفاعية،[٢٢٣] ومن ناحية أخرى فقد شارك تنظيم التيوتون في الدفاع عن عكا واستمر يقوم بمهامه القتالية ضد قوات المماليك.[٢٢٤]

وعلى الرغم من المقاومة التي أظهرتها قوات الصليبيين داخل عكا الا ان المدينة سقطت في جمادى الأول عام ٦٩٠هـ/مايو ١٢٩١م[٢٢٥] ويهمنا هنا ذلك الدور الجديد بالأهمية الذي لعبته التنظيمات الدينية المسيحية بعد سقوط المدينة وخضوعها للسيادة المملوكية.

وللانصاف التاريخي فإن تلك التنظيمات أظهرت دفاعاً مستميتاً في مواجهة المسلمين وكان هذا الدفاع امراً لم تنكره المصادر العربية واللاتينية على حد سواء وقد اشار البعض إلى ذلك في وضوح وعلى نحو صريح بينما اتجه البعض الآخر إلى الاشارة ؟؟. وقد أورد بيبرس الدواداري –وهو شاهد عيان معاصر لسقوط عكا في أيدي المماليك– رواية توضح أن الفرنج قد تحصنوا في الأبراج الشواهق التي كان فيها الداوية والاسبتارية الذين كانوا يقاتلون "قتالاً مدراراً"[٢٢٦] وذكر ابن تغرى بردى الرواية نفسها حيث أورد لنا ما يؤكد أن الداوية والاسبتارية قد تحصنوا في ابراج شواهق في وسط البلد[٢٢٧] بينما حدثتنا مصادر أخرى أن عدداً من الأجزاء الحصينة في داخل المدينة تحصن بها بعض الفرنج ولم تذكر صفتهم أو هويتهم،[٢٢٨] غير أنه من الممكن التقرير بأن الاسبتارية والداوية وغيرهم من التنظيمات الدينية المسيحية الأخرى هم الذين حملوا لواء المقاومة العنيفة ضد جيوش المماليك الضخمة على الرغم من عدم التكافؤ بينهم من الناحية العددية حتى بعد أن سقطت عكا في أيدي المسلمين وتقرر أمرها بصورة كاملة لصالحهم، واذا كانت المصادر العربية قد ذكرت رواياتها السابقة معضدة للدور الحربي لأولئك الرهبان الفرسان فان المصادر اللاتينية تلقي ضوءاً هاماً وتتمثل في الرسالة المرسلة من مقدم الاسبتارية جون دي فلبير إلى صديق له في أوروبا واصفاً له الظروف العصيبة التي أحاطت بالتنظيم خلال حصار جيوش المماليك لعكا وتوضح لنا المجهودات التي بذلها أفراد تلك التنظيمات ومدى استبسالهم في القتال ضد اعدائهم ولكن دون جدوى،[٢٢٩] وقد تجلى مظهر آخر من مظاهر الدور الحربي الذي لعبته تلك التنظيمات من خلال معرفة أن جون دي فلبير يذكر في رسالته السابقة ان

مقدم الداوية وليم دي بيجييو قد سقط قتيلاً(٢٣٠) خلال دفاعه هو وأفراد تنظيمه عن الحوائط التي عهد بأمر الدفاع عنها للداوية، اما مقدم الاسبتارية فتذهب احدى المؤرخات إلى القول بأنه قد سقط قتيلاً(٢٣١) غير ان هذا الرأي لايجد ما يدعمه من المصادر اللاتينية ذاتها فاعتماداً على الوثيقة السابقة والتي كتبها مقدم الاسبتارية نفسه نعرف انه جرح فقط وتمكن من الانسحاب مع باقي القوات الصليبية من المدينة،(٢٣٢) ويلاحظ انه بعد سقوط مدينة عكا قامت قوات المماليك بقتل عناصر الاسبتارية والداوية وباقي التنظيمات الدينية المسيحية(٢٣٣) وقد تأكدت تلك الحادثة الأخيرة من جانب المصادر اللاتينية والعربية على حد سواء فأعادت بذلك إلى الأذهان ما حل بهم من قتل جماعي على أيدي المسلمين بعد موقعة حطين ٥٨٣هـ/١١٨٧م وعقب استيلاء المسلمين على قلعة صفد في عهد الظاهر بيبرس البندقداري في عام ٦٦٤هـ/١٢٦٦م.

وبسقوط عكا فقدت تلك التنظيمات مركزها القيادي الحصين على امتداد المائة عام السابقة على سقوطها ولم يبق لهم سوى بعض القلاع مثل انطرطوس وعثليث وقد سقطت في العام نفسه اي ٦٩٠هـ/١١٩١م وارتحلت حامياتها إلى جزيرة قبرص(٢٣٤) بينما ظلت جزيرة ارواد(٢٣٥) الحصينة امام انطرطوس مركزاً صليبياً حتى عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م،(٢٣٦) وعلى أثر تلك الأحداث انتقلت تلك التنظيمات إلى الجزر المتناثرة في البحر المتوسط مثل قبرص(٢٣٧) ورودس(٢٣٨) ومالطة(٢٣٩) حيث اسسوا كيانات سياسية هناك دامت امداً طويلاً وهي تحاول بعث فكرة الصليبيات ضد دار الاسلام كلما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

ويبقى تساؤل جدير بالأهمية في ختام تناول الدور الحربي الذي خاضت عمارة التنظيمات الدينية المسيحية الا وهو: هل تمكنت تلك التنظيمات من تحقيق الأهداف التي انيطت بها والتي سعت سعياً حثيثاً اليها من أجل خدمة المشروعات الصليبية في منطقة الشرق الأدنى؟ والحقيقة انه اذا كانت قد قدمت للصليبيين جانباً من الخدمات الخيرية والطبية العلاجية الا انه بالنسبة لدورها الحربي فعلى الرغم من إسهاماتها في العديد من المعارك الهامة التي تصارعت فيها المملكة اللاتينية مع جيرانها من القوى السياسية المسلمة إلا أنها كانت من عوامل ضعف تلك المملكة بحكم عوامل الانقسام والتناحر التي اضطرم سعيرها بين التنظيمات المتنافسة وعلى نحوخاص الاسبتارية والداوية(٢٤٠) ثم لأنها في كثير من الاحايين كانت تؤثر مصالحها وغاياتها الخاصة على الصالح الصليبي العام على نحوا عترف به المؤرخون اللاتين انفسهم على نحو واضح وصريح، ثم جاء تحول إحدى قواها الهامة ونعني بها الداوية إلى اكتناز الأموال،(٢٤١) حتى غدوا صيارفة أوروبا لهم شأن وأي شأن في ذلك المجال -جاء ذلك ليعبر بحق عن الافلاس الأيديولوجي لتلك التنظيمات التي قامت أساساً على مبادىء الرهبنة والفروسية، واذا كان دورها الحربي على نحو خاص قد ساعد على اطالة عمر الوجود الفرنجي الصليبي على امتداد ما يقرب من قرنين من الزمان الا انها نفسها لعبت دوراً محورياً في تأصيل عوامل الضعف والانقسام الأمر الذي كان له أسوأ الأثر على مستقبل الوجود اللاتيني في الشرق.

ذلك كان عرضاً للدور الحربي لتلك التنظيمات الدينية المسيحية التي ظهرت في خلال عصر الحروب الصليبية في بلاد الشام.

هوامش الفصل الثالث

(١) Archer; The Crusades, p.185.

(٢) Riley-Smith, Feudal Nobility, p.29

(٣) Norman, Medieval Soldier, p.185

(٤) Riley-Smith, Op. Cit, p.29, "Government in latin Syria and the commercial privileges of foreign merchants, in Darck Barker, relations between east and west in the middle ages, university of Edinburgh 1973, p.114

(٥) La Monte, Feudal Monarchy, p.261

(٦) Ibid., p.219

(٧) Runciman, Vol.II,p.312

(٨) Runciman, Vol.II,p.312, Mayer, The Crusades, p.81

عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب، ص٤٠٥، فايز اسكندر، فن الحرب والقتال لدى الصليبيين والمسلمين، ص٨١.

(٩) Anonymous pilgrims, Amonymous Pilgrim V, in PPTS, Vol.VI, p.80

(١٠) Ibid.,p.30

(١١) Jacque de Vitry, Hist. of Jerusalem, p.52

(١٢) العثماني، تاريخ صفد، ص٤٨٧.

(١٣) حصن الأتارب أو الاثارب وقع هذا الحصن على بعد ثلاثة أميال من مدينة حلب بينها وبين مدينة أنطاكية وهو في الوقت الحالي مجرد بقايا وبالقرب منه قرية تعرف بالاسم نفسه وقد استولى الصليبيون على هذه المنطقة عام ٥٠٤/ ١١١٠م عندما سيطر عليه صاحب انطاكية، ونعرف أن هذا الحصن قد خضع لسيطرة التنظيمات الدينية المسيحية، عنه انظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٣٣، السمعاني، الأنساب، جـ١، ص١١١، الذهبي، العبر، جـ٢، ص٣٢، ابن خلدون، العبر، جـ٥، ص١٩٣، مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، نشر زنرشتين، ط. ليدن ١٩١٩م، ص٢٤١. عليه الجنزوري، امارة الرها الصليبية، ص١٦٩، حسين عطية، إمارة انطاكية الصليبية، ص١٦٣، حاشية(١).

Le Strange, Palestine under the moslems, p.403.

(١٤) ابن الاثير، الباهر، ص٣٩، Crousse, Hist. de Croisades, Tome I. pp.675-676. Archer, The Crusades, p.200

عصام عبدالرؤوف، بلاد الجزيرة، ص١٥٧، عبدالحفيظ محمد علي، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عهد حنا الثاني كومنين (١١١٨-١١٤٣م) رسالة دكتوراة غير منشورة -كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٨٣م، ص١٤٥.

(١٥) ابن الاثير، الكامل، جـ٨، ص٣٢١، ابن الوردي، تتمة المختصر، جـ٢، ص٣٢.

(١٦) ابن الأثير، الباهر، ص٣٩.

(١٧) نفسه، نفس المصدر، ص٤١.

(١٨) ابن الأثير، الكامل، جـ٨، ص٣٢١، الباهر، ص٣٩، ابو الفداء، المختصر، جـ٣، ص٣، ابن الوردي، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٥، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ص٤٢، ابن خلدون، العبر، جـ٥، ص٢٢٦، الذهبي، العبر، جـ٤، ص٥٥، اليافعي، مرآة الجنان، جـ٣، ص٢٣٠. الكامل عصام عبدالرؤوف، بلاد الجزيرة، ص١٥٦.

Gibb, Zengi and The Fall of Edessa, p.458.

(١٩) ابن الأثير، الامل، جـ٨، ص٣٢١، الباهر، ص٣٩، ابوا لفداء، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٥، ابن واصل، المصدر السابق، جـ١، ص٤٣، ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٥، ص٢٢٦، الذهبي، المصدر السابق، جـ٤، ص٥٥.

(٢٠) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٥، ورقة (٢٥).

(٢١) ابن العديم، زبدة الحلب، جـ٢، ص٢٧.

(٢٢) ابن الأثير، الباهر، ص٨٦.

(٢٣) ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٨.

(٢٤) Michael the Syrian, Extrait de La Chronique, RHC,Doc. Arm. T.I, pp.270-272

(٢٥) ابراهيم خميس، العلاقات السياسية بين جماعة فرسان الداوية والمسلمين، ص٤١.

(٢٦) Boase, Kingdoms and Strongholds, p.84.

(٢٧) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص٢٨.

(٢٨) Riley-Smith, The knights of St. John, p.52, Lucie Elise, The Knights Templars, p.34

حسين مؤنس، نور الدين محمود، ص٢١٤-٢١٥

(٢٩) Lucie Elise, Ibid., p.34

(٣٠) السوليد، هي عملة ذهبية رومانية سكت لأول مرة في عهد الامبراطور قسطنطين الكبير عام٣١٢م وقد استمرت مستعملة حتى نهاية عهد الامبراطورية الرومانية الشرقية عنها انظر:

Goelzer, Dictionnaioe Latin-Francais, p.612

كولتون، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ص٤٥، حاشية (٣).

(٣١) ابراهيم خميس، العلاقات السياسية، ص٤٥.

(٣٢) Barber, Trial of Templars, p.10

(٣٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٩٩.

(٣٤) Setton, Vol.I,p.509

(٣٥) William of Tyre, Vol.II, pp.193-195

(٣٦) John of Wurzberg, p.21

(٣٧) عسقلان، تقع على ساحل فلسطين على بعد اثني عشر كيلومتراً إلى الشمال من غزة عنها انظر: اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٣٢٩، ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١٠٣، الهروي، مقتطفات من رحلته، نشر شالز شفر بالفرنسية.

Charles Schefer AÓL, I, Annee 1881, p.608

ياقوت، معجم البلدان، جـ٣، ص٦٧٢-٦٧٣، القزويني، آثار البلاد، ص٢٢٢. آدم سميث، الجغرافيا التاريخية للأرض المقدسة، ط. بيروت ب-ت. ص١٥٤.

(٣٨) يوغوليوبسكي، " رحلة السائح الروسي دانيال إلى الأرض المقدسة في أول عهد الصليبيين "، المشرق السنة (٢٤) العدد (٩) لعام ١٩٢٦م، ص٦٤٥، شعيرة، الرملة ورباطاتها السبعة حتى القرن الرابع هـ قبيل الحروب الصليبية" مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية م، (١٥) لعام ١٩٦٩م، ص٤١، امين واصف، معجم الخريطة التاريخية للأقطار الإسلامية، ط. القاهرة ١٩١٦م، ص٣٤.

(٣٩) امين ميسر، أخبار مصر، ص٩٣، اليافعي، مرآة الجنان، حـ٣، ص٢٨٩، المقريزي، اتعاظ الحنفا، حـ٣، ص١٩٠.

(٤٠) براور، عالم الصليبيين، ص٦٦.

(٤١) نفسه، نفس المرجع والصفحة.

(٤٢) عبدالمنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين، ص٤٥٥.

(٤٣) عن حصار عسقلان ودور الرهبان الفرسان في أحداثه أنظر:

William of Tyre, Vol.II, pp.202-224. Lucie Elise, The Knights Templars, p.44/ Runciman, Vol.II, p.338

حسين مؤنس، نور الدين محمود، ص٢٥٤

(٤٤) Lucie Elise, Op.Cit., p.44

(٤٥) Baldwin, "The Latin States under Baldwin III and Amarry", in Setton, The Crusades,

Vol.I,p.537, Lucie Elise, The Knights Templars, p.44, Runciman, Vol.II, p.339.

الدبس، تاريخ سوريا، جـ٦، ص٧٧، وأود أن أشير هنا أنه ربما كان من العوامل التي دفعت الداوية إلى الاستبسال في ظروف حصار عسقلان أنها علقت الآمال العريضة على إسقاطها منذ فترة سابقة وما يترتب على ذلك من زيادة ثرواتها فنعرف أنه في عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م وعد مقدم التنظيم هيو دي باين الداوية بثلث قرى المدينة المشهورة بثراء تربتها وجودة زراعاتها بل انه خصص في عام ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م لأحد الاديرة المسجد الجامع في عسقلان، انظر: السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ص٦٣٤.

(٤٦) William of Tyre, Vol.II, p.229. King, The Knights Hospitallers, p.51-52. The Knights of St. John, p.8

(٤٧) عن النزاع بين أهل المدينة انظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٣٢٠، الذهبي، العبر، جـ٤، ص١٢٩، دول الاسلام، جـ٢، ص٦٣، اليافعي، مرآة الجنان، حـ٣، ص٢٨٦.

(٤٨) كنار، " الفاطميون في مصر "، ت. خاشع المعاضيدي، مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد العدد (١٧) لعام ١٩٧٠م، ص٢٥٨-٢٥٩.

(٥٠) William of Tyre, Vol.II, p.227. Smail, Crusading Warfare, p.102. Duggan, The Crusades, p.125.

(٥١) Stevenson, The Crusaders, p.172. Lane-poole, Hist. of Egypt. p.173

حسن ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٨٧.

Lucie Elise, The Knights Templars, p.45.

عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص٦٦٥.

(٥٢) Pernoud, The Crusades, London 1962, p.187

(٥٣) Baldwin, The Latin States under Baldwin III, p.538

(٥٤) Runciman, Vol.II, p.340

(٥٥) ابن الأثير، الباهر، ص١٠٦، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ص١٢٦، المقريزي، اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٠٦.

(٥٦) المصدر نفسه، ص٢٠٩.

(٥٧) بانياس، وقعت على بعد واحد وعشرين ميلاً من بحيرة طبرية وبالقرب من شواطيء الحولة أسفل جبل حرمون، عنها أنظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٠، ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٤٦،

Ernoul, Ernoul's account of Palestine, p.51, Fulcher of Chartres, p.205

(٥٨) Boase, kingdoms and strongholds, p.118

(٥٩) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٣٢٧.

(٦٠) نفسه، نفس المصدر، ص٣٢٨، ابو شامة، الروضتين، حـ١، ص٢٦٨.

Stevenson, The Crusaders, p.117

(٦١) ذيل تاريخ دمشق، ص٣٣٨.

(٦٢) ابراهيم خميس، العلاقات السياسية، ص٥٠.

(٦٣) ابن القلانسي، المصدر السابق، ص٣٢٨-٣٣٩، ابن الاثير، الباهر، ص٣٩٤، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ص١٤٦.

Gibb, The Career of Nur Ad-Din, p.521. Gabrieli, Arab Historians of The Crusades, p.65-66.

حسن حبشي، نور الدين والصليبيين، ص٩٣.

(٦٤) William of Tyre, Vol.II, p.257, note (48).

(٦٥) Lucie Elise, The Knights Templars, p.48.

(٦٦) Ibid, p.48

(٦٧) William of Tyre, Vol.II, p.257

(٦٨) ابو شامة، الروضتين، ص٨٥-٨٦ R.H.C. Hist. Or. T.IV

(٦٩) السيد عبدالعزيز سالم، طرابلس الشام، ص٢٤٥-٢٤٦، ومع ذلك فيبدو ان بانياس لم تستمر في يد نور الدين محمود فقد استردها الصليبيون فيما بعد عام ٥٦٩هـ/ ١١٦٥م، وانتقلت من بعده لابنه الصالح اسماعيل، انظر: ابو شامة، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٥٦، ابن الأثير، الباهر، ص١٣٠، ابن شداد الحلبي، الاعلاق الخطيرة، جـ٢، ص١٤٢.

(٧٠) المقريزي، المقفى، مخطوط بدار الكتب المصرية، جـ١، ورقة (١٤٢)، اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص٢٩١.

(٧١) عنه انظر:

William of Tyre, Vol.II,p.350. King, Knights of St. John, p.12. Stevenson, The Crusaders, p.186

(٧٢) حامد غنيم، الجبهة الإسلامية، جـ٢، ص٦١.

(٧٣) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص٤٢.

(٧٤) William of Tyre, Vol.II,pp.350-351

(٧٥) King, Knights of St. John, p.12

(٧٦) Ibid. p.12

(٧٧) Smail, The Crusaders, p.35. Lucie Elise, The Knights Templars, p.17, note (27). Stevenson, The Crusaders, p.232-245.

(٧٨) انظر وصف وليم الصوري لبلبيس:

William of Tyre, Vol.II,pp.305,350

(٧٩) King, The Knights Hospitallers, pp.110-111

والبيزنت Bezant في الأصل عملة ذهبية بيزنطية وقد سمي بذلك نسبة إلى مدينة بيزنطة أو القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية المتأخرة وقد استمر البيزنت في التعامل النقدي في أوروبا في العصور الوسطى حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، عنه انظر: عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص٣١٢، حاشية (٣) وعن وصف وليم لمدينة الاسكندرية انظر:

William of Tyre, Vol.II, pp.335-336.

(٨٠) King, Knights of St. John, p.12

(٨١) عن موقف الاسبتارية من عموري خلال تلك الحملة انظر:

Smail, The Crusaders in Syria, p.55 Lucie Elise, The Knights Templars, p.56 Archer, The Crusades, p.176. Bradford, Shield and Sword, p.27.

العريني، الإقطاع الحربي عند الصليبيين، ص١٩.

(٨٢) William of Tyre, Vol.II,p.312

(٨٣) عن ذلك انظر:

Schlumberger, Campaignes du roi. Amaury de Jerusalem, Paris 1900; p.260

عمر كمال توفيق، الامبراطورية البيزنطية، ص١٨٩، اسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٨٤) عن رينالد شاتيون Renauld de Chatillon انظر المصادر والمراجع الآتية:

William of Tyre, Vol.II,p.248,414 Otto of St. Blasion, The Third Crusade, 1189-1190, From The Chronicle of Otto of St. Blasien, in Thatcher, Source Book of Medieral History, p.529-530.

الحريري، الاعلام والتبيين، ورقة (١٣)، ابن ايبك الدواداري، دور التيجان، ورقة (٤٩٨)، السلامي، مختصر التواريخ، ورقة (٥٨)، مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص١٠٥.

Schlumberger, Renauld de Chatillon prince d'Antioche, Seigneur de la terre d' Outre-Jourdan, Paris 1923.

وهو أفضل دراسة كتبت عن ذلك الأمير الصليبي، وعلى أساسها قام الباحث محمود رزق محمود باعداد بحثه، انظر محمود رزق محمود، العلاقات بين ارناط امير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى واقعة حطين ٥٨٣هـ/١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب- جامعة عين شمس لعام ١٩٧٧م، ايضاً، عمر كمال توفيق، المرجع السابق،

ص١٦٥-١٦٨، حامد غنيم، الجبهة الاسلامية، جـ٢، ص٨٨-٨٩، حسين عطية، إمارة انطاكية الصليبية، ص٢١٥، محمود سعيد عمران، معركة حارم، ص٩٨، باركر، الحروب الصليبية، ص١٠٣.

(٨٥) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٢، ص١٢٧، سعاد ماهر، البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية، ط. القاهرة ١٩٦٧، ص١٠٥

Atiya, Crusade, Commerce and Culture, London 1962, p.77

(٨٦) أحمد عبدالرازق، مصر الإسلامية، ص٢٢٧.

(٨٧) عيذاب: حددها ياقوت بأنها وقعت على بحر القلزم، وقد اكتشفت خرائب وأطلال عيذاب عام ١٨٩٦م، شمالي شرق قرية حلايب بنحو ١٨ ك.م، عنها انظر: ياقوت، معجم البلدان، حـ٣، ص٣٥١، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص١٣٠-١٣١، ابن مماتي، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، ط. القاهرة ١٩٤٣م ص٣٢٥، ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق السقا والمهندس، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص٩-١٠، احمد دراج، "عيذاب" مجلة نهضة افريقيا، السنة الأولى، العدد (٩)، يوليو ١٩٥٨م، ص٥٣-٦٠، انورعبدالعليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ط. الكويت ١٩٧٩م، ص٨٠.

(٨٨) عن وثائق تلك الحادثة في المصادر العربية انظر: رسالة بقلم القاضي الفاضل مرسلة من السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي إلى أخيه العادل بخصوص انتصار المسلمين واسطولهم على ارناط، ابو شامة، الروضتين، جـ٢، ص٣٦، رسالة من صلاح الدين إلى أخيه يأمره فيها بالاسراع بقتل الأسرى الصليبيين عقب المعركة، أبوشامة، المصدرالسابق، جـ٢، ص٣٧، وايضاً، رسائل مرسلة من السلطان الأيوبي إلى الخليفة العباسي عن تلك الحادثة، ابو شامة، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٧.

(٨٩) المقريزي، السلوك، جـ١، ق١، ص٧٨-٧٩.

(٩٠) نفسه، نفس المصدر، ص٧٨.

(٩١) يقدر أبوشامة عدد الأسرى بنحو مائة وسبعين اسيراً، الروضتين، جـ٢، ص٣٧، احمد مختار العبادي، البحرية المصرية زمن الأيوبيين والمماليك، ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية، الاسكندرية ١٩٧٢م، ص٥٦٨، حاشية (٤) عن الحادثة انظر ايضاً: ابن منكلي، الأحكام الملوكية والضوابط النموسية في فن القتال في البحر، تحقيق عبدالعزيزعبدالدايم، رسالة دكتوراة غير منشورة- جامعة القاهرة ١٩٧٤، ص٨٥-٨٦، عطية القوصي، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، رسالة دكتوراة غير منشورة -كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٧٣م، ص١٤٤، عثمان عشري، الاسطول والبحرية في عصر سلاطين المماليك في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة -كلية الآداب- جامعة القاهرة، ص١١، فاروق جرار، "اسطول صلاح الدين الأيوبي" مجلة الابحاث، السنة (١٣)، جـ(١)، ١٩٦٠م، ص٨٥-٨٦، احمد مختار العبادي، البحرية المصرية زمن الأيوبيين والمماليك، كتاب تاريخ البحرية المصرية، ط. جامعة الاسكندرية ١٩٧٢م، ص٥٦٨، محمد حسنين ربيع، البحر الاحمر في العصر الأيوبي، ندوة البحر الأحمر، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص١٠٨-١١١، محسن محمد حسين، الجيش الايوبي في عهد صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٣٥٦-٣٦١.

(٩٢) وقعت عين كريسون بين صفورية وكفر كنا قرب حطين وبعدت ٦ ك.م، عن كفركنا عن تحديدها انظر:

Le Strange, Palestine, p.469

ابراهيم المحمود، فن الحرب عند العرب، ص٣٨٤، السيد الباز العريني، مصر في عصر الأيوبيين، ص٧٢.

(٩٣) العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص١٣، نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص١٧٧.

Lane-Poole, Saladine and The Fall of The Latin. Kingdom of Jerusalem, p.201. Runciman, Vol.II, p.453. Baldwin, "The Decline and Fall of Jerusalem" in Setton, The Crusades, Vol.I, p.607.

(٩٤) Jacques de Vitry, Hist. Of Jerusalem, p.100

(٩٥) ابن الأثير، الكامل، جـ١١، ص٥٣١، عنان، مواقف حاسمة، ص١٣٢.

King, The Knights of St. John, p.18. Gabrieli, Arab Historians of The Crusades, p.117

(٩٦) ابن الأثير، المصدر نفسه، جـ١١، ص٥٣١

(٩٧) Runciman, Vol.II, p.453

(٩٨) طرخان، الناصر صلاح الدين، ص٩٠.

(٩٩) Jacques de Vitry, Hist. of Jerusalem, p.100

(١٠٠) Lane-poole, Saladin, and the Fall of the Latin Kingdom of Jerusalem, p.201.

ابراهيم المحمود، فن الحرب عند العرب، ص٣٨٤، يوسف الدبس، تاريخ سوريا، جـ٦، ص١٠٠.

(١٠١) الفتح القسي، ص١١.

(١٠٢) الكامل، جـ١١، ص٥٣١.

(١٠٣) الناصر صلاح الدين، ص٩٠.

(١٠٤) التاريخ الحربي المصري، ص١٧٧.

(١٠٥) Fuller, Decisive Battles of Western Europe and its influences upon hist., London 1954, p.237.

(١٠٦) King, The Knights of St. John, p.18

(١٠٧) مواقف حاسمة، ص١٣٤.

(١٠٨) ابراهيم خميس، العلاقات السياسية، ص٦٢-٦٣.

(١٠٩) Jacques de Vitry, Hist. of Jerusalem, p.100

(١١٠) La Monte, Feudal Monarchy, p.219. Archer, The Crusades, p.179.

وعن معركة عين كريسون انظر:

Richard, "La batille de Hattin, Saladin defait L'Occident" L'Histoire, XLVII, Annee 1982, p.107. Jacque de Vitry, Op.Cit., p.102

(١١١) Ernoul, Ernoul's account of Palestine, p.60

(١١٢) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص٨١، ابن شداد، النوادر السلطانية، جـ١، جمال الدين الشيال، ص٧٧، ابن الأثير، الكامل، حـ٩، ص١٧٩، ابن خلكان وفيات الأعيان، حـ٦، ص٧٦، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٢، ص١٩٦-١٩٧، الفتح البنداري، سنا البرق الشامي، ص٢٩٨، ابو الفداء، المختصر، حـ٤، ص٢٦، ابن الوردي، تتمة المختصر، حـ٢، ص٩٦، الحنبلي، الأنس الجليل، جـ١، ص٣١٢، ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٣٧، ابن سعيد الأندلسي، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص١٩٤، ابن ايبك الدواداري، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني ايوب، جـ٧، ص٩٦، المقريزي، السلوك، حـ١، ق١، ص٩٣، ابن خلدون، العبر، جـ٥، ص٤٤.

Jacques de Vitry, Hist. of Jerusalem, p.101. Richard, "An Account of The Battle of Hattin referring to The Frankish mercenaries in Oriental Moslem States" Speculum,XXVII, p.169. Oman, Hist Of Art of war, Vol.II, p.332. Belloc, The Crusade, World's debate, London 1957, p.294. Kerr, The Crusades, London 1966, p.49.

محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٢١٩.

خليل سركيس، تاريخ أورشليم، ط. بيروت ١٨٧١م، ص١٧٣، البيلي، حياة صلاح الدين، ص١٢٨.

(١١٣) ابن واصل، المصدر السابق، جـ٢، ص٢٧٨، الفتح البنداري، المصدر السابق، ص٣٠٨، نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي، ص١٨٥-١٨٦.

Stevenson, The Crusaders, p.252. Baldwin, The Decline and Fall of Jerusalem, p.616.

(١١٤) ابن العديم، زبدة الحلب، جـ٣، ص٩٥، اخذ برأيه، المحمود، فن الحرب عند العرب، ص٤٠٤.

(١١٥) Richard, Op. Cit., p.169.

(١١٦) King, The Knights of St. John, p.19-20

(١١٧) Stevenson, The Crusaders, p.248

(١١٨) الروضتين، جـ٢، ص٧٩، سامي سعد، الاسبتارية في رودس، ص٥٤، حاشية (١).

(١١٩) King, The Knights Hospitallers, p.123. Oman, Hist of the Art of war, Vol.II, p.332.

(١٢٠) Jacques de Vitry, Hist. of Jerusalem, p.102

(١٢١) تمكن صلاح الدين الأيوبي من دخول بيت المقدس في منتصف رجب ٥٨٣هـ/ ٢٠ سبتمبر ١١٨٧ وبذلك تكون مدة تواجد الصليبيين في المدينة حوالي تسعة وثمانين عاماً، وليس صحيحاً ما ذكره المؤلف المجهول لكتاب الاستبصار في عجائب الامصار ان الصليبيين استولوا على المدينة في شعبان سنة ٤٨٨هـ/اغسطس ١٠٩٥م، اذ ان استيلاءهم عليها كان عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، وقد فات الناشر ان يصحح ذلك الخطأ، وعن اشارة المصدرة المذكور انظر:
مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، ط. جامعة الاسكندرية ١٩٥٨م، ص١٠٦.

(١٢٢) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص١١٦-١١٧، ابن الأثير، الكامل، جـ١١، ص٢٢٥، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٢، ص٢١٥، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ق١، جـ٨، ص٣٩٧، الفتح البنداري، سنا البرق الشامي، ص٣٨٥، الحنبلي، الأنس الجليل، جـ١، ص٣٣١، ابن الشحنة، روضة المناظر، ص٢٨.

(١٢٣) Richard, An Account of The battle of Hattin, p.171, note (16).

(١٢٤) Archer, The Crusades, p.171.
عبدالمنعم ماجد، الناصر صلاح الدين، ص١٧٨، العلاقات، ص١٨٠، الحويري، الأوضاع الحضارية، ص٦١.

(١٢٥) عن ذلك انظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٧٤، المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٦١-١٦٢، ابن جبير، الرحلة ص٣١٤، RHC,Hist. Or.T.III، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٢١، ابن شداد الحلبي، الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ص١٦٣، الذهبي، دول الإسلام، جـ٢، ص٢٤، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص١٥٣.

(١٢٦) Geoffery de Vinsanf, p.106

(١٢٧) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان، ص٦٠.

(١٢٨) Archer, Op.Cit., p.177

(١٢٩) King, The Knights of St. John, p.21

(١٣٠) Ambroise, Crusade of Richard Heart of lion, p.143.

(١٣١) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص٥٦٧.

(١٣٢) نفسه، نفس المصدر، ص٥٧٥، ابوشامة، الروضتين، جـ٢، ص١٨٩، الحنبلي، الأنس الجليل، جـ١، ص٢٧٧، ابن الوردي، تتمة المختصر، جـ٢، ص١٠٣.

(١٣٣) ارسوف، تقع على بعد عشرة اميال إلى الشمال من يافا على ساحل فلسطين وبينها وبين الرملة اثني عشر ميلاً، عنها أنظر: المقدسي، احسن التقاسيم، ص٥٤، ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص٢٠٧، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٣٨-٢٣٩، السمعاني، الانساب، جـ١، ص١٨٦.
Jacques de Verone, le pelerinage du Moine Augustin. Jacques de verone, publie par Rohricht, Rol,III, Annee 1895, p.180, Ency. of Isl., "Arsuf", I, p.654.

(١٣٤) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٨٣، سعيد عبدالفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص١٨٣، محمد فريد ابو حديد، صلاح الدين الأيوبي وعصره، ط. القاهرة ١٩٢٧م، ص١٧٣، السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، جـ١ ص٩٦٢، الرمادي، صلاح الدين الأيوبي، الحويري، العادل الأيوبي، ص٣٢، حامد غنيم، الجبهة الإسلامية، جـ٢، ص١٦٤.

(١٣٥) كان جارنييه دي نابلس آخر المقدمين من عناصر الأنجلو نورمان في تنظيم الاسبتارية ولقد كان محارباً شجاعاً، وفي كلمة معروفة في إحدى الحوليات الصليبية -كما يذكر كنج- وردت عبارة عن بسالته وشجاعته البالغة في عمليات الجيش ضد أعدائه من المسلمين وقد مات في عام ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م، عنه انظر:
Geoffery de Vinsauf, p.237. King, The Knights of St. John, p.24

(١٣٦) King, Ibid.,p23. Ambroise, p.260

(١٣٧) .Geoffrey de Vinsauf, p.242

هما المارشل وليم بوريل William Borrell. وبولدوين لي كارونBaldwin Le Carron

ايضاً أنظر:

Eggemberger, Dictionary of Battles, p.30. Norman, Médieval Soldier, p.190.

(١٣٨) يقول "لقد رايتهم وقد اجتمعوا في وسط الرجالة وأخذوا رماحهم وصاحوا صيحة الرجل الواحد وخرج لهم رجالتهم وحملوا حملة واحدة من الجوانب كلها فحملت طائفة على الميمنة وطائفة على الميسرة وطائفة على القلب واندفع الناس بين ايديهم واتفق اني كنت في القلب ففر القلب فراراً عظيماً فنويت التميز إلى الميسرة وكانت أقرب إلى فوصلتها وقد انكسرت كسرة عظيمة فنويت التميز إلى الميمنة فرأيتها وقد فرت اشد فراراً من الكل"، انظر: النوادر السلطانية، ص١٨٢-١٨٤.

(١٣٩) سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص٨٧٥، عاشور والرافعي، مصر في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٣٣٢.

(١٤٠) ابن شداد، المصدر السابق، ص١٨٤.

Lane-Poole, Saladin, p.330. King, The knights of St. John, p.23

عبدالرحمن زكي، الجيش المصري في العصر الإسلامي، ص١٤٩، سعداوي، جيش مصر في أيام صلاح الدين، ص٧٤.

(١٤١) ابن شداد، المصدر السابق، ص١٨٣.

(١٤٢) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ٨، ق١، ص٤٠٩، ابن خلدون، العبر، جـ٥، ص٣٢٦، قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي، ط. بيروت ١٩٤٧م، ص٦٥.

(١٤٣) الذهبي، دول الإسلام، جـ٢، ص٩٩، وعن معركة ارسوف بصفة عامة أنظر:

Runciman, Vol.II, p.75, Samil, Crusading Warefare, p.80, CMH, Vol. V,p.311

(١٤٤) سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص٨٢٦.

(١٤٥) نفسه، نفس المرجع والصفحة، نقلاً عن رينيه جروسيه. Hist. des Crois. T.III, p.71

(١٤٦) Lamb, The Crusades, London 1931, p.178

(١٤٧) Mayer, The Crusades, pp.144-145

(١٤٨) Oman, Hist. of the art of war, Vol.II, p.318

(١٤٩) Gibb, The life of Saladine, Oxford 1973, p.71

(١٥٠) عن أطماع الصليبيين في مصر وموقعها في المخططات السياسية والحربية الصليبية انظر بالتفصيل: ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٣، ص٢٥٨، محمد مصطفى زيادة، مصر والحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٤٢م، ص٧-٨، الحويري، العادل الأيوبي، ص٩٠-٩١، حامد غانم زيان، العلاقات بين صقلية ومصر والشام ابان الحروب الصليبية، رسالة دكتوراة غير منشورة -كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٧٢م، ص١٠٦، احمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص١٠١، سعيد عبدالفتاح عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ص٦٨، فايد عاشور، العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الاسلامي في العصر الايوبي، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م، ص٨٠، وما بعدها.

(١٥١) حامد غنيم، الجبهة الإسلامية، جـ٢، ص٢١٠.

(١٥٢) Quatre pieces relative a l'Ordre Teutonique en Orvent, AOL,II,p.165.

(١٥٣) Thatcher, Source book of Medieval Hist., pp.540-542.

(١٥٤) Thomas C. Van cleve, The fifth crusade, in Setton, The Crusades, Vol.II, p.375

(١٥٥) جمال الدين الشيال، مجمل تاريخ دمياط، ط. القاهرة ١٩٤٩م، ص٢٠.

(١٥٦) تولي بطرس مونتاجو القيادة من بعد وليم بواسيه من عام ٦١٧-٦٢٧هـ/ ١٢٢٠-١٢٢٩م، عنه انظر:

محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص٣٦٢، حاشية (٣)، العريني، الاقطاع الحربي عند الصليبيين في مملكة بيت المقدس، ص١٩، عبدالحفيظ علي، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين، ص١٧١.

(١٥٧) سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص٩٧٧.

(١٥٨) Quatre pieces relative a l'Ordre Teutonique en Orient, p.165.

(١٥٩) Oliver of Padenborn, The Capture of Damietta, trans. by Cavigan, Philadelphia 1948, p.47
نيقولا يوسف، تاريخ دمياط منذ أقدم العصور، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص١٣٦. انظر مناقشة تواريخ سقوطها بالتفصيل، محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص٣٢٣-٣٢٤.

(١٦٠) ابراهيم خميس، العلاقات السياسية، ص١٠٤.

(١٦١) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٤، ص٩٨.

(١٦٢) Runciman, Vol.II,p.129
وعن الاتفاق بين الكامل والصليبيين انظر: سبط الجوزي، مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص٦٢٠، ابن واصل، المصدر السابق، جـ٤، ص٩٧، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٢٤٢.

(١٦٣) عن ذلك انظر الباب الثاني- الفصل الثاني.

(١٦٤) عن ذلك الاتفاق انظر: ابن واصل، المصدر السابق، جـ٤، ص٢٤١-٢٤٣، ابو الفداء، المختصر، جـ٣، ص١٤١، ابن العديم، زبدة الحلب، جـ٣،ص٢٠٥، ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص١٧٦، ابن ايبك الدواداري، الدر المطلوب، ص٢٩٢، المقريزي، السلوك، جـ١، ق١ ص٢٣٠-٢٣٢، نظير حسان سعداوي، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص٩٦-٩٧، محمد مصطفى زيادة، مصر والحروب الصليبية، ص١٢،، التكريتي، الأيوبيون في شمال الشام، ص٢٠٤.

(١٦٥) Duggan, The Crusades, p.225, Archer, The Crusades, p.225, Crousset, T.III,332-333. Kantorowicz, Frederick The second, p.182. Riley-Smith, Feudal Nobility, p.170
سعيد عبدالفتاح عاشور، "الامبراطور فردريك الثاني والمشرق العربي"، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد (١١) لعام ١٩٦٣م، ص٢٠٩.

(١٦٦) King, The Knights Hospitallers, p.206
سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، حـ٢، ص٢٢٢.

(١٦٧) Riley-Smith, Op. Cit., p.170

(١٦٨) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ٨/ق١، ص٦٥٧، حامد غانم زيان، العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام، ص١٤٧.

(١٦٩) Mayer, The Crusades, p.250. Riley-Smith, Op. Cit., p.211. Gibb, The Aiyubids, in Setton, The Crusades, Vol.II, p.709. Parker, Palestine, p.139
محمد أمين، الصالح نجم الدين أيوب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٦٧م، ص١٠٥، لامونت، الحروب الصليبية، ص١٣٣، ميخائيل اسكندر، القدس عبر التاريخ، ص٦٤.

(١٧٠) وقعت المعركة المذكورة عند قرية هربيا، المعروفة في المصادر الصليبية باسم لافوربي La Forbie على بعد عدة أميال قليلة شمال شرق غزة وتعرف هذه المعركة ايضا باسم معركة غزة، أو حطين الثانية، عنها: Runciman, Vol.II, p.709

(١٧١) Riley-Smith, Feudal Nobility, p.211

(١٧٢) لم يكن هذا القائد هو ركن الدين بيبرس البندقداري الذي تولى حكم مصر فيما بعد وتلقب بالظاهر وحكم في المدة من عام ٦٥٩-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م، بل هو أحد مماليك الصالح نجم الدين ايوب وكان من عناصر الخوارزمية وكذلك زوجته، وقد خان سيده عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م حتى تمكن الأخير من انزال الهزيمة بهم في عام ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م فقتله، وقد خلط بعض المؤرخين الحديثين بين الشخصين ومن امثلتهم ارنست باركر وكنج، اما اولئك الذين نبهوا إلى ذلك الخلط فمنهم: هاملتون جب ومحمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور وذلك اعتماداً على نص صريح لابن تغرى بردى عن ذلك انظر: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٣٢٢، محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع، ص٦٩، سعيد عبدالفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، ص٢٠-٢١، سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص١٠٣٥، هاملتون جب، صلاح الدين الأيوبي، ص٢٢٧، حاشية (١٩). انظر الخلط الذي وقع فيه كنج وكذلك باركر:

باركر، الحروب الصليبية، ص١٥٢-١٥٣ . King, The Knights of St. John, p.29

(١٧٣) ابن العميد، تاريخ الأيوبيين، ص١٥٥.

(١٧٤) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٥، ص٣٣٨، وما بعدها، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص٧٤٥، الذهبي، دول الاسلام، جـ٢، ص١٤٧، العبر، جـ٥، ص١٧١، المقريزي، السلوك، حـ١، ق٢، ص٣١٧، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، حـ٦، ص٣٢٣.

(١٧٥) ابن العميد، المصدر السابق، ص١٥٥.

(١٧٦) ابراهيم خميس، العلاقات السياسية، ص١٢٤.

(١٧٧) Stevenson, The Crusaders, p.323.

سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، حـ٢، ص١٠٤٦.

(١٧٨) Stevenson, The Crusaders in the fast, p.323

(١٧٩) Mary Nikerson Hardwicke, the Crusader States in Setton, The Crusades, Vol.II, p.563

(١٨٠) Ibid, p.563

(١٨١) Gibb, The Aiyubids, p.709.

(١٨٢) ابراهيم خميس، العلاقات السياسية، ص١٢٤.

(١٨٣) يوضح ماير ان من نتائج المعركة فقدان الصليبيين لعسقلان ومنطقة الجليل الشرقي، انظر: Mayer, The Crusades, p.250

(١٨٤) La Monte, Feudal Monarchy, p.219.

(١٨٥) Bradford, Shield and Sword, p.45

(١٨٦) Boase, Kingdoms and Strongholds, p.183

(١٨٧) Stevenson, The Crusaders, p.323

(١٨٨) Elizabeth chaphin furber, The Kingdom of Cyprus, in Setton, Vol.II, p.563

(١٨٩) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ١/ق٢، ص٧٤٦.

(١٩٠) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٥، ص٣٣٨-٣٣٩.

(١٩١) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٣٢٣.

(١٩٢) Eracles, pp.429-430

(١٩٣) Boase, op.Cit, p.183

وعن معركة هربيا وعن معالجة المؤرخين الحديثين لها انظر:

يوسف الدبس، تاريخ سوريا، جـ٦، ص٢٥١، حامد غنيم، الجبهة الإسلامية، جـ٢، ص٢٦٩-٢٧٢، نافع العبود، الدولة الخوارزمية، ص١٨٥، براور، عالم الصليبيين، ص٨٨، سعداوي، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، ص١٠٨-١٠٩، أسامة زكي، صيدا ودورها في الصراع الاسلامي، ص٢٢٨، باركر، الحروب الصليبية، ص١٥٢.

(١٩٤) King, The Knights Hospitallers, p.242.

سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، حـ٢، ص١٥٧، محمد أمين، الصالح نجم الدين ايوب، ص١١٧، المطوي، الحروب الصليبية، ص٨٧.

(١٩٥) جوانفيل، القديس لويس، ص١١٤.

(١٩٦) جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على مصر، ط. بيروت ١٩٨١م، ص١٦٩، حاشية (٥)، ويعتمد على الاتجاه الذي ذهب إليه دي لافيل لورولكس وكذلك كنج من بعده وقد أقر صراحة ما نصه "لاتتحدث المصادر المسيحية المعاصرة إلا عن الداوية ولكن يؤكد بعض المؤرخين الحديثين ان الاسبتارية اشتركوا إلى جانب الداوية..".

(١٩٧) جوانفيل، المصدر نفسه، ص١٢٢.

(١٩٨) Oman, The art of war, Vol.I, p.345

جوزيف نسيم يوسف، هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل، ط. القاهرة ب.ت، ص٤٨-٤٩، حياة الحجي، لويس التاسع، ط. الكويت ١٩٨٣م، ص٥٥.

(١٩٩) Eracles, pp.226-230

(٢٠٠) جوزيف نسيم يوسف، المرجع نفسه، ص٥٢، العدوان الصليبي على مصر، ط. بيروت ١٩٨١م، ص١٦٥، حسن حبشي، الشرق الأوسط بين شقي الرحى، حملة القديس لويس على مصر والشام، ط. القاهرة، ص٧٤-٧٥.

(٢٠١) جوانفيل، القديس لويس، ص١١٥، يذهب جوزيف نسيم إلى القول بأن عدد القتلى من الداوية قد بلغ ثلاثمائة (انظر: هزيمة لويس التاسع، ص٥٧) ثم يعود ويقرر ان عددهم بلغ مائتين وخمسة وثمانين (انظر: العدوان الصليبي على مصر، ص١٧٠).

ويلاحظ ان زيادة رأي أن القتلى منهم ثلاثمائة، (انظر: حملة لويس التاسع على مصر، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص١٥٧) وارجح رأي جوانفيل على اعتبار انه اوثق مصادر الحملة نظراً لمعاصرته وقربه من الملك الفرنسي حينذاك.

(٢٠٢) جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على مصر، ص١٨٣.

King, The Knights of St. John, p.29.

(٢٠٣) Joinville, The life of Saint Louis, p.259. King, The Knights of St. John, p.29. Grousset, Hist. des Crois.T.III, p.492. Conder, The Latin Kingdome of Jerusalem, p.355

جوزيف نسيم يوسف، هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل، ص١١٦، العدوان الصليبي على مصر، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م، ص٢٨٥، حبشي، الشرق الأوسط بين شقي الرحى، ط. القاهرة ١٩٤٩م، ص١٠٩، محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع، ص١٠٩، عبدالرحمن زكي، الجيش المصري في العصر الإسلامي، ص٢١٩، عزيز سوريال عطيه، العلاقات بين الشرق والغرب، ص٧٧.

(٢٠٤) عبدالحفيظ محمد علي، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين، ص١٦٢.

(٢٠٥) Joinville, The life of Saint Louis, p.300. La Monte, Feudal Monarchy, p.274. Prawer, The Latin kingdon of Jerusalem, p.276.

جوزيف نسيم يوسف، لويس التاسع في الشرق الأوسط، ص١٧٧-١٧٨.

(٢٠٦) الحريري، الأوضاع الحضارية، ص٧٠.

(٢٠٧) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٣٦٢-٣٦٥.

(٢٠٨) ابن عبدالظاهر، تشريف الايام والعصور، ص١٧٧.

Atiya, The Crusade in the Later middle ages, London 1938, p.29.

(١٠٩) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص١٧٨-١٧٩، سعيد عبدالفتاح عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص٦٨.

(٢١٠) لامنس، تجارة سوريا في الأجيال الوسيطة "المشرق العدد (٢٠) لعام ١٩١٩م، ص٩٢١، سعيد عبدالفتاح عاشور، الايوبيون والمماليك، ص٢٥٦، الكس الكرمل، تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين، ت.تيسير الياس، ط. حيفا ١٩٧٩م، ص٢١.

(٢١١) King, The Knights Hospitallers, p.289, Stevenson, The Crusaders, p.351.

(٢١٢) عبدالرؤوف عفيفي، الأشرف خليل بن قلاوون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة- ب-ت، ص٢٧.

King, Ibid, p.239, Bradford, Shield and Sword, p.48.

(٢١٣) Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 342.

عبدالحفيظ محمد علي، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين، ص١٧٢.

(٢١٤) King, The Knights Hospitallers, p.289

(٢١٥) La Monte, Feudal Monarchy, p.276.

(٢١٦) ابراهيم خميس، العلاقات السياسية، ص٢١٩.

(٢١٧) يشير بعض المؤرخين إلى الضعف الداخلي لعكا من خلال تعدد واختلاف الجنسيات التي احتواها الكيان الفرنجي الصليبي داخلها، كذلك وجدت انقسامات بينهم، ثم أن حجم المساعدات المادية القادمة من الغرب الأوروبي كانت قد نقصت، وبصفة عامة فان سقوط الكيانات السياسية ايا كان نوعها يكون من الداخل وليس من الخارج، عن تلك العوامل انظر:

Gibbon, Decline and Fall of The Roman Empire, London1935, Vol.II, P.421

(٢١٨) Runciman, Vol,p.416

(٢١٩) ابن بهادر، فتوح النصر، جـ٢، ورقة (١٦٩).

ويقرر العيني ان عدد المجانيق بلغ اثنين وخمسين والبعض يذكر ان عددها هو اثنين وسبعون، انظر: عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، مخطوط بدار الكتب، ورقة (٣٥).

(٢٢٠) ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، جـ٨، ص١١١.

(٢٢١) Hill, History of Cyprus, Vol.II,p.125

(٢٢٢) الحريري، الاعلام والتبيين، ورقة (٢٩)

(٢٢٣) عبدالرؤوف عفيفي، الاشرف خليل بن قلاوون، ص٢٨.

(٢٢٤) نفسه، نفس المرجع والصفحة.

(٢٢٥) Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, p.342

(٢٢٦) بيبرس الدواداري، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة، ص٣٢٥، ابو الفداء، المختصر،جـ٤، ص٢٦، ابن الوردي، تتمة المختصر، جـ٢، ص٢٣٥، ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٣، ص٣٢٠، ابن ايبك الدواداري، الدرة الزكية، ص٣٩، درر التيجان، ورقة (٢٩١)، الذهبي، دول الاسلام، جـ٢، ص١٨٩، مفضل بن ابي الفضائل، النهج السديد، ص٥٤٧، ابن الشحنة، روضة المناظر، ص١٤٧، اليافعي، مرآة الجنان، جـ٤، ص٢٠٩، البغدادي، عيون اخبار الاعيان، جـ٢، ورقة (٤٣٦)، السلامي، مختصر التواريخ، ورقة (٧٠)، سر الختم عثمان، مدينة صور، ص١٧١، محمد مصطفى زيادة، الدولة المملوكية الأولى، ص٤٩٧، مصطفى الكناني، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامي، حـ٢، ص٢٨٤.

(٢٢٧) بيبرس الداوداري، المصدر السابق، ص٣٢٥، ابن حبيب، تذكرة البنية، ص٣٧٥.

(٢٢٨) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص٦، يلاحظ هنا أن اشارة ابن تغرى بردى نفسها وجدت قبلاً لدى بيبرس الدواداري في مخطوطته التحفة الملوكية، ورقة (٥٤) وان تميز النص في المخطوطة الأخيرة بقوله "عصيت الابراج الكبار وهي الداوية والامن والاسبتار" وهو النص نفسه الذي اورده في زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة، القسم الذي نشره محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني وسعيد عبدالفتاح عاشور، في وثائق مختارة، ص٥٧، وايراد الأمن هنا هو تحريف لكلمة الأرمن، وموضع الكلمة هنا بين لفظة الداوية والاسبتارية يدل على أن المقصود بها عناصر مشابهة للتنظيمين المذكورين والحقيقة ان المقصود بها هم اسبتارية الأرمن الذين اشار اليهم ابن عبدالظاهر في كتابه الروض الزاهر (٣٨٥) ولما تبين ان هذا التعبير اطلقه ليعني به عناصر الصليبيين التي سيطرت على قلعة القرين واتضح انهم التيوتون (انظر الباب الثاني–الفصل الاول) فانني ارجح بأن هذه الكلمة "الأرمن" المقصود بها اسبتارية الأرمن وهو اصطلاح ورد لأول مرة –أغلب الاحتمال– لدى ابن عبدالظاهر الذي عاصر السلطان بيبرس البندقداري الذي سقطت في عهده قلعة القرين.

(٢٢٩) ابو الفداء، المختصر، حـ٤، ص٢٦، ابن الوردي، تتمة المختصر، حـ٢، ص٢٣٥، ابن خلدون، العبر، حـ٥، ص٤٠٤، الدبس، تاريخ سوريا، حـ٦، ص٣٠١.

(٢٣٠) John de Villiers, Aletter of John de Villiers Master of Hospital describing the Fall of Acre, in king, The Knights Hospitallers, pp.301-303

(٢٣١) John de Villeirs, pp.301-302. Barber, Trial of Templars, p.13. Duggan, The Crusades, p.250

(٢٣٢) سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص١١٧.

(٢٣٣) John de Villiers, p.302

(٢٣٤) Ludolph Von Suchem,, Description of The Holy land, p.59

بيبرس الدواداري، زبدة الفكرة، ص٣٢٧، ابن ايبك الدواداري، الدرة الزكية، ص ٣١٠، مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص٨، عبدالرؤوف عفيفي، الاشرف خليل بن قلاوون، ص ٤٠.

(٢٣٥) بيبرس الدواداري، زبدة الفكرة، ص ٣٣٠، عاشور، الحركة الصليبية، حـ٢، ص١١٨٣، عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص٢١، حاشية (٢)

Fedden, Crusader Castles, p.59, Mayer, The Crusades, p.274, Parker, Hist. Of Palestine, p.186.

(٢٣٦) عنها، يوسف سمارة، جولة في الاقليم الشمالي، ص٧٧-٧٨.

(٢٣٧) Anonymous pilgrips, Anonymous pilgrim III, in PPTS, VI, p.13

(٢٣٨) انظر، سعيد عبدالفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٥٧م.

Diehl, "Les Monuments de L'Orient Latin" ROL, V, Annee 1897, p.295.

(٢٣٩) بالتفصيل: سامي سعد، الاسبتارية في رودس، رسالة دكتوراة غيرمنشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٧٧م، الياس سركيس، سفر الأحبار في سفر الأحبار، ط. بيروت ١٩٦٨م، ص٧٩.

(٢٤٠) بالتفصيل Cavaliero, The last Crusaders, London 1960.

(١٤١) عن عوامل انهيار مملكة الصليبيين واخفاق المشروع الصليبي انظر الفصل المخصص لذلك في هذا الكتاب. محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية من قضايا السياسة، المياه، العقيدة، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

(٢٤٢) Diehl, Les Monuments de l'Orient,p.295

الخاتمة

تمخضت الفصول السابقة عن عدد من النتائج التي من الممكن اجمالها على النحو التالي:

أولاً: كشفت الصفحات السابقة عن قدرة الكيان الصليبي الذي تمكن من غزو منطقتنا في أخريات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي- قدرته على تأسيس كيانات دينية حربية من أجل دعم وجوده الحربي والسياسي في ظروف الصراع الصليبي-الإسلامي. وفيها تم الالتقاء بين فكرة الرهبنة والحرب على نحو سمح بظهور مثل تلك التنظيمات الدينية الحربية التي قامت بأدوار فاعلة في سبيل مواجهة المسلمين، وأقرت المصادر التاريخية العربية بذلك، وهكذا كان على المسلمين مواجهة تلك العناصر الحربية الصليبية إلى أن تمكنوا من طرد ذلك الكيان الدخيل في ختام القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

ثانياً: اوضحت الدراسة ان التنظيمات المذكورة زاد نفوذها بصورة واضحة من خلال المنح والهبات والعطايا التي قدمت لها من الغرب الأوروبي وكذلك من الصليبيين المقيمين في بلاد الشام، كذلك لم يكن لتلك التنظيمات طاعة الا للبابا رأس كنيسة روما ولذلك عارضت -أحياناً- القرار السياسي لمملكة بيت المقدس الصليبية وبمرورا لأعوام صارت بمثابة دولة داخل الدولة الصليبية على نحو كان له أثره السيء على الوجود الصليبي، وعمل على هدم ذلك الوجود من الداخل، ولا يغفل المرء التنافس الذي حل بين تلك التنظيمات من أجل المزيد من المكاسب والمغانم السياسية والاقتصادية على نحو كشف عن الوجه الحقيقي لها وهي انها لم تكن تحرص على الوجود الصليبي وحمايته بل تحقيق اكبر قدر من المغانم، والأسلاب، وسلب الشرق على نحو كشف بجلاء عن أن ثروات الشرق اسالت لعاب الرهبان الصليبيين، وأمام الواقع المادي واغراءاته تأكد لنا.ان هناك فجوة واضحة المعالم بين المثال الصليبي والواقع، وفي تاريخ تلك التنظيمات الصليبية على أرض بلاد الشام ومصر ما يؤكد انها لم تكن ذات طابع مثالي، كما وصفتهم الحوليات الصليبية بل ان المطامع المادية كان لها القدح المعلى.

ثالثاً: اتضح بجلاء أن القلاع الصليبية والتي خضع العديد منها لعناصر الاسبتارية والداوية والتيوتون لعبت دوراً فاعلاً في تثبيت اقدام الصليبيين في المنطقة، فلا عجب اذا ادرك المرء أن تاريخ الصليبيين في الشرق هو -في جانب هام وفعّال فيه- هو تاريخ قلاعهم ودورها التاريخي هجوماً ودفاعاً.

وعلى الرغم من تغيير الغزاة لطبيعة الأرض العربية المسلمة وزرعهم القلاع هنا وهناك، وكذلك المستعمرات الصليبية على حساب سكان البلاد الأصليين، إلا أن ذلك لم يكن ليضمن للغزاة الاستمرار في المنطقة إلى مالانهاية. إذ ان تلك الحركة التي قامت على التعصب ضد كل ما هو غير مسيحي كاثوليكي

لم يكن لها ان تستمر اكثر من قرنين بعدها تأكد اخفاقها الكامل وعجزها عن القيام بدور حضاري في الشرق لأن يسير وهو أن الشرق كان أرقى حضارة من الصليبيين انفسهم.

رابعاً: من المهم ملاحظته ان أفضل وسيلة لإدراك طبيعة وتطور المشروع الصليبي على أرض بلاد الشام دراسته من الداخل من خلال مؤسساته السياسية والحربية والاقتصادية. إذ ان ذلك من شأنه ان يجعلنا ندرك كيف تكوّن ذلك الوجود الدخيل، وكيف استمر، ثم كيف تم دحره في نهاية المطاف، وبدون ذلك الاتجاه لا يستطيع المرء ادراك طبيعة المرحلة التاريخية ذاتها، وهكذا، فإن دراسة "الدخيل" الصليبي يعد خير وسيلة من أجل ادراك تطورعلاقاته مع القوى السياسية الخارجية سواء القوى الإسلامية أو حتى القوى السياسية في الغرب الأوروبي ذاته.

خامساً: أوضحت الفصول السابقة كيف أن تلك التنظيمات مثلت صيغة أوروبية على أرض الشرق وظلت تعتمد على الدعم الأوروبي مادياً ومعنوياً بصورة كشفت عن ان الوجود الصليبي ذاته وكذلك مؤسساته الدينية والحربية لم تكن تستطيع القيام والاستمرار دون الدعم الأوروبي غير المحدود وظل ذلك الكيان بمثابة عالة على الغرب الأوروبي ولم يستطع الاعتماد على نفسه، بل شكلت الموارد القادمة من هناك عنصراً اساسياً مكن الغزاة من التأسيس والاستمرارعلى حساب المسلمين، غير ان اشتداد ضربات حركة الجهاد الإسلامي ادت بذلك الكيان إلى الاخفاق والطرد من المنطقة إلى أوروبا حيث الوطن الأصلي لفكرة الصليبيات.

الملاحق

ملحق رقم (١)

قائمة بمقدمي تنظيم الاسبتارية

١- المقدس جيرارد Blessed Gerard (٤٩٢-٥١٤هـ/١٠٩٩-١١٢٠م)
٢- رايموند دي بوي Raymond du Puy (٥١٤-٥٥٦هـ/١١٢٠-١١٦٠م)
٣- انجر دي باليم Anger de Balen (٥٥٦-٥٥٨هـ/١١٦٠-١١٦٢م)
٤- ارنولد دي كومب Arnold de Comps (٥٥٨هـ/١١٦٢م)
٥- جيبرت داسيلي Gilbort D'Assaily (٥٥٨-٥٦٦هـ/١١٦٢-١١٧٠م)
٦- كاست دي مورول Caste de Morols (٥٦٦-٥٦٨هـ/١١٧٠-١١٧٢م)
٧- جوبيرت Jobert (٥٦٩-٥٧٣هـ/١١٧٢-١١٧٧م)
٨- روجر دي مولين Roger des Moulins (٥٧٣-٥٨٣هـ/١١٧٧-١١٨٧م)
٩- وليم بوريل "نائب مقدم" William Borrell (٥٨٣-٥٨٤هـ/١١٨٧-١١٨٨م)
١٠- ارمنجو داسب Armongaud d'Aspe (٥٨٤-٥٨٦هـ/١١٨٨-١١٩٠م)
١١- جارنيه دي نابلس Garnier de Nablus (٥٨٦-٥٨٩هـ/١١٩٠-١١٩٢م)
١٢- جوفري دي دونجو Geoffrey de Donjou (٥٩-٥٩٨هـ/١١٩٣-١٢٠٢م)
١٣- الفونسو البرتغالي Alfonso of Portogal (٦٠٠-٦٠٤هـ/١٢٠٣-١٢٠٦م)
١٤- جوفري لو را Geoffrey le Rat (٦٠٣-٦٠٤هـ/١٢٠٦-١٢٠٧م)
١٥- جارين دي مونتاجو Garin de Montaigu (٦٠٤-٦١٥هـ/١٢٠٧-١٢٢٨م)
١٦- برتراند دي تيسي Bertrand de Thessy (٦١٥-٦١٧هـ/١٢٢٨-١٢٣٠م)
١٧- جويرن Guerin (٦١٧-٦٢٣هـ/١٢٣٠-١٢٣٦م)
١٨- برتراند دي كومب Bertrand de Comps (٦٢٣-٦٢٦هـ/١٢٣٦-١٢٣٩م)
١٩- بيتر دي فيلبرد Peter de Villebride (٦٢٦-٦٣٩هـ/١٢٣٩-١٢٥٢م)
٢٠- وليم دي سينلس "نائب المقدم" William de Senlis (٦٢٦-٦٢٨هـ/١٢٣٩-١٢٤١م)
٢١- وليم دي شاتينوف William de Chateauneuf (٦٢٩-٦٤٥هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م)
٢٢- جون دي روناي "نائب المقدم" John de Ronay (٦٣١-٦٣٧هـ/١٢٤٤-١٢٥٠م)
٢٣- هينو ريفل Hugh Revel (٦٥٦-٦٧٦هـ/١٢٥٨-١٢٧٧م)
٢٤- نيكولاس لي لورن Nicholas le Lorgne (٦٧٦-٦٨٤هـ/١٢٧٧-١٢٨٥م)
٢٥- جون دي فليير John de Villiers[1] (٦٨٤-٦٩٤هـ/١٢٨٥-١٢٩٤م)

(١) King, The Rule Statutes and Customs, p.XV.

ملحق رقم (٢)

قائمة بمقدمي هيئة الداوية في بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية

١- هيو دي باين Hugh de Paynes (٥١٢- ٥٣١هـ/ ١١١٩-١١٣٦م)
٢- روبرت دي كراون Robert de Craon (٥٣١-٥٤٢هـ/ ١١٣٦م-١١٤٧م)
٣- افرار دي باري Everard de Barres (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)
٤- برنارد دي ترميلاي Bernard de Tremlay (٥٤٦-٥٤٨هـ/ ١١٥١-١١٥٣م)
٥- افرار Everard (٥٤٨-٥٤٩هـ/ ١١٥٣-١١٥٤م)
٦- أندريه دي مونتبار Andre de Montbard (٥٤٩-٥٥١هـ/ ١١٥٤-١١٥٦م)
٧- برنارد دي بلانكفورت Bernard de Blanquefort (٥٥١-٥٦٥هـ/ ١١٥٦-١١٦٩م)
٨- فيليب دي ميلي Philippe de Milly (٥٦٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٩-١١٧١م)
٩- أود دي سان أمان Eude de Saint Amand (٥٦٧-٥٧٥هـ/ ١١٧١-١١٧٩م)
١٠- ارنولد دي توروج Arnold de Tour Rouge (٥٧٧-٥٨٠هـ/ ١١٨١-١١٨٤م)
١١- جيرار دي ريدفورد Gerard de Radefort (٥٨٠-٥٨٥هـ/ ١١٨٤-١١٨٩م)
١٢- روبرت دي سابله Robert de Sable (٥٨٥-٥٩٠هـ/ ١١٨٩-١١٩٣م)
١٣- جيلبرت اريل Gilbert Arail (٥٩٠-٥٩٧هـ/ ١١٩٣-١٢٠٠م)
١٤- فيليب دي بيالسيس Philippe du Pialssis (٥٩٨-٦٠٦هـ/ ١٢٠١-١٢٠٩م)
١٥- جيوم دي شارت Guillume de Charte (٦٠٧-٦١٥هـ/ ١٢١٠-١٢١٨م)
١٦- بيير دي مونتاجو Pierre de Montaigu (٦١٦-٦٣٠هـ/ ١٢١٩-١٢٣٢م)
١٧- ارموند دي بيرجور Armand de Perigord (٦٣٠-٦٤٢هـ/ ١٢٣٢-١٢٤٤م)
١٨- جيوم دي سوناك Guillaume de Sonnac (٦٤٢-٦٤٨هـ/ ١٢٤٤-١٢٥٠م)
١٩- رينو دي فيشيه Renaud de Vichier (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)
٢٠- توماس بيرو Thomas Beraud
٢١- جيوم دي بيوجو Guillaume de Beaujeu (٦٧٢-٦٩١هـ/ ١٢٧٣-١٢٩١م)
٢٢- توما جودين Thomas Gaudin[1] (٦٩١-٦٩٢هـ/ ١٢٩١-١٢٩٢م)

(١) Ency. Universalis, "Templars", Paris 1978, Vol.XV, p.920

ملحق رقم (٣)

قائمة بمقدمي تنظيم التيوتون[١]

١- جيرارد Gerhard (٥٨٨هـ/١١٩٢م)

٢- فالبوت فون باسينهايم Walpot Von Bassenheim، توفي في عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م

٣- اوتو فون كيربن Otto Von Kerpen (٦٠٥-٦٠٦هـ/١٢٠٨-١٢٠٩م)

٤- هرمان بارت Herman Bart توفي في عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م

٥- هرمان فون سالزا Herman Von Salza (٦٠٨-٦٣٧هـ/ ١٢١١-١٢٣٩م)

٦- كونراد فون تورنجم Conrat Von Thuringen توفي في عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م

٧- جيرارد فون مالبرج (لوكسمبرج) Gerhard Von Malberg
ارتبط بتنظيم المعبد عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م ومات في عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م

٨- جود فريد فون هوهنلوهي (فرانكين)Gottfried Von Hohenlohe
ورد ذكره في وثيقة يرجع تاريخها إلى عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م

٩- بوبو فون اوسترنا (تورنجن) Anno Von Osterna
عرف كمعلم في التنظيم عام ٦٥١/ ١٢٥٣م وتوفي في عام ٦٥٥هـ/١٢٥٧م

١٠- انو فون سانجرها وسن Anno Von Saugerhausen
ورد ذكره في وثائق ترجع من عام ٦٥٥هـ/١٢٥٧م إلى وثائق ترجع إلى عام ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م.

١١- هارتمان فون هلدرونجن Hartmaun Von Heldrungen لم يكن مذكوراً كمعلم في وثائق التنظيم.

١٢- بوركهارت فون شفاندن Burchard Von Schwanden ذهب في عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م مع أربعين من اخوة التنظيم إلى مدينة عكا وفي اليوم الثالث من بعد وصوله تخلى عن الرئاسة.

١٣- كونراد فون فويشتفانجن Konrad Von Feuchiwangen خرج مع بوركهارت فون شفانون في عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م.

---

(١) أود أن أشير إلى أن الباحثة نبيلة مقامي قد ارفقت رسالتها عن الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين ١٢،١٣م بثلاثة ملاحق منها ملحق خاص بتنظيم التيوتون وقد اوردت اسماء المقدمين دون تحديد مدة توليهم ذلك المنصب على الرغم من انها اتبعت ذلك بالنسبة لتنظيمي الاسبتارية والداوية. وقد قمت بعمل هذا الملحق اعتماداً على ما الفه رينهولد روهرشت Reinhold Rohricht تحت عنوان مساهمات إلى الحملات الصليبية Beitrage Geschichte der Kreuszzuge, Zweiter Band, Berlin 1878, pp.383-385.

ملحق رقم (٤)

نص الاتفاقية المعقودة بين السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري وتنظيم الاسبتارية في عام ٦٦٥هـ/١٢٦٦م

" قررت الهدنة لعشر سنين وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات وبطلت القطائع من بلاد الدعوة وحماة وقد تقدم ذكر ما كان على حماة والدعوة من القطيعة وشيزر وأفامية وهي في كل سنة على أبو قبيس ستمائة دينار مصرية ، حساب مكوكان غلة وستة دراهم وسيرلا مستحلاف مقدم بيت الاسبتار الأمير فخر الدين المقري ، الحاجب والقاضي شمس الدين بن قريش . كاتب الدرج الشريف ، فحلفوه " (١)

ملحق رقم (٥)

نص الرسالة التي ارسلها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري إلى مقدم الاسبتارية وذلك في أعقاب سقوط حصن الأكراد عام ٦٦٩هـ/١٢٧١م

" هذه المكاتبة إلى افريراوك- جعله الله ممن لا يعترض على القدر ولا يعاند من سخر لجيشه الظفر والنصر ، ولا يعتقد أن ينجي من أمر الله الحذر ولا يحمي منه محجور البناء ولا مبنى الحجر! -نعلمه بما سهل الله من فتح حصن الأكراد الذي حصنته وبنيته وخليته وكنت الموفق لو أخليته واتكلت في حفظه على اخوتك فما نفعوك وضيعتهم بالاقامة فيه فضيعوه وضيعوك ، وما كانت هذه العساكر تنزل على حصن ويبقى أو تخدم سعيداً ويشقى " . (٢)

---

(١) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٢٨٣.

(٢) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٣٧٦.

ملحق رقم (٦)

النقش الذي نقشه السلطان الظاهر بيبرس البندقداري يخلد ذكرى انتصاره على الداوية في صفد في عام ٦٦٤هـ/١٢٦١م

" أمر بتجديد هذه القلعة وتحصينها وتكميل عمارتها وتحسينها بعدما خلصها من أيدي الفرنج الملاعين وردها إلى أيدي المسلمين ونقلها من حوزة الديوية إلى حوزة المؤمنين وأعادها إلى الإيمان كما بدأ بها لأول مرة وجعلها للكفار خسارة وحسرة واجتهد وجاهد حتى بدل الكفر بالايمان والناقوس بالأذان والانجيل بالقرآن ووقف بنفسه حتى حمل تراب خندقها وحجارتها فيه بنفسه وبخواصه على الرؤوس السلطان الملك الظاهر ابو الفتح بيبرس فمن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الاسلام ومن سكنها من المجاهدين فليجعل له نصيباً من أجره فلا يخلد من الترحم في سره وجهره فقد صار يقال عمر الله صرحها بعد ما كان يقال عجل الله فتحها والعاقبة للمتقين إلى يوم الدين " .[1]

(١) Repertoire Chrondolgique de Epigraphie Arabe, T.XII, Annee1943, p.125

انظر اقتباس شلبي لفقرة صغيرة من النص وان كان بتعبير آخر غير الوارد هنا. شلبي، الحروب الصليبية، احدى حلقات الصراع بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٦٦م، ص ٨٠.

ملحق رقم (٧)

اشتراك فرسان الاسبتارية والداوية في الدفاع عن مدينة عكا عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م من خلال ما أورده العيني في مخطوطته عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان أوراق من (٣٤) إلى (٣٩)

الملحق التالي هو نص مأخوذ من مخطوطة المؤرخ بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ويصف فيه ظروف سقوط عكا في أيدي المماليك في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م.

وعلى الرغم من أن العيني يعتبر متأخراً زمنياً عن الحادثة الا انه قد قدم لنا اشارات جديرة بالأهمية في هذه المخطوطة فهو يوضح اشتراك عناصر فرسان الاسبتارية والداوية وبأعداد كبيرة في ظروف حصار المسلمين للمدينة كذلك قدم بعض التفاصيل الهامة عن الهجوم الذي بادر بشنه فرسان الاسبتارية والداوية على المسلمين دون جدوى وذكر اشتداد الحصار على المدينة من خلال أدوات الحصار الضخمة التي استقدمها المماليك خاصة المناجيق.

وعند مقارنة نص العيني بالنصوص الأخرى التي قدمها لنا شهود العيان المعاصرين من المؤرخين المسلمين نجد أن أهميته تتضاءل امام حجم المادة التاريخية التي يقدمونها سواء عند بيبرس الدواداري في زيدة الفكرة من تاريخ الهجرة والتحفة الملوكية في أخبار الدولة التركية. وابي الفداء في المختصر في أخبار البشر ذلك انهما اشارا إلى الدور الذي قام به الاسبتارية والداوية بعد أن سقطت المدينة في ايدي المسلمين وتحصنهم فيما وصفوه " بالأبراج الكبار " بينما نجد ان العيني لايشير البتة إلى دور اولئك الرهبان الفرسان، وعلى حين أفاد ابو الفداء –بحكم انه كان من القادة العسكريين في جيش الأشرف خليل– في تصور توزيعات قوات المسلمين امام عكا فان العيني لايفيد في هذا المجال.

ومما قد يؤخذ على نص العيني عدم اتساقه فعلى حين بدأ الرواية التاريخية عن الحادثة بأمر حصار المسلمين لعكا وبدايات ذلك وما تلاه من أحداث واستمر في عرضه حتى انتهى بسقوط المدينة فانه عاد مرة أخرى مستعيناً بما ورد في كتاب يذكر عنوانه وهو " نزهة الناظر " ليقدم تفاصيل أخرى عن استمرار القتال وحصار المسلمين للمدينة.

ومع ذلك، وعلى الرغم من التقرير بتفوق المصادر التاريخية المعاصرة على العيني في أمر سقوط عكا عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م الا انه افاد في تدعيم صورة دور الرهبان الفرسان خلال تلك المرحلة المصيرية من تاريخهم في الشرق اللاتيني.

النص

" . . . وكان نزوله عليها في العشر الأول من ربيع الآخر فوجدها قد تحصنت بسائر العدد والآلات وكانت الافرنج استعدوا بأهل قبرص وغيرها من الجزائر وأرسلوا إلى ملوكهم الكبار فاجتمع بها خلق كثير من الداوية والاسبتارية وكانوا قد كتبوا إلى ملوك الافرنج مع الرحابين والقسوس وذكروا في كتبهم انه لم يبق حصن من حصون الافرنج يأون إليه في جميع السواحل غير هذا الحصن[1] وانه متى أخذ لا يبقى لسائر الافرنج مكان يذكرون فسيروا اليهم خلقاً كثيراً ورجالاً مقاتله وجهزوهم في المراكب وحملوا لهم سائر ما يحتاجون اليه من العدد والآلات والاقامات وغيرها فاجتمع فيها خلق كثير حتى لم يكترثوا بالمسلمين ولم يغلقوا للمدينة بابا وصاروا يخرجون إلى العسكر ويطلب فرساهم المبارزة وكان يهرع اليهم الجند من الحلقة والمماليك السلطانية ويجري بينهم الكر والفر والمطاعنة فبقوا على ذلك أياماً ونال منهم المسلمون فجرحوا منهم جماعة وقتلوا جماعة و كانوا كل يوم لا يرجعون الا وهم خاسرون فرأوا من المسلمين ماليس في بالهم ثم امتنعوا عن القتال والمبارزة فصاروا يقفون على الأبواب يحفضونها ولا يخرجون منها وكان عدة ما نصب عليها من المناجيق اثنين وخمسين منجنيقاً شيطانيا وقال بعضهم اثنان وسبعون منجنيقاً ثم صمم السلطان على الحصار فرتب الكوسات[2] ثلاثمائة حمل وزحف سحر يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى ودقت الكوسات حملة واحدة عند طلوع الشمس وطلع المسلمون مع طلوع الشمس فنصبت السناجق الاسلامية فوق الأسوار فولت الافرنج عند ذلك الأدبار وركبوا هاربين في مراكب التجار وقتل منهم خلق لا يعلم عددهم الا الله وغنموا من الأمتعة والرقيق والبضائع شيئاً كثيراً جداً وكان فتحها نهار الجمعة[3] كما أخذتها الفرنج في نهار الجمعة جزاء وقصاصاً واستأسر منهم ما ينيف على عشرة آلاف نفس[4] ففرقهم السلطان على الأمراء ليقتلوهم وفي نزهة الناظر ولما كان الناس في الحرب مع الافرنج اذا سهم قد رمي من القلعة وفي نصله ورقة مشدودة عليها بخيط فوقع السهم في وسط المعسكر فأخذوه وأحضروه إلى السلطان ففتح الورقة فوجد فيها مكتوب بالعربي بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد و آله ان الدين عند الله الإسلام ياسلطان المسلمين احفظ عسكرك من الكبسة في هذه الليلة فان اهل عكا قد اتفقوا على ذلك وهم قاصدون الهجوم عليك واحتفظ ايضاً من امرائك فانهم ذكروا ايضاً أن فيهم مخاطر عليك كاتب هذه الورقة رجل من أهل عكا رزقه الله الإسلام وكان يكتم اسلامه[5] فلما وقف عليها السلطان طلب الأمير بيدراو الشجاعي وقرأها عليهما فاتفق رأيهم ان يدروا[6] الحجاب والنقباء على الأمراء ويعرضونهم بهذا الأمر ستراً فيما بينهم وأن يحتفظ كل أمير بمكانه واتفق في تلك الليلة أن هبت ريح عاصف فأظلم الجو لها ووافاها أهويه مختلفة فكان ذلك مما فرح به الافرنج واجتمعت طائفة الداوية مع طائفة الاسبتار[7] وتفرقوا وخرجوا من اماكن يعرفونها وركب بعضهم في المركب إلى أن صاروا على الأرض ثم هجموا على العسكر وتصايحوا صياحاً منكراً وكان أول وصولهم إلى نحو الميسرة وكان فيها مركز الأمير بدر الدين بكتاش الفخري امير سلاح وكان الخبر عنده وكان راكباً

بمن معه واقفين خارج الخيم أرادوا ان يرموا نفطاً عظيماً كان معهم فما لحقوا ان يتوسطوا الطريق حتى اخذهم الصياح من كل جانب ورشقتهم السهام في الليل فرجعوا على اعقابهم وليس فيهم أحد يلتفت إلى من معه ورموا منهم نحو العشرين فارساً وجرحوا جماعة فأخذوهم اسرى أما الافرنج الذين قصدوا الميمنة فسلموا وأخذوا بعض الجنويات[8] والستار التي كانت للمسلمين وكان السبب في ذلك أن الميمنة كان فيها الدركن هو الأمير الحلبي الكبير(؟) ولما بلغه خبر الكبسة ركب فيمن معه من الأمراء وأوصاهم أن لا يدعوا شيئاً في الخيم وأراد بذلك أمرا وأراد الله غيره وحسب في نفسه ان الافرنج اذا هجمت على الخيام ورجعت يكون هو والعسكر الذين معه قد سبقوا إلى المينا التي طلعوا منها فيكون قد ملك الطريق عليهم ويأخذهم قبضاً باليد ولايدع احداً يتمكن من الدخول إلى عكا فلما هجمت الافرنج على الخيام فرأوها خالية من كل شيء أدركوا ما أضمر الحلبي في نفسه فعرجوا عن تلك الطريق إلى غيرها فوجدوا في طريقهم جنويات وطوارق[9] للحلبي فأخذوها وبقي الحلبي ومن معه واقفين ينتظرون عود الفرنج فما رأوا احداً حتى أشرق الصبح ووقع الصياح من الافرنج من عكا وعاقوا الطوارق والجنويات على الأسوار فلما رأوا[10] المسلمون ذلك اغتنموا فبعد ساعة سير الأمير بكتاش إلى السلطان الأشرف الأسرى الذين أسرهم من الافرنج والخيل التي أخذوها منهم فنزل على الناس[11] الغم ثم اصبح السلطان فطلب[12] وعنفهم على الاطالة بالحصار فاعتدوا بأجمعهم على المناجيق وصارت تركب اليها وتقف على أمرها إلى أن فعلت فعلاً عظيماً وهدمت شراريف الأسوار وتقللت الأبراج والبدنات فوهنت عند ذلك أهل الكفر وتحققوا من امرهم إلى التلاشي والزوال ونظم ابن تميم في المنجنيق .

للمنجنيق على الحصون وقائع	فيها عجائب للذي يتفهم
يومى اليها بالركوع مخادعنــا	فتخر ساجدة اليه وتسلم

قال الراوي ثم اتفق رأي الافرنج على أن يسيروا إلى السلطان يسألونه أم يرحل عنهم ويقرروا عليهم كل سنة مالا يحملونه اليه مع هدايا وتحف كما كانت في الأول فلما جاءت رسلهم بذلك إلى السلطان جمع الأمراء فشاورهم ولم يبق من بلاد الساحل من أهل الكفر[13] غير أهله وكان عزم الشهيد[14] والد السلطان على فتحه والسلطان قد عزم في أول دولته على فتحه على ما كان عليه عزم الشهيد(   )[15] فقد اصيب من المسلمين جماعة وقتل جماعة وما بقي للصلح فائدة وقد اشرفنا على فتحة وهم في ذلك واذا بصياح عظيم من السوقة والحرافيش والغلمان والحمالين يامولانا السلطان بتربة الشهيد لا تصطلح مع هؤلاء الملاعين ثم قال السلطان للرسل لاصلح عندنا الا ان تسلموا الحصن بالأمان فذهب الرسل وكان يوم الخميس ففي يوم الجمعة امر السلطان بالزحف* فزحفوا وكشفوا الافرنج عن الأسوار بسهام ثم دخلوا في المدينة فوجدوا من الأموال والذخائر والأواني البلور المرصعة بالذهب واللؤلؤ ما لم يقدر عليه" .

(١) هذا التعبير المقصود به أن مدينة عكا كانت آخر مدينة بها قيادة الصليبيين الرئيسة بعد سقوط مدينة بيت المقدس في أعقاب حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م ولا يعني حرفياً انها كانت آخر حصن لهم على اعتبار أنه حتى ذلك الحين كانت هناك للصليبيين حصون أخرى لاتزال قائمة مثل قلعة عثليث وقلعة انطرطوس.

(٢) الكوسات عبارة عن صنوجات نحاسية تشابه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بايقاع خاص، والقائم بذلك يسمى الكوسي، عاشور، العصر المماليكي، ص٤٤٥، لاحظ اشارة بيبرس الدواداري، عن الكوسات في زبدة الفكرة، القسم الذي نشره زيادة في كتاب وثائق مختارة، ص٥٧.

(٣) هذا التاريخ اتفق عليه ايضاً بيبرس الدواداري حيث اشار إلى سقوط مدينة عكا في نفس اليوم المذكور نفسه، انظر: زبدة الفكرة، ص٥٨.

(٤) نفس هذا الرقم من الأسرى الصليبيين ورد في زيدة الفكر، ص٥٨.

* بداية ورقة (٣٦).

(٥) هذه الحادثة لايوجد لها تأصيل لدى بيبرس الدواداري في زبدة الفكرة وكذلك التحفة الملوكية وايضاً لدى ابي الفداء في المختصر في اخبار البشر، واذا افترضنا انها وقعت بالفعل فان العيني – اعتماداً على مصادر متقدمة – قد انفرد عن المؤرخين السابقين في ايرادها، ومع ذلك فيبدو انها لم تكن ذات اهمية جوهرية بدليل اغفال المصادر المعاصرة التي كتبها شهود العيان المعاصرين الذين شاركوا في عمليات الحصار.

(٦) كذا في الأصل والصواب ان يدوروا.

(٧) هذا الهجوم المشترك بين الاسبتارية والداوية ضد المسلمين لايذكره بيبرس الدواداري، ويلاحظ ان من المؤرخين من ابرز الهجمات التي شنها الاسبتارية والداوية كل على حدة دون ملاحظة وجود هجوم مشترك بين التنظيمين. انظر مثلاً عبدالرؤوف عفيفي، الاشرف خليل بن قلاوون، ص٢٨.

** بداية ورقة (٣٧)

(٨) الجنويات، مفردها جنوية وكانت عبارة عن أترسة من الخشب يقوم المهاجمون بالدخول فيها عند الزحف على الأسوار المعادية وهي بذلك كالحصن لهم تقيهم شر النبال، انظر/ نبيل عبدالعزيز، خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م(٢٣) لعام ١٩٧٦م، ص١٣٤.

(٩) الطوارق، مفردها طارقة وكانت عبارة عن اترسة من خشب وكان الفرنج والروم اول من استخدمها وهي مستطيلة الشكل وهدفت إلى ستر الفارس والراجل، انظر، نبيل عبدالعزيز، "خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الايوبيين والمماليك، ص١٣٤، ويلاحظ ان تعبير "الجنوية" و "الطارقة" قد ورد لدى المؤرخ المجهول صاحب تاريخ سلاطين المماليك عند تناوله في مقدمة تاريخه لسقوط عكا عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م فقد ذكر ما نصه "أما الديوية فما منعهم طارقة ولا جنوية، وأما الاسبتار فأفناهم سيفنا البتار، انظر، مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص٨.

(١٠) كذا في الأصل والصواب رأي.

(١١) كذا في الأصل والصواب فنزل على الناس الغم.

(١٢) العبارة ناقصة ولعل الكلمة المفقودة الامراء.

* بداية ورقة (٣٨).

(١٣) كثرت مثل هذه التعبيرات في كتابات المسلمين عن الصليبيين.

(١٤) المقصود بهذا التعبير هنا السلطان المنصور قلاوون ويلاحظ أن تعبير الشهيد اطلق على عدد من سلاطين المسلمين الذين قاموا بدور هام في حركة الجهاد ضد الصليبيين وسعوا إلى طلب الشهادة وان لم يقتلوا في ميادين الحرب ومن امثلة ذلك السلطان الملك العادل نور الدين محمود الذي وصف بالشهيد من جانب المؤرخين المسلمين المعاصرين واللاحقين والهدف من وراء ذلك واضح بطبيعة الحال وهو اضفاء صفة دينية واضحة على أولئك السلاطين تتفق مع روح العصر نفسه.

(١٥) فراغ.

* بداية ورقة (٣٩).

ملحق رقم (٨)

الترجمة العربية لنص المنحة المقدمة لهيئة الاسبتارية من شخص ما يدعى فولبيروس فافاردس ووالدته فولبيريا وابنه جارسيا وليلموس عن اللغة اللاتينية

النص اللاتيني(١)

1100-1110 (?).

Foupier Favard, sa mère et son fils, donnent à l'Hôpital de Jérusalem, représenté par frère Gérald, hospitalier, la terre de « Diosovol ».

[*Toulouse*, Archives de la H.te Garonne, Ordre de Malte, Poucarbes, Liasse I, n° 1].

In nomine Domini nostri Jhesu Christi.

Notum sit omnibus hominibus, presentibus et futuris, quod ego Folperius Favardus et Folperia, mater mea, et Garssia Willelmus, filius meus, nos insimul pro nobis et pro successoribus nostris damus et concedimus Domino Deo, et beate Marie, et sancto Iohanni Babtiste et domui Hospitalis Ierusalem, et fratri Geraldi (*sic*) hospitalario et omnibus aliis fratribus presentibus et futuris, propter redemptionem animarum nostrarum atque parentum nostrorum, terram et honorem quam vocant *Diosovol,* libenter, sine omni retentione, quod ibi non facimus, scilicet decemas et primicias, cultum et incultum, intradas et eixidas, bocs et aquas, praz et pasteues, homines et feminas, qui in ipso loco provenerint, qui vocatur *à Dios ovol.* Totum hoc fuit factum et ita positum in manu Ameli, episcopi [1], Tolosa, qui donat et concedit hospitali Ierusalem locum de facienda ecclesia, *à Dios ovol* ita quo modo ecclesia se pertinet de decemas et de primicias et oblationes. Istud predictum donum fecerunt et concesserunt dominus Folperius Favardus, et domina Folperia, mater sua, et Garssia Willelmus, filius Folperii Favardi, ita quomodo part Saladera donec ad terram de Bausona, et ita quomodo part la terra de Bausona donec ad Lambaum, et alia parte del bocs de Pic Augel donec ad Lambaum, et ita como part la gota de Nabarban donec Lambaum.

Hujus rei sunt testes: dominus Gauterius de Tarida, et Fortanarius de Sabolea, et Arnaldus de Vinhnamont, et Pouges de Sant Iohan.

---

(١) Delaville le Roulx, "Trois Chartres de XII Siecle Concern L'ordre de S. Jean de Jerusalem" AOL,L, pp.410-411

الترجمة العربية*

(١١٠٠-١١١١٠م)

" ليكن معروفاً لدى جميع القوم، الحاضر منهم ومن يأتي مستقبلاً، انني فولبيروس فاڤاردس Folperius Favardus ووالدتي فولبيريا Folperia وابني جارسيا وليلموسGarcia Willemus، اننا بالأصالة عن نفسنا وبالنيابة عن حلفائنا نعطي ونهب إلى سيدنا الرب وأمه الطوباوية مريم والقديس يوحنا المعمدان Sancto Johanni Babtiste والى دارة الاسبتارية في اورشليم والى الأخ جيرارد Geraldiالاسبتاري والى كافة الأخوة الآخرين الحاضر منهم والقادم بغرض الفداء عن أرواحنا وعن أرواح آبائنا، ذهب الأرض بشرف، وهي الأرض المسماة ديوسوفيل Diosovel طواعية دونما أي تحفظ، وهذه الأرض شاملة ما هو منزرع منها وماهو بور وما هو من الداخل وما هو بالخارج، ما كان مائياً أو من غابات ومرعى ومن عليها من رجال ونساء، وقد تمت هذه الهبة إلى يد الأسقف ايميلموس من تولوز(١) Ameli episcopi Tolosa الذي سيقوم بتلسيم هذا المكان (أي في ديوسوفيل) إلى دار الاسبتارية بأورشليم، كما ان للكنيسة الحق على هذه الأرض في عشورها ومستحقاتها، هذه العطية قد تم انجازها والتنازل عنها من قبل السيد فلوبيروس فاڤاردس والسيدة فلوبيريا والدته وجرايا وليم ابن فلوبيري فاباردي، وهذه الأرد تشمل أجزاء سالاديرا Saladera الممتدة حتى بازونا Bausona ومن بازونا إلى لامباوم Lambaum إلى جانب قسم صغير من أحراش بك أوجل Pic Augelالمترامية حتى لامباوم وكذلك تشمل ايضاً أرض الغوطة الممتدة من ناباربان Nabarban حتى لامباوم.

ويشهد على هذا كله السادة جوتيروس من تاريدا Gauterius de Tarida وفورتاناريوس من سابوليا Fortanarius Sabolea وارنالدوس من فينهنامونت Arnaldus de Vinhnamonte وبوج من سان جوان Pouges de Sant Johan.

---

* اتوجه بالشكر لاستاذي الفاضل الاستاذ الدكتور اسحق عبيد الذي قام بترجمة هذا النص إلى لغة الضاد.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: قائمة بالمختصرات.

ثانياً: المصادر العربية المخطوطة

ثالثاً: المصادر العربية والمعربة المطبوعة.

رابعاً: المصادر اللاتينية واليونانية والسريانية.

خامساً: المراجع العربية والمعربة.

سادساً: المراجع الاجنبية.

أولاً: قائمة بالمختصرات

***A.O.L*:**	Arshives de L'Orient Latin.
***B.E.O.*:**	Bulletin des Etudes Orientales.
B.S.O.A.S.:	Bulletin of The School of Oriental and African Studies.
C.M.H.:	Cambridge Medieval History.
Ency. Amer.:	Encyclopedia Americana.
Ency. Isl.:	Encyclopedia of Islam.
J.A.:	Journal Asiatique.
J.C.A.S.:	Journal of The Central Asian Society.
P.P.T.S.:	Palestine Pilgrims Text Society.
P.O.:	Patrologia Orientala.
P.L.:	Patrologia Latina.
R.E.I.:	Revue des Etudes Islamiques.
R.H.C.:	Recueil des Historiens des Croisades.
R.O.L.:	Revue de L'Orient Latin.

ثانياً : المصادر العربية المخطوطة

ابن ايبك الدواداري (أبو بكر بن عبدالله ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٠٩ تاريخ.

ابن بهادر (محمد بن محمد بن محمد ت٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م)، فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة، مجلدان تحت رقم ٤٩٧٧/٣٦١٦٦ تاريخ.

البغدادي (أحمد بن عبدالله ٢ ١١٠هـ/ ١٦٩٠م)، عيون أخبار الأعيان عن ملك مصر من سالف العصر والأزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٣٨١٠تاريخ.

الحريري الأعلام والتبيين بخروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، مخطوط بدار الكتب المصرية.

الخالدي (بهاء الدين محمد ت ٩٢٧هـ/ ١٥٣١م) المقصد الرفيع المنشأ الحاوي لديوان الانشاء، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة، تحت رقم ٢٤٠٤٥، تاريخ.

السلامي (شهاب الدين احمد- غير معروف تاريخ الوفاة)، مختصر التواريخ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٣٥ تاريخ.

ثالثاً: المصادر العربية والمعربة المطبوعة

ابن ابي الفضائل (مفضل بن أبي الفضائل ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق بلوشيه Blochet في الباترولوجيا الشرقية، المجلد الثاني عشر P.O.,T.XII

ابن الأثير (عز الدين محمد بن عبدالكريم، ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ط. القاهرة: ١٢٩٠هـ/ ١٣٤١هـ، ط. بيروت ١٩٦٦م.

ابن ايبك الدواداري (أبو بكر عبدالله، ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. القاهرة ١٩٦١م.

الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، ط. القاهرة ١٩٧٢.

الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق أولرخ هارمان، ط. القاهرة ١٩٧١م.

ابن بطوطة (ابو عبدالله محمد، ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، ط. القاهرة، ب-ت، ط. بيروت ١٩٦٤م.

ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط. دار الكتب المصرية، القاهرة ب-ت.

ابن جبير (محمد بن أحمد الكناني، ت٦١٤هـ/١٢١٧م) الرحلة المسماة تذكرة بالأخبار في اتفاقيات الأسفار، تحقيق حسين نصار، ط. القاهرة ١٩٥٥م، ط. بيروت ب-ت، ط. بيروت ١٩٦٤م، وأجزاء منشورة في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الجزء الثالث.

ابن الجوزي (أبو الفرج، ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط. حيدر اباد الدكن ١٣٨٩هـ.

ابن حبيب (الحسن بن عمر، ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، تذكرة البنيه في ايام المنصور وبنيه، ط. القاهرة: ١٩٧٦م.

ابن حوقل (ابو القاسم محمد النصيبي (عاش في القرن الرابع هـ/العاشرم) (صورة الأرض) منشورات دار مكتبة الحياة، ب.ت.

ابن خلدون (عبدالله بن خلدون ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ١٤جـ، في ٧ مجلدات، ط. القاهرة ١٢٨٤هـ، ط. بيروت ب-ت.

ابن خلكان (ابو العباس ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وانباء الزمان، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ط. بيروت ١٩٦٨.

ابن خليل الأسدي (محمد بن محمد ت ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)، التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار، تحقيق عبدالقادر طليمات، ط. القاهرة ١٩٦٧م.

ابن الراهب (ابو شاكر بطرس بن ابي الكرم بن المهذب، ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، تاريخ ابن الراهب، تحقيق الأب لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٠٣م.

ابن سعيد المغربي (علي بن موسى المغربي، ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م)، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، ط. القاهرة ١٩٧٠.

ابن شاهنشاه الأيوبي (محمد بن تقي الدين، ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٨م.

ابن شاهين (غرس الدين ت ٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بول راڤيس Paul Ravis ط. باريس ١٨٩٤م.

ابن الشحنة (محب الدين ت ٨١٥هـ/١٤١٢م) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق يوسف سركيس، ط. بيروت ١٩٠٩م.

روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر، بهامش جـ(٧)، (٨)، (٩)، من الكامل لابن الاثير، ط. القاهرة: ١٢٩٠هـ.

ابن شداد (القاضي بهاء الدين، ت٦٣٢هـ/ ١٢٢٤م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ط. القاهرة ١٣١٧هـ، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤م، واجزاء نشرت في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية، "المؤرخون الشرقيون"، الجزء الثالث.

ابن شداد (عز الدين ابو عبدالله، ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، القسم الخاص بالطبوغرافية التاريخية لبلاد الشام، تحقيق سامي الدهان، ط. دمشق، ١٩٦٢م.

ابن ظافر الأزدي (جمال الدين ابو الحسن، ت ٦١٢هـ/١٢١٦م)، اخبار الدول المنقطعة، تحقيق اندريه مربيه، ط. القاهرة ١٩٧٢م.

ابن ظهيرة (غير معروف بالتحديد)، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، وكامل المهندس، ط. القاهرة ١٩٦٩م.

ابن عبدالحق البغدادي (صفي الدين، ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد البنجاوي، ط. القاهرة ١٩٥٤م.

ابن عبدالظاهر (محي الدين بن عبدالظاهر، ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور تحقيق فؤاد كامل، ط. القاهرة ١٩٦١م.

الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، ط. الرياض ١٩٧٦م.

ابن العبري (غريغوريوس ت ٦٨٥هـ/١٢٥٦م)، تاريخ مختصر الدول ط. بيروت ١٨٩٠م، ط. بيروت ١٩٥٨م.

ابن العديم (كمال الدين ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ثلاثة اجزاء، ط. دمشق، ١٩٥٤- ١٩٦٨م.

ابن العميد (جرجس بن العميد، ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، تاريخ الأيوبيين، نشر كلود كاهن Claude Cahen، في مجلة الدراسات الشرقية لعام ١٩٥٥-١٩٥٧م B.E.O.,XV, Annees 1955-1957

ابن الفرات (ناصر الدين محمد، ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، تاريخ الدول والملوك، م٥- جـ١، تحقيق حسن الشماع، ط. البصرة ١٩٧٠م.

ابن الفقيه (ابو بكر احمد ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)، مختصر كتاب البلدان، تحقيق دي جويه De Goeye، ط. ليدن ١٨٨٢م.

ابن قاضي شهبة (تقي الدين احمد، ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٨م)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمد زايد، ط.بيروت ١٩٧١م.

ابن كثير (الحافظ عماد الدين ت ٧٤٤هـ/ ١٣٧٣م)، البداية والنهاية، ط. القاهرة ١٩٣٢.

ابن مماتي (شرف الدين بن مماتي، ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، ط. القاهرة ١٩٤٣م.

ابن منكلي (محمد بن منكلي الداعي، ت٧٧٥هـ/ ١٣٧٦م)، الضوابط الناموسية في فن القتال في البحر، تحقيق عبدالعزيز عبدالدايم، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م.

ابن ميسر (أبوعبدالله تاج الدين، ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)، تاريخ مصر، تحقيق هنري ماسيه، Henri Masse، ط. القاهرة ١٩١٩م.

ابن نظيف الحموي (أبو الفضائل محمد، ت ٧هـ/ ١٣م)، التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق ابو العبد دودو، مراجعة عدنان درويش، ط. دمشق ١٩٨٢م.

ابن واصل (جمال الدين محمد، ت ٦٩١هـ/ ١٢٩١م)، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، الأجزاء من ١ إلى ٣، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٥٣- ١٩٦٠م، الجزء ٤-٥، تحقيق محمد حسنين ربيع، ط. القاهرة ١٩٧٢م.

ابن الوردي (ابو حفص الدين عمر، ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، تتمة المختصر في أخبار البشر،

ط. القاهرة: ١٢٨٥هـ

ابو شامة المقدسي (شهاب الدين ت ٦٥٥هـ/١٢٦٧م)، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، جزءان في مجلد واحد، ط. القاهرة وأيضاً الجزء الأول-القسم الثاني تحقيق محمد حلمي أحمد، ط. القاهرة ١٩٦٢م. وأجزاء نشرت في مجموعة مؤخي الحروب الصليبية، المؤرخون الشرقيون الجزء الرابع. وقد تم حديثا نشر هذا الكتاب في خمسة اجزاء، تحقيق ابراهيم الزيبق، ط. مؤسس الرسالة، بيروت ١٩٩٧م.

الذيل على الروضتين، نشر الكوثري، ط. القاهرة ١٣٦٦هـ.

ابو الفداء (اسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) المختصر في اخبار البشر، ط. استانبول ١٢٨٦هـ، ط. بيروت ١٩٥٦م. وقد نشر هذا الكتاب في اربعة اجزاء، تحقيق محمد زينهم عزب ويحيى سيد حسين ط١، دار المعارف القاهرة ١٩٩٨-١٩٩٩.

تقويم البلدان، تحقيق رينو وري سلان، ط. باريس ١٨٤٠م.

أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)، كتاب الاعتبار، تحقيق فيليب حتي، ط. برنستون، ١٩٣٠م.

بنيامين التطيلي (ابن يونه ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م)، الرحلة، ت. عزرا حداد، ط. بغداد ١٩٤٩م.

بيبرس الدواداري (ركن الدين ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م)، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة عطا، رسالة دكتوراة، كلية الآداب- جامعة القاهرة، عام ١٩٧٢م.

الحنبلي الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق محمد بحر العلوم، ط. النجف

الذهبي (الحافظ الذهبي ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، خمسة مجلدات، ط. الكويت، ١٩٦٠-١٩٦٣م.

تاريخ الاسلام تحقيق بشار معروف، الجزء التاسع عشر، ط. القاهرة:١٩٧٧م

سبط بن الجوزي (أبو المظفر يوسف، ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، جـ٨، قسمين، ط. حيدر اباد الركن ١٩٥١م.

السخاوي (شمس الدين، ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الذيل على رفع الاصر، تحقيق جودة

هلال وآخرون،ط. القاهرة.

السمعاني (أبو سعيد عبدالكريم، ت ٥٦٣هـ/ ١١٦٦م)، الانساب، ط. حيدر اباد الركن ١٩٦٢م.

شافع بن علي (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، ط. الرياض ١٩٧٦م.

شيخ الربوة الدمشقي (أبو طالب ت ٨٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق مهرن، ط. بطرسبرج، ١٨٣٥م.

طافور رحلة طافور ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٨م.

العامري (ابو الحسن محمد ت٣٨١هـ/ ٩٩٢م)، الاعلام بمناقب الاسلام، تحقيق عبدالحميد غراب، ط. القاهرة ١٩٦٧م.

عبداللطيف البغدادي (عبداللطيف موفق، ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)، الإفادة والاعتبار في الأمور الشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق سلامة موسى، ط. القاهرة ب-ت.

العثماني (صدر الدين محمد، ت ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)، تاريخ صفد، تحقيق برنارد لويس Bernard Lewis في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية م(١٥)، لعام ١٩٥٣م، B.S.O.A.S., Vol. XV, 1953

العظيمي (محمد بن علي ت ٥٥٦هـ/ ١١٦١م)، تاريخ العظيمي، تحقيق كلود كاهن Claude Cahen، في الجريدة الآسيوية لعام ١٩٣٩م. J.A, Annee, 1938

العماد الكاتب الأصفهاني (محمد بن محمد ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) الفتح القسي في الفتح القسي، تحقيق محمد صبيح، ط. القاهرة ١٩٦٥م.

العمري (شهاب الدين ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الامصار، الجزء الأول تحقيق احمد زكي ط. القاهرة ١٩٢٤م.

التعريف بالمصطلح الشريف ط. القاهرة ١٣١٢هـ.

الفتح البنداري (الفتح بن علي البنداري ت ٧هـ/ ١٣م)، سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، ط. القاهرة ١٩٧٩م

القاضي الفاضل (عبدالرحيم بن علي ت ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م)، انشاءات القاضي الفاضل، تحقيق فتحية النبراوي، ط. القاهرة ١٩٨٠م.

القلقشندي (ابو العباس أحمد ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ط. دار الكتب المصرية، القاهرة

الكتاب المقدس

مجهول (عاصر القرن ٦هـ/١٢م)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد، ط. الاسكندرية ١٩٥٨م.

مجهول (ت بعد عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ سلاطين المماليك، نشر زترشتين Zettersteen ط. ليدن ١٩١٩م.

المقدسي البشاري (شمس الدين ت ٣٧٥ـ/ ٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط. دي جويه De Goeye، ط. ليدن ١٩٠٩م.

المقريزي (تقي الدين احمد ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزءان الأول والثاني، ط. القاهرة ١٩٣٦م.

الهروي (أبو الحسن علي ت ٦١١هـ/ ١٢١٥م)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل، ط. المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٥٣م، وأيضاً مقتطفات نشرها تشارلزشيفر Charles Schefer في مجلة ارشيف الشرق اللاتيني، الجزء الأول، ط. باريس ١٨٨١م، A.O.L.,I, Paris 1881

اليافعي (أبو محمد عبدالله ت٧٦٨هـ/ ١٤٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط. حيدر اباد الدكن، عام ١٣٤٨هـ.

ياقوت الحموي (ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله شهاب الدين ت ٦٧٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تحقيق وستنفيلد Wustenfield، ط. ليبك ١٨٨٩م، ط. بيروت ١٩٥٥م.

يحيى بن سعيد الأنطاكي التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ط. بيروت ١٩١٩م.

رابعاً: المصادر اللاتينية واليونانية والسريانية

- Abbot Daniel, The pilgrimage of The Russian Abbot Daniel in The Holy land, trans. by wilson, P.P.T.S., Vol. IV, London.

- Albrt d'Aix, Historia Hierosolymitana, R.H.C., Hist. Occ., Tome IV, Paris 1879.

-Ambroise, The Crusade of Richard Heart of lion, trans. by Hubert, New yourk 1941.

- Anastasius IV Granst Privileges to the Knights of St. John (Hospitallers)-1154, in Thatcher, Source Book of Medieval History, London 1903.

- Anonymous pilgrims, 1-VII, trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. VI, London 1897.

- Arculfus, The pilgrimage of Arculfus in The Holy land, Trans. by J.R. Macpherson, P.P.T.S., Vol.III, London 1895.

- Bernard The Wise, The Itinerary of Bernard the wise, trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol.XII, London 1896.

- The City of Jerusalem, trans. By C.R. Conder, P.P.T.S., Vol.VI, London 1894.

- Eginhard, The Life of Charlemagne, trans. by Grant, London 1936.

- Ernoul, Ernoul's Account of Palestine, trans. by C.R. Conder, P.P.T.S, Vol.VI, London 1896.

- Estoire d'Eracles Empereur et la conqueste de la Terre d'Outremere, R.H.C., Hist. Occ., T.II, Paris.

- Fetellus, Description of Jerusalem and The Holy land, trans. by J.R. Macpherson, P.P.T.S, Vol.V, London 1896.

- Fulcher of Chartres, Hist. of The expedition to Jerusalem, trans. by

Frances Rita Ryan (Sisters of St. Joseph) Edited with an introduction by Harold's Fink), University of Tennelse Konuville U.S.A. 1969.

- Geoffrey de Vinsauf, Itinerary of Richard I and Others to The Holy land, in Chronicles of The Crusades, London 1908.

- Guide Book to Palestine, trans. by J.H. Bernard, P.P.T.S, Vol.VI, London 1894.

- Jacques de Vitry, History of Jerusalem, trans. By A. Stewart, P.P.T.S., Vol. XI, London 1896.

- Jacques de Verone, Le pelerinage du Moine Augustin Jacques de Verone, publie par Rohricht, R.O.L., Vol.III, Annee 1895.

- Johne de Villiers, Aletter of John de Villiers Master of The Hospital describing The Fall of Acre 1291, in king, The knights Hospitallers in The Holy land, London 1931.

- John Maundeville, The Book of John Maundeville, in Thomas wright, Early Travels in Palestine, London 1848.

- John of Wurzberg, Description of The Holy land, trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol.V, London 1894.

- John Poloner, Description of The Holy land, trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol. VI, London 1894.

- Joinville, The life of saint louis, in Chronicle of The Crusades, trans. By Show, Penguin Books, London 1976.

- Marino Sanutos, Secrets for true Crusaders to help them to recover The Holy land, trans. by Aubrey Stewart, Vol. XII, London 1896.

- Oliver of Padernborn, The Capture of Damietta, trans. by John Cavigan,

Philadlphia.

- Otto of St. Blasion, The third Crusade 1189-1110, From The Chronicle of St. Blasion in Thatcher, Source Book of Medieval History, London 1903.
- Quatre Pierces relative- de L'Ordre Teutonique en Orient", AOL., T.I.
- Un Diplome indedit d'Amaury I Roi de Jerusalem, en Faveur de L'Abbaye de Temple notre seigneur (1166), publie par Chalandon, R.O.L., T.VIII, Annee 1900-1901.
- Roger of Wondover, Flowers of History, trans. by Gilles, London 1849.
- Saewulf, Pilgrimage of Saewulf to Jerusalem and the Holy Land trans. by Bishop of Clifton, P.P.T.S., Vol.IV, London 1896.
- Song of Roland, trans. by Sayers, penguin Classics, London 1977.
- Tacitus, Germany and its Tribes, trans. by Church and Bradrobb, in Complete Works of Tacitus, Columbia 1942.
- Theodrich, Description of The Holy land, trans. By Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol.V, London 1893.
- The Rule Statues and Customs of The Hospitallers, trans. by king, London 1934.
- William of Tyre, The History of deeds done beyond the sea, trans. by Babcock and Krey, New york 1943.

خامساً: المراجع العربية والمعربة

ابراهيم خميس ابراهيم (د.) العلاقات السياسية بين جماعة فرسان الداوية والمسلمين في مصر والشام ١١٩٣-١٢٩١م/ ٥٨٩-٦٩٠هـ، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م.

ابراهيم سعيد (د.) الجيش في مصر في عهد سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٣م.

ابراهيم المحمود فن الحرب عند العرب ط. دمشق ١٩٧٨م.

ابو الفرج العش آثارنا في الاقليم السوري، ط. دمشق ١٩٦٠م.

أحمد دراج (د.) "عيذاب" مقالة مستخرجة من مجلة نهضة افريقيا، السنة الأولى، العدد (٩)، يوليو ١٩٥٨م.

أحمد رمضان (د.) المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٨م.

"بيت المقدس والخليل" بحث مستخرج من أعمال ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط، م(١) عام ١٩٨٢م.

أحمد عبدالرازق (د.) مصر الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٨٤م.

أحمد مختار العبادي(د.) قيام دولة المماليك الأولي في مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٦٩م.

آدم سميث الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة، ط. بيروت، ب، ت

إرنست باركر الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العريني، ط. القاهرة ١٩٦٠م.

أسامة زكي زيد (د.) صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، ط. الاسكندرية ١٩٨١م.

إسحق عبيد (د.) روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين عام ١٢٠٤م، ط. القاهرة ١٩٧٠م.

الفرسان والاقنان في مجتمع الاقطاع، ط. بني غازي ١٩٧٥م.

أسعد منصور تاريخ الناصرة، ط. القاهرة ١٩٢٨م.

الكس كرمل تاريخ حيفا في عهد الأتراك العثمانيين ت. تيسير الياس، ط. حيفا ١٩٧٩م.

الياس سركيس سفر الأحبار في سفر الأخبار، ط. بيروت سنة ١٩٦٨م، الياس ديب،

العقود الدرية في المملكة السورية، ط. بيروت ١٨٧٤م.

امين واصف — معجم الخريطة التاريخية للأقطار الاسلامية، ط. القاهرة ١٩١٦م.

اميدي اليسوعي — "الفرسان الألمان في سوريا" مقالة مستخرجة من مجلة المشرق العدد رقم (٢٨) عام ١٨٩٨م.

أنور عبدالعليم (د.) — الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة ط. الكويت، ١٩٧٩م.

البدراوي زهران (د.) — اللغة العربية في عصر الحروب الصليبية، رسالة دكتوراة، كلية الآداب جامعة القاهرة.

البيلي — حياة صلاح الدين، ط. القاهرة

اترتون — أهل الذمة في الإسلام، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٧م.

تمارا رايس — السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ت. لطفي الخوري وابراهيم الداقوقي، ط. بغداد ١٩٦٨م.

جاك تاجر — أقباط ومسلمون في مصر، ط. القاهرة ١٩٥١م.

جرجي يني — تاريخ سوريا، ط. بيروت ١٨٨١م.

جمال الدين الرمادي — صلاح الدين الأيوبي، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

جمال الدين سرور (د.) — دولة الظاهر بيبرس، ط. القاهرة ١٩٦٠م.

النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، ط. القاهرة ١٩٦٤م.

جمال الدين الشيال (د.) — مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً، ط. القاهرة ١٩٤٩م.

جوزيف نسيم يوسف (د.) — هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل، ط. القاهرة ب-ت.

العدوان الصليبي على بلاد الشام، ط. الاسكندرية ١٩٧١م. ط. بيروت ١٩٨١م.

"أنشودة رولان قيمتها التاريخية وما أثير حولها من جدل ونقاش"، بحث مستخرج من ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط م(١)، عام ١٩٨٢م.

جون لامونت — "الحروب الصليبية والجهاد"، ضمن كتاب دراسات اسلامية، ت. نيقولا زيادة، ط. بيروت.

حامد زيان غانم (د.) — الامبراطور فردريك بارباروسا ط. القاهرة.

العلاقات بين صقلية ومصر والشام ابان الحروب الصليبية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٣م.

حامد غنيم (د.) الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، خاصة الجزء الثاني والثالث، ط. القاهرة ١٩٧٢-١٩٧٣م.

حسن ابراهيم (د.) تاريخ الدولة الفاطمية، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

حسن حبشي (د.) الحرب الصليبية الأولى، ط. القاهرة ١٩٤٧م.

الشرق الأوسط بين شقي الرحى، حملة القديس لويس على مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٤٩م.

حسن عبدالقادر أسماء المواقع الجغرافية في الأردن وفلسطين، ط. عمان ١٩٧٣م.

حسن عبدالوهاب (د.) قيسارية تحت حكم اللاتين، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٢م، تم نشرها في كتاب بعنوان: "تاريخ قيسارية الشام في العصر الاسلامي، ط١، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٠.

تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م.

حسنين ربيع (د.) "البحر الأحمر في العصر الأيوبي" بحث مستخرج من أعمال ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة المعاصرة- جامعة عين شمس، ط. القاهرة ١٩٨٠م.

حسين عطية (د.) إمارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٨١م.

حسين مؤنس (د.) نور الدين محمود، سيرة مجاهد صادق، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

حياة ناصر الحجي (د.) لويس التاسع، ط. الكويت ١٩٨٣م.

خاشع العاضيدي (د.) "العلاقات الفاطمية- البيزنطية"، بحث مستخرج من المجلة التاريخية- الجمعية العراقية للتاريخ والآثار العدد (٣)، عام ١٩٧٤م.

خليل سركيس تاريخ أورشليم، ط. بيروت، ١٨٧١م، الترجمة الغربية التي قام بها ابراهيم زكي خورشيد والشنتناوي وعبدالحميد يونس، ط. القاهرة ١٩٦٩م.

دوزي — تاريخ مسلمي اسبانيا، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٣م.

ديفز — أوروبا في العصور الوسطى، ت. عبدالحميد حمدي محمود، ط. الاسكندرية ١٩٥٨م.

شارلمان، ت. السيد الباز العريني، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

رأفت النبراوي (د.) — المسكوكات الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار– جامعة القاهرة عام ١٩٨٠م.

رأفت عبدالحميد (د.) — "كنيسة بيت المقدس في العصر البيزنطي"، بحث مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م(٢٥)، عام ١٩٧٨م.

الدولة والكنيسة، جـ٢، أثناسيوس، ط. القاهرة ١٩٧٧م.

رشيد الجميلي (د.) — "كفاح الموصل وحلب ضد الصليبيين"، بحث مستخرج من مجلة المؤرخ العربي عدد عام ١٩٧٤م.

زكي حسن (د.) — فنون الإسلام، ط. القاهرة ١٩٤٧م.

سامح الخالدي — أهل العلم والحكم في ريف فلسطين، ط. عمان ١٩٦٨م.

سامي سلطان سعد (د.) — الاسبتارية في رودس (١٣١٠–١٥٢٢م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب– جامعة القاهرة، عام ١٩٧٥م.

ستانلي لين بول — صلاح الدين وسقوط مملكة القدس، ت. فاروق ابو جابر، ط. القاهرة ١٩٩٥م.

ستيفن رنسيمان — الحضارة البيزنطية، ت. عبدالعزيز توفيق جاويد، ط. القاهرة ١٩٦١م.

تاريخ الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العريني في ثلاثة اجزاء، ط. بيروت ١٩٦٧–١٩٦٩م.

سر الختم عثمان (د.) — مدينة صور في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب– جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.

سرور عبدالمنعم (د.) — الدور السياسي لحصن شقيف ارنون في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب– جامعة طنطا، عام ١٩٩٧م.

سعاد ماهر (د.) — البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ط. القاهرة ١٩٦٧م.

سعيد البيشاوي (د.) — مدينة نابلس ودورها في الصراع الإسلامي الصليبي، رسالة ماجستير كلية الآداب– جامعة الاسكندرية ١٩٨٤م.

المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة الصليبيين ٤٩٢–٨٥٣هـ/

١٠٩٩-١١٨٧م، جامعة النجاح للابحاث، ب العلوم الانسانية، مجلد ١٥، حزيران ٢٠٠١.

سعيد عاشور (د.) قبرس والحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٥٧م، أوروبا العصور الوسطى جـ١، التاريخ السياسي، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

مصر في عصر سلاطين المماليك البحرية، ط. القاهرة ١٩٥٩م، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، ط. القاهرة ١٩٦٣م.

الظاهر بيبرس، ط. القاهرة ١٩٦٣م.

"الإمبراطور فردريك الثاني والشرق العربي"، بحث مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد (١١)، عام ١٩٦٣م.

الحركة الصليبية، جزءان، ط. القاهرة ١٩٦٣م.

العصر المماليكي في مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٦٥م.

"شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية"، بحث مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م(٦)، عام ١٩٦٩م.

سعيد عاشور (د.) والرافعي مصر في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٠م.

سلام شافعي (د.) أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م.

سليم عادل مشاهد دمشق الأثرية، ط. دمشق ١٩٥٠م.

سليمان مظهر "قلعة شقيف ارنون" مقالة مستخرجة من مجلة المجتمع العلمي، بدمشق عدد عام ١٩٤٤م.

سمايل (ر.س) الحروب الصليبية، ت. سامي هاشم، ط. بيروت ١٩٨٢م.

سهير نعنيع (د.) "علاقات مصر التجارية بمدينة أمالفي في العصورالوسطى"، ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

السيد الباز العريني (د.) الشرق الأوسط والحروب الصليبية، جـ١، ط. القاهرة ١٩٦٣م.

"الإقطاع الحربي عند الصليبيين في مملكة بيت المقدس"، بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٥٩م.

"الفارس المملوكي"، بحث مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م(٥)، عام ١٩٥٦م.

رسالة دكتوراة- كلية الآداب- جامعة القاهرة، عام ١٩٥٥م.

مؤرخو الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٢م.

الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٦٣م.

السيد عبدالعزيز سالم (د.) "التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى"، مجلة المجلة، العدد (٩)، عام ١٩٥٧م.

طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م.

تخطيط مدينة الاسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي، ط. بيروت ١٩٦٣م.

تاريخ مدينة الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، ط. القاهرة ١٩٦١م.

السيد غلاب وصادق والديناصوري (د.) الجغرافية السياسية، ط. القاهرة ١٩٦٥م.

السيد غلاب وعبدالحكيم (د.) السكان ديموغرافيا وجغرافيا، ط. القاهرة ١٩٧٨م.

السيد غلاب (د.) "سكان فلسطين ودراسة تاريخهم الجنسي" بحث مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية م (٥)، عام ١٩٥٦م.

سيد فرج راشد (د.) "القدس عربية إسلامية" بحث مستخرج من مجلة الدارة العدد (٣)، السنة (٨)، يناير ١٩٨٤م.

السيد العزاوي (د.) فرقة النزارية تقاليدها ورجالها على ضوء المراجع الفارسية، ط. جامعة عين شمس عام ١٩٧٠م.

شارل ديل البندقية جمهورية ارستقراطية، ت. عزت عبدالكريم وتوفيق اسكندر، ط. الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ط. القاهرة ١٩٤٨م.

شاكر أبو بدر الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، ط. بيروت ب-ت.

شفيق ابو الخير (د.) الحركات السياسية والمذهبية في الخليج العربي من منتصف القرن الثالث الهجري إلى نهاية القرن الرابع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٧٧م.

شكري مقبل الأحوال السياسية والحضارية في فلسطين خلال عصر دولة المماليك الأولى (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة- جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٤٠٢م.

صبحي طوقان الموسوعة الفلسطينية، ط. الاسكندرية ١٩٦٩م، "الصهيونية وحدود

الكيان"، بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب- الجامعة الأردنية م(٢)، عام ١٩٧١م.

صلاح الدين المنجد (د.) المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، ط. بيروت ١٩٦٣م.

صلاح عبدالمنعم قلاع مملكة بيت المقدس الصليبية في الفترة ١٠٢٩-١١٩٢م/٤٩٢-٥٨٨هـ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية البنات- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م،

طه ثلجي الطراونة (د.) مملكة صفد في عصر سلاطين المماليك، ط. بيروت ١٩٨١م.

عادل زيتون (د.) العلاقات بين القوى الإيطالية وبيزنطة في القرن الثاني عشر، رسالة دكتوراة -كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م.

عارف العارف تاريخ القدس، ط. القاهرة ب-ت.

عبدالحفيظ محمد علي (د.) الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين في القرنين ١٢، ١٣م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، عام ١٩٧٥م.

السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عهد حنا الثاني كومنين (١١١٨-١١٤٣م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٨٣م.

عبدالحميد زايد(د.) القدس الخالدة، ط. القاهرة.

عبدالحميد العبادي(د.) المجمل في تاريخ الأندلس، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

عبدالرؤوف عفيفي السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ب-ت.

عبدالرحمن زكي (د.) الجيش المصري في العصر الإسلامي، ط. القاهرة ١٩٦٥م.

"القلاع في الحروب الصليبية" بحث مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م(١٥) عام ١٩٦٩م.

"العمارة العسكرية في العصور الوسطى بين العرب والصليبيين"، بحث مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية م(٧)، عام ١٩٥٨م.

عبدالرحمن الشرنوبي (د.) جغرافية السكان، ط. القاهرة ١٩٧٨م.

عبدالعزيز سيد الأهل أيام صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٦١م.

عبدالعزيز عبدالدايم(د.) إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة لعام ١٩٧١م.

عبدالغني سعودي (د.) الجغرافية والمشكلات الدولية، ط. القاهرة ١٩٧٤م.

عبدالقادر المغربي "الظاهر بيبرس" مجلة المجمع العلمي بدمشق م (٢١) حـ(٥)، (٦)، عام ١٩٤٦م.

عبدالله جمال الدين الجيش في الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، لعام ١٩٦٧م.

عبدالله عنان "قلاع الصليبيين والمسلمين في سوريا ولبنان"، مقالة مستخرجة من مجلة الهلال السنة (٤٢)، جـ(٥)، عام ١٩٣٣م.

مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط. القاهرة ١٩٦٢م.

عبدالمعطي الجلابي "التأثيرات الاسلامية في عمارة الغرب خلال العصور الوسطى"، عاديات حلب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب عام ١٩٧٥م.

عبدالمنعم ماجد (د.) الإمام المستنصر بالله الفاطمي، ط. القاهرة ١٩٦٠م.

الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي، ط. بيروت ١٩٦٢م.

العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. بيروت ١٩٦٦م.

ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، ط. القاهرة ١٩٦٨م،

العصر العباسي الأول، ط. القاهرة ١٩٧٣م.

عبدالهادي شعيرة (د.) "من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة"، بحث مستخرج من أعمال المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، ط. القاهرة ١٩٧٠م.

"الرملة ورباطاتها السبعة"، بحث مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م(١٥)، عام ١٩٦٩م.

عثمان عشري (د.) الأسطول والبحرية في مصر في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب– جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.

عدنان البخيت (د.) مملكة الكرك في العهد المملوكي، ط. عمان ١٩٧٦م.

العروسي المطوي الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ط. تونس ١٩٥٤م.

عزيز سوريال عطية (د.) العلاقات بين الشرق والغرب، ت. فيليب صابر، ط. القاهرة.

عطية الغوصي (د.) تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٧٣م.

عطية مصطفى مشرقة (د.) نظم الحكم في مصر في عصر الفاطميين، ط. القاهرة،، ب–ت.

علي حمدي المناوي (د.) الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي.

علي بهجت قاموس الامكنة والبقاع، ط. القاهرة.

علي حسني الخربوطلي (د.) الإسلام وأهل الذمة ط. القاهرة ١٩٦٩م.

علي السيد علي (د.) المجتمع المسيحي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة.

علي عودة الغامدي (د.) " حصن بغراس ودوره الحربي في عصر الحروب الصليبية "، ندوة الاطار التاريخي للحركة الصليبية، اتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة عام ١٩٩٥م.

عليه الجنزوري (د.) إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٤م.

عمر كمال توفيق (د.) مملكة بيت المقدس الصليبية، ط. الاسكندرية ١٩٥٨م.

الامبراطور نقفور فوكاس، واسترجاع الأراضي المقدسة، ط. الاسكندرية ١٩٥٩م.

مقدمات العدوان الصليبي الإمبراطور يوحنا تزيمكس وسياسته الشرقية، ط. الاسكندرية ١٩٦٦م.

تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م.

" المؤرخ وليم الصوري "، مجلة كلية الآداب– جامعة الاسكندرية (م(٢١)، عام ١٩٦٧م.

فاروق جرار " أسطول صلاح الدين الأيوبي "، بحث مستخرج من مجلة الأبحاث السنة (١٣)، جـ(١)، عام ١٩٦٠م.

فايد حماد عاشور (د.) العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى في العصر الأيوبي، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م.

فايز نجيب اسكندر (د.) فن الحرب والقتال عند الصليبيين والمسلمين في الشرق الأدنى في النصف الثاني من انقرن الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب– جامعة الاسكندرية.

فتحية النبراوي (د.) " حياة الامبراطور الكسيوس كومينوس "، مقالة مستخرجة من مجلة

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م(٢٧)، عام ١٩٨١م.

فرديناند توتل — "زيارة إلى قلعة المرقب"، مقالة مستخرجة من مجلة المشرق، م (٣٣)، حـ(٤)، لعام ١٩٣٥م.

فريد أبو حديد — صلاح الدين الأيوبي وعصره، ط. القاهرة ١٩٢٧م.

فريد شافعي (د.) — العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، ط. القاهرة ١٩٧٠م.

فيشر — تاريخ أوروبا العصور الوسطى جـ١، ت. محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، ط. القاهرة ١٩٦٦م.

فيليب حتي (د.) — تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ت. اليازجي، ط. بيروت ١٩٥٩م.

لبنان في التاريخ، ت. أنيس فريحة، ط. بيروت ١٩٥٩م.

فيليب دي طرازي — أصدق ما كان عن تاريخ لبنان، ط. بيروت.

قاسم عبده قاسم (د.) — أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٩م.

اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني ط. القاهرة ١٩٨٠م.

رؤية اسرائيلية للحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٢م.

"صورة المقاتل الصليبي في المصادر العربية"، بحث مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م(٢٧)، عام ١٩٨١م.

الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، دراسة عن الحملة الأولى، ط. القاهرة ١٩٨٣م.

الشعر والتاريخ، دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية، بحث مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية م (٢٨)، (٢٩) لعام ١٩٨١-١٩٨٢م.

الدوافع الاجتماعية في الحركة الصليبية، بحث مستخرج من ندوة التاريخ الاسلامي والوسط، م(٢) لعام ١٩٨٣م.

قدري قلعجي — صلاح الدين الأيوبي، ط. بيروت ١٩٤٧م.

كازانوفا — تاريخ ووصف قلعة القاهرة، ت. أحمد دراج، مراجعة جمال محرز، ط. القاهرة ١٩٧١م.

كريستوفر دوسون — تكوين أوروبا، ت. محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور، ط. القاهرة ١٩٦٧م.

كمال الدين سامح (د.) العمارة الاسلامية في مصر ط. القاهرة ١٩٧٧م.

كنار "الفاطميون في مصر" ت. خاشع العاضيدي، مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد، العدد (١٧) لعام ١٩٧٠م.

لطفي عبدالبديع (د.) الإسلام في الأندلس، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

ماهر حمادة (د.) وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي، ط. بيروت ١٩٧٩م.

محسن محمد حسين (د.) الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٨٦م.

محمد أحمد حسين (د.) أسامة بن منقذ. ط.

محمد مؤنس عوض (د.) الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩- ١١٨٧م)، ط. القاهرة ١٩٩١م.

الزلازل في بلاد الشام، عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م.

في الصراع الإسلامي- الصليبي، معركة أرسوف، (١١٩١م/ ٥٨٧هـ)، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

في الصراع الإسلامي-الصليبي، السياسة الخارجية النورية، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

الحروب الصليبية، من قضايا السياسة والمياه والعقيدة، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

محمود اسماعيل (د.) الحركات السرية في الإسلام، ط. القاهرة ١٩٧٣م.

محمود الحويري (د.) الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. رسالة دكتوراة- كلية الآداب- جامعة القاهرة (تم نشرها).

العادل الأيوبي، صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية، ط. القاهرة ١٩٨٠م.

محمود الديب (د.) الجغرافية السياسية، ط. القاهرة ١٩٧٩م.

محمود زايد (د.) "رحلة برتراندون دي لابروكيه إلى فلسطين ولبنان وسوريا (١٤٣٢م)"، مجلة الأبحاث-الجامعة الأميركية ببيروت، جـ(٣)، السنة (١٥) عام ١٩٦٢م.

محمود رزق محمود (د.) العلاقة بين ارناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى موقعة حطين ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة

عين شمس، عام ١٩٧٣م.

محمود سعيد عمران (د.) "معركة حارم، قصة التحالف البيزنطي الصليبي الأرميني ضد نور الدين". بحث مستخرج من مجلة المؤرخ العربي، العدد (٨) عام ١٩٧٧م.

الحملة الصليبية الخامسة، ط. الاسكندرية، ١٩٧٨م.

محمود نديم فهيم — الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، ط. القاهرة ١٩٨٣م.

مرمرجي الدومنيكي — "أصل كلمة الداوية"، مقالة مستخرجة عن مجلة المشرق، م(٢٥) عام ١٩٣١م.

مزمل حسنين — نيابات الشام في عهد دولة المماليك البحرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب–جامعة القاهرة عام ١٩٥٣م.

مصطفى زيادة (د.) — مصر والحروب الصليبية، رسائل الثقافة الحربية رقم (٣٩)، منشورات وزارة الدفاع الوطني، ط. القاهرة ١٩٥٤م.

حملة لويس التاسع وهزيمته في المنصورة، ط. القاهرة ١٩٦١م.

مصطفى طلاس ومحمد وليد الجلاد — قلعة الحصن حصن الأكراد، ط. دمشق ١٩٩٠م.

مصطفى الكناني (د.) — العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامي ط. الاسكندرية.

المعالم الأثرية في البلاد العربية — إعداد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، خاصة الجزء الثاني، ط. القاهرة ١٧٢٠م.

ملكوم ليونز وجاكسون — صلاح الدين، ت. علي ماضي، ط. بيروت ١٩٨٨م.

مولر — القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، ط. دمشق ١٩٨٤م.

مونتجو مري (الفيلدمارشال) الحرب عبر التاريخ، ت. عبدالله النمر، خاصة الجزء الثالث، ط. القاهرة ١٩٧٢.

مونتجومري وات — فضل العرب في الحضارة الغربية، ت. حسين أحمد أمين، ط. القاهرة ١٩٨٢م.

ميخائيل اسكندر — القدس عبر التاريخ، ط. القاهرة ١٩٧٢م.

نافع العبود (د.) — الدولة الخوارزمية، ط. بغداد ١٩٧٨م.

نبيل عبدالعزيز (د.) — "خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك"، المجلة

التاريخية المصرية، م.(٢٣)، عام ١٩٧٦م.

نبيلة مقامي (د.) فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين ١٢، ١٣م، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م.

نظير حسان سعداوي(د.) التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، ط. القاهرة ١٩٦١م.

جيش مصر في أيام صلاح الدين ط. القاهرة ١٩٦٢م.

نيقولا زيادة (د.) "سوريا زمن الصليبيين"، بحث مستخرج من مجلة المقتطف م (٨٧)، جـ(٣)، يوليو ١٩٣٥م.

"الشرق العربي وأوربا إلى مستهل القرن التاسع" المقتطف، م (١٠١)، عام ١٩٤٠م.

صور من التاريخ العربي، ط. القاهرة ١٩٤٦م

رواد الشرق العربي في العصور الوسطى. ط. القاهرة ١٩٤٨م

نقولا يوسف تاريخ دمياط منذ أقدم العصور، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

نور الدين خاطوم (د.) المدخل إلى التاريخ، ط. دمشق ١٩٦٥م،

نورمان كانتور التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية، ت. قاسم عبده قاسم، خاصة الجزء الثاني، ط. القاهرة ١٩٨٢م.

واصف بطرس غالي تقاليد الفروسية عند العرب، ت. انور غالي، ط. القاهرة ١٩٦٠م

وسام عبدالعزيز فرج (د.) "الامبراطور باسيل الثاني سفاح البلغار (٩٧٦-١٠٢٥م).

"العوامل التي أثرت على السياسة في عصره"، بحث مستخرج من مجلة سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، م(١)، لعام ١٩٨٢م.

دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٨٢م.

هارتمان وباراكلاف الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى، ت. جوزيف نسيم يوسف، ط. الاسكندرية ١٩٦٦م.

هاشم اسماعيل دراسات تاريخية عسكرية عن الدولة البيزنطية عن الفتح العربي للشام حتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٧٧م.

هاملتون جب صلاح الدين الأيوبي، دراسات في التاريخ الإسلامي، ت. يوسف ايبس،

ط. بيروت ١٩٧٧م.

هسي — العالم البيزنطي، ت. رأفت عبدالحميد، ط. القاهرة ١٩٧٦م.

هنري لامنس — " تجارة سوريا في الأجيال الوسيطة "، الشرق، العدد (٢٠)، عام ١٩١٩م.

ياسين التكريتي (د.) — الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

يسري الجوهري (د.) — مبادىء جغرافية السكان، ط. بيروت ١٩٦٩م.

يوسف الدبس — تاريخ سوريا، خاصة الجزء السادس، ط. بيروت ١٩٠٠م.

يوسف سمارة — جولة في الاقليم الشمالي، ط. القاهرة ١٩٦٠م.

يوسف غوادر — " معبد سيدة القلعة في بلاد عكار "، مقالة مستخرجة من مجلة المشرق، السنة (٢)، العدد (١٣) عام ١٨٩٠م.

يوشع براور — عالم الصليبيين، ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، ط. القاهرة ١٩٨١م.

يوغوليوبسكي — " رحلة السائح الروسي دانيال إلى الأراضي المقدسة في أول عهد الصليبيين "، مقالة مستخرجة من مجلة المشرق، السنة (٢٤)، العدد (٩)، عام ١٩٢٦م.

سادساً : المراجع الأجنبية

- Archer (T.A.), and kings ford (C.L.), The Crusades, The Story of The latin kingdom of Jerusalem, New york 1904.
- Atiya (A.S.), The Crusade in The later Middle Ages, London 1939. Crusade, Commerce and Culture, London 1962., Crusade Historigraphy and Bibligraphy,
- Artz (F.), The mind of The Middle Ages, New York 1953.
- Attwater (D.), Dictionary of Saints, London 1976.
- Baldwin (M.), "The Latin states under Baldwin III and Amaury I", in Setton, A istory of The Crusades, Vol.I, "The Decline and Fall of Jerusalem", in n Setton, A History of The Crusades, Vol.I.
- Belloc, The Crusade World's debate, London 1957.
- Pernoud, The Crusades, London 1962.
- Pirenne (H.), Mohammed and Charlemagne, London 1954.
- Boase, Kingdoms and Strongholds of The Crusaders, London 1871.
- Brundage (J.),"Holy war and The Medieval Lawyers" in The Holy war, Ohio State, 1977.
- Cahen (C.), La Syrie du Nord O'L'epoque des Croisades, Paris 1940.
- Cambridge Medieval History, Vol V, London 1943.
- Cassell's History of England, London.
- Christensen (E.),The Northern Crusades, Minnesota 1980.
- Citarello, "The Relations of Amalfi with The Arab World before The Crusades", Speculum XLII.
- Conder (C.R.), The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1897.
- Coulton (N.), Medieval Panorama, Cambridge 1949.
- Cowdrey, "The Genesis of The Crusades", in the Holy war, Ohio State 1977.
- Creswell (K.A,) Short Account of Early Islamic architecture, London 1958.
- Davis (H.W.), History of Medieval Europe From Constantine to St. Louis, London 1955.

- Deanesly (M.), History of Medieval Church, London 1925.

- De Brouwer (D.), Saint Bernard L'Homme d'Eglise, Paris 1953.

- Delaville le Roulx (J.),"Trois Chartres du XIle Siecle Concernant L'Ordre de St. Jean de Jerusalem", A.O.L., T.I, Annee 1893.

,"L'Ordre de Montjoe", A.O.L., T.I, Annee, 1893..

,Cartulaire Generale des Hospitaliers, Paris 1894.

, "Inventaire de pieces de Terre sainte de L'Ordre de L'Hospital" R.O.L., T.IIII, Annee 1895.

,"Bulles pour L'Ordre du Temple", R.O.L., T.X!, Annee 1905-1906.

,Les Hospitallers en Terre Saints, Paris.

- Deschamps (P.), La Defense du Royaume de Jerusalem, Paris 1939.

Crac des chevaliers, Paris 1958.

- Diehl (C.), "les Monuments de L'Orient Latin", R.O.L., T.V, Annee 1897.

- Duggan (A.), The Story of The Crusades, London 1960.

- Dussaud (R.) And Deschamps (p.), la Syrie Antique et Medievale illustres, Paris 1931.

- Eggemberger, Dictionary of Battles, London 1967.

- Ency. Americana, New york 1970.

- Ency. Brit., London 1974.

- Ency. Internationale, New yourk 1976.

- Ency. Of Islam, Ist and 2nd ed.

- Favier (J.), Les Templiers ou L'echec des banquiers de la Croisade", L''Histoire, XLVII, Annee 1982.

- Favreau-:Lille (M.), "The Tentonic Knights in Acre after The Fall of Montfort", in outremere Studies in The History of The Crusading Kingdom of Jerusalem, Jerusalem 1982.

- Fedden (R.), Crusader Castles, london 1950.

- Fuller, Desisive Battles of Western, Europe and its influence upon history, London 1954.

- Gabrieli.(f.), The Arab Historians of The Crusades, Trans. By Costello, Lon-

don 1969.
- Gibb (H.), "The Ayyubids" in Setton, A Hist. of The Crusades, Vol.II.
, "Zengi and The Fall of Edessa", in A History of The Crusades, Vol.I.
;The life of Saladine, Oxford 1973.
- Gibbon (E.), Hist. of The Decline and fall of The Roman Empire, London 1953.
- Grant (R.), A Historical Introduction to The New Testament, New Yourk 1963.
- Grousset (R.), Histoire des Croisades et du Royaume latin du Jerusalem, 3 Vols, Paris 1943-1949.
- Hill (G.),History of Cyprus, Cambridge 1940.
-Hume (E.E.), Medieval Work of The Knights Hospitallers of Saint John of Jerusalem, Baltimore 1940.
- Jipejian (N.), Byblos Through The Ages, Beirut 1968.
Beirut Through The Ages, Beirut 1973.
- Jordan (W.C.), Louis IX and The Challenge of The Crusade, princeton 1979.
- kantrowicz, Frederick The Second, London 1931.
- Keen (M.), The pelican History of Medieval Europe, London1931.
- Kelly (J.N.), The Oxford Dictionary of popes, Oxford 1996.
- Kerr, The Crusades, London 1966.
- King (F.J.), The knights Hospitallers in the Holy land, London 1931.
,"The Taking of the Krak des Chevaliers in1271", in Antiquity, Vol.XXIII,
"The Rule Statutes and Customs of The Hospitaller (1099-1310), London 1934.
The knights of St. John in, The British kindom, London 1943
- Hilmar C. Krueger, "The Italian Cities and the Arabs before 1095", in Setton, A History of The Crusades, Vol.I, "the university of Wisconsin Press, Madison, Milwankee, and London 1969.
- Lamb (H.), The Crusades, Iron Men and Saints, London 1960.
- La Monte (J.), "The Crusade and Jihad", in Islamic Heritage ed, Nabih Faris.
Feudal Monarchy in the latin kingdom of Jerusalem, Canbridge 1982.

- Lane-Poole (C.), Saladin and The Fall of The Latin kingdom of Jerusalem, London 1899.

A History of Egypt in The Middle Ages, London 1901.

- Lawrence (J.E.), Crusader Castles, Vol.I, London 1930.
- Le Strange (G.), Palestine under the Molsems, London 1890.
- Lucie Elise, The Knights Templars in the Holy land, Thesis of Master of Arts, California University 1943.
- Mayer (H.), The Crusades, trans. by Gillingham, Oxford 1972.
- Nantet (J.), Histoire de liban, Paris 1962.
- Norman (A.V.), Medieval Soldier, New York, 1971.
- Oman (C.), A History of the Art of War in the Middle Ages, 2 Vols, London 1924.
- Prawer (J.), "The settlement of The Latins in Jerusalem", Speculum XXVII.

'The world of The Crusaders,New York 1972.

'The latin kingdom of Jerusalem European Colonialism in the Middle Ages, 2 Vols, London 1973.

- Brehier (L.), L.Eglise et L'Orient au Moyen Age Les Croisades, Paris 1928.
- Prestage, Chivalry, its Historical Significance and Civilizing influence upon History, London 1925.
- Rey (E.), Etudes Sur les Monuments de l'architecture militaire des Croises en Syrie, Paris 1896.

"Les Colonies Franques des syrie au XIle et XIIIE siecles, Paris 1883.

'"Les Seigneurs de Beirut"; R.O.L., Tome IV, Annee 1896.

- Richard (J.), "An Account of the Battle of Hattin referring To the Frankish Mercenaries in oriental Moslem States, Speculum, TXXVII, Le Royaume Latin de Jerusalem, Paris 1953.

,"Hospitals and Hospital Congregation" in Outrememte Studies, Jerusalem 1982.

- Riley-Smith LJ.), A History of the Knights of St. John of Jerusalem, London 1967.

'Feudal Nobility in the Latin kingdom of Jerusalems, London 1973.
,"Government in Latin Syria and The Commercial Privileges of Foreign Merchants", in Darck Barker, Relations between East and West in the Middle Ages, University of Edinburgh 1973.

- Robertson (J.M.), Short History of Christianity, London 1911.
- Rohricht (R.), "Etudes sur les deraiers Temps de Royaume de Jerusalem, les Combates de Sultan Bibars Contre les-Chictiens en syrie, A.O.L.
- Runciman (S.), A History of the Crusades, 3 Vols, Cambridge, 1953. London 1978
- Saunders (J.), Aspects of the Crusades,, "The Crusade as a holy war", in Brundage, The Crusades Motives and Aschivements, Boston 1974.
- Scheffer (C.), La Voyage de, Bertrand de la Broquiers, Paris 1892.
- Schlumberger (G.), Campaign du Roi Amaury de Jerusalem, Paris 1900. Renauld de Chatillon, Paris 1923.
- Smail (R.C.), Crusading Warfare, London 1956.
 'The Crusaders in Syria and The Holy land, London 1973.
- Stevenson (W.B.), The Crusaders in The East, Beirut 1963.
- Stubbs (W.), Study of Medieval and Modern History, Oxford 1900.
- Thatcher (O.J.) Source Book of Medieval History, London 1903.
- Tout (T.), The Empire and papacy, London 1926.
- Trudon des Omres, "Liste des Maisons et de quelques dignitates, de L'Ordre de Temple en Syrie, en Chypre et en France", R.O.L., T.V, Annee 1897.
- Uden (G.),Dictionary of Chivalry, London.
- Ulman (W.),A History of Political Thought the Middle Ages, London 1973.
- Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago 1966.
- Vacandard (E.), Vie de Saint Bernard Abbe de Clairvaux, Paris 1895.
- Vaucherz (A.), "Saint Bernard, un predicateur irresistible", L'Histoise, T. XLVII, Paris 1982.
- Woodhoouse (T.),The Military Religious Orders in the Middle Ages, London 1878.

- Woodings (A.), "The Medical Resources and practise in the Crusader States", M.H., 19
- Thomas Wright (W.) Early Travels in Palestine, London 1848.

مطبعة فراس ٢٩٦٠١٠١

تاريخ الحروب الصليبية
التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية (القرنين ٦-٧هـ

نشأت مجموعة كبيرة من التنظيمات الدينية الحربية الفرنجية في الأراضي المقدسة زمن الحروب الصليبية، وحازت هذه التنظيمات على أراض وممتلكات كبيرة في فلسطين. وسيطر تنظيم فرسان الداوية (المعبد) على المسجد الأقصى المبارك، وحول قسما منه إلى كنيسة، وآخر استخدم كاسطبل للخيل، وما تبقى استخدم كمخزن للأسلحة، ومقر لإقامة وسكن الفرسان. وإلى جانب تنظيم فرسان الداوية ظهرت تنظيمات أخرى. أهمها:

تنظيم فرسان الاسبتارية (المستشفى)، وفرسان التيوتون، والفرسان الكرمليين، وفرسان القديس جورج، وفرسان القديس لعازر وغيرهم.

ويشتمل هذا الكتاب على أهم الأعمال التي قامت بها التنظيمات الدينية الحربية في الأراضي المقدسة، في فترة الحروب الفرنجية الصليبية. وهو كتاب جدير بالقراءة من أجل التعرف على ما قام به هؤلاء الفرسان في تلك الحقبة من الزمن، وكيف تمكن المسلمون من الانتصار عليهم في معركة حطين وغيرها من المعارك التي تكللت فيها جهود المسلمين بتحرير الارض المقدسة من قبضة الغزاة.

د. سعيد عبد الله البيشاوي
أستاذ مشارك في كلية العلوم التربوية



دار الشروق للنشر والتوزيع - رام الله
رام الله
تلفاكس: ٢٩٦١٦١٤ ٢(٠) ٩٧٠+
غزة
تلفاكس: ٢٨٤٧٠٠٣ ٨(٠) ٩٧٠+
التوزيع الحصري في الاردن:
دار الشروق للنشر والتوزيع
تلفون: ٤٦١٨١٩٠ / ٤٦٢٤٣٢١
فاكس: ٤٦١٠٠٦٥